

المنهل

AL MANHAL

مجلة المشرق الأدبية

العدد (٥٧٤) المجلد (٦٣) العام [٦٧] الربيعان ١٤٢٢ هـ - مايو / يونيو ٢٠٠١ م

بواغث النهضة
الأدبية في المملكة



من آداب

مجالس

العلماء

الكتاب المدرسي

تفكير في

اتجاه واحد

هل عقوبة

الحدود

الإسلامية

قاسية؟!

التصنيع الخليجي

ماذا .. وكيف؟!



معاقل

حرب العاشر من رمضان

المبرة .. والظلة

كنت قبيل شبوب الحرب الرابعة التي ظلت موازين تطلعات دولة إسرائيل وقوتها رأساً على عقب وجرعتها كاس الهزيمة المريعة الساحقة بعد ست سنوات من انتصارها المموم. كنت في القاهرة مع أسرتي.

وفي العاشر من شهر رمضان فتحت المذيع فإذا به يذيع بلاغات عسكرية وجيزة مركزة بما للمقاتلين العرب وما عليهم، وتعين أربابهم في الصراع الجبار الدائر وخسائرهم بدقة متناهية ولا تدع مجالاً للتخبط في الرأي أو الادعاء الجوف، وكان كل شيء مخططاً له ومقدراً في نطاق مدروس، ومضت الاذاعة وزميلاتها في العالم العربي ترسل البث أولاً بأول عن كل شيء يحدث في الجبهة والجيئات التي تتصاحم فيها قوة الايمان والكفر، وقوة الحق والجور، فإذا بنا نسمع من الاذاعة المصرية العربية وحدها، ومن الاذاعة السعودية بعدها شيئاً عظيماً اهتزت له ارواحنا طرباً، وقد أبدت الاذاعات العالمية جميعاً، ألا وهو اختراق الجيش العربي المصري الباسل استحکامات خط بارليف الحصين ووصولهم الى قلب سيناء بعد أن دمروا مئات الطائرات المعادية وفتكوا بمئات الدبابات التي تفخرت بها الدولة المعتدية الظلمة، وبعد أن أسروا العديد من ضباطه ونقبائه وعرفائه وجنوده، فأدركنا عندها حقيقة أحرار العرب من يموئذ لأمم عوامل النصر - وهي أن نجعل ديكتنا الرجوع الى الله تعالى في كل شيء، وأن نحافظ على وحدتنا، وعلى قوتنا المادية.

هذا وفي إطار التغييرات الجديدة في حكومة إسرائيل الاخيرة التي أوصلت السفاح المجرم مناهم بيجن الصهيوني الى منصة الحكم في دولة إسرائيل، واستمر في مناداته بالانتقام بالانتقام بامتشاق الصمام واستئناف الحرب الخامسة مع العرب تمكث أمامي ذكرى الحرب السابقة وقت في نفسي، لعل تدميرهم في تدبيرهم، ولعل الحرب العدوانية الخامسة إذا ما أعلنوا تكون وبالا عليهم والقاضية عليهم.

رجب وشعبان ١٣٩٧هـ /
يوليو وأغسطس ١٩٧٧م

«عبد القدوس الأنصاري»

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم
مصر ١٥٠ قرشاً - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس
عمان ٦٠٠ بييسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس
موريتانيا ١٠٠ أوقية - الأردن ٥٠٠ فلس.

بسم الله الرحمن الرحيم

دار منقذ

مجلة شهرية للأدب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دار المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م



لجان المد

المركز الرئيسي

جدة الشرفية صر ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١ بريقيا: المبل

فاكس ٦٤٢٩٨٠٢ شيعون ٦٤٢٧٨٨١

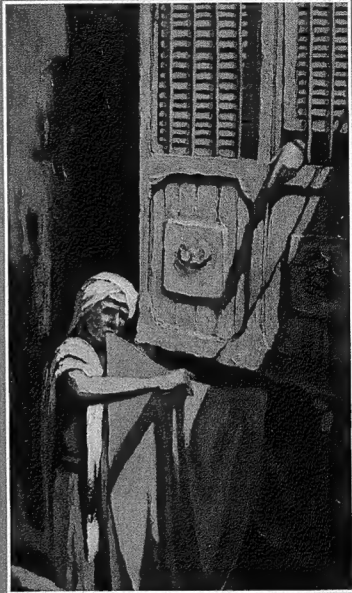
٦٤٢٩٩٦٥ - ٦٤٢٩١٢٤ - ٦٤٢٥٠٦٨٧

البريد صر ٢٩٠ للعلوم ١٥٠٢٤٢١

المنهل

البريدان ١٤٢٢ هـ - مايو / يونيو ٢٠٠١ م

لقطة



«الدريشة» للشان السوداني ضياء عزيز

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس
الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د / عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القاريء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العنيد من
صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء
الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية
شريفة الرجاء المحافظة عليها.

إشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في
تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب
مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة
لها بالموضوع أو مكانة الكاتب
ويشترط في الاسهامات عناصر
الجدة، العمق والرصانة العلمية.
للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع
التي تراها غير مناسبة للنشر دون
الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره.
كما يرجى الإشارة لمصادر المادة
بصورة واضحة.

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

قيمة الاشتراك السنوي

للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.

قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

الاشتراكات

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة

تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس: ٦٣٩٤٠٩٥



- ٤٠ - أول الغيث .
٢٠ - عين لندن (استطلاع مصور)
٢٤ - هل عقوبة الحدود الإسلامية قاسية
٠ د. بوجمعة جمي
٣٢ - بعض المبادئ التربوية في خواتيم سورة البقرة.
٠ د. صالح الشهري
٢٤ - في القصص النبوي (٦٨) (الاعجاز في قصة آدم عليه السلام).
٠ د. عبد الباسط حمودة
٤٠ - الحالة الدينية في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
٤٢ - آداب مجالس العلماء.
٠ د. بدري محمد فهد
٤٨ - الملك عبد العزيز وبواعت النهضة الأدبية في المملكة.
٠ د. عزت محمود علي الدين
٦٠ - صلة الشيخ حمد الجاسر بعلماء الشريعة الإسلامية.
٦٤ - البعد التربوي الاصلاحى في الدعاء النبوي.
مصطفى بوهلال
٧٤ - رسول الرحمة (شعر).
محمد حمدان السيد
٧٦ - الشعر في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) طه عبد الرحمن
٨٠ - الرسالة النبوية الى امبراطور الروم هرقل.
٠ د. محمد عبد المنعم خفاجي
٨٢ - تعريب المصطلحات في المملكة العربية السعودية (٢ - ٤).
٠ د. سعد القحطاني
٨٦ - مذاهب وفرق (٢) - الخوارج.
حاتم احمد الطيب الشينغ
٩١ - مجلة السائح العدد (١٢٧).
١٠٠ - أمراء الحرم عبر التاريخ (٤).
السيد ضياء محمد عطار
١٠٤ - أدباء من الخليج العربي (٥) (سليم عبيد الرؤوف).
١٠٦ - تقنية اثارة الابتكار في القراءة (٢ - ٢).
٠ د. أنور طاهر رضا
١١٦ - رحلة في المكتبة (١٧) (في أصول الأدب).
٠ د. محمد رجب البيومي
١٢٠ - أحماض أدبية (١٤) تحذير السليم من الآيس كريم .
٠ د. احمد عطية السعودي

فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة

- الحدود الشرعية عقوبة لمصلحة الجماعة.
□ ظنوا في الأولياء والصالحين قضاء حاجات العباد من دون الله سبحانه.
□ من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقى في ذل الجهل أبداً.
□ اعتمدت النهضة الإصلاحية في المملكة على الكتاب والسنة.
□ الحدود الشرعية عقوبة لمصلحة الجماعة.
□ ظنوا في الأولياء والصالحين قضاء حاجات العباد من دون الله سبحانه.
□ من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقى في ذل الجهل أبداً.
□ اعتمدت النهضة الإصلاحية في المملكة على الكتاب والسنة.

ص ٤٢

ص ٢٤

ص ٤٨

ص ٤٠

وكلاء
التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأفرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفة للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٤٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

المنهل

أما بعد

الصباح والمساء قطبان لداثرة بسعة الحياة ..
دائرة تتداح في الأفق البعيد، أفق لسنا ببالغيه ..
ونحن في هذا المحيط المترامي الأطراف ندور ..
محيط دورانا يتسع ويضيق باتساع وضيق ما في
دواخلنا ..

الطير تندو وتروح ففطرة البقاء مغروزة فيه ..
أما نحن البشر ففطرة الغدو والزواح فينا يمدحها من
ورائها عقل مدبر وحكمة ناضجة .. وبحسب نصيب كل
واحد منا من هذه المعطيات يكون قدر سعادته، وانشراح
نفسه، واندياح أساريه ..

الحياة ليست فكرة هلامية غير ممسوكه .. بل هي
عطائات ميراث إنساني يزداد مع الأيام ارتقاعا وعمقا ..
والتعامل مع هذا الميراث تحكمه ضوابط (الغدو
والزواح) عند كل فرد منا، مقرونة - هذه الضوابط - مع
منظومة حركة العقل الجمعي ..

وهذا الأخير، محكوم - إلى حد كبير - بحيثيات
البيئة، ومقدرات العرف، وثوابت الدين .. وهذا هو
الأساس، وما دونه تبع له .. أو هكذا ينبغي ..
وكل يغرد بتقريد سربه في داخل هذا الإطار ..
الحياة، ليست أياما عابرة، تنقضي متناثرة في
الهواء ..

وليست أوراق شجر ما تكاد تُحَاثَ، حتى تكسبي
غيرها ..
وليست نبتا طفيليا، لا يعيره الإنسان بالا، ولا يعطيه
اهتماما ..

بل هي شيء مغاير .. لكل ذلك ..

إنها (قيمة) ..

نعم ..

قيمة عطاء ..

في الخلق والسلوك، تجاه النفس والآخر ..

قيمة .. في البذل والجهد ..

ثم هي: قيمة في (الحب) ..

حب الناس، حب الحياة والأحياء ..

كل هذا يأتي في قمته حب الخالق سبحانه ..

الواهب لكل ذلك ..

من هذه القيمة الجميلة (الحب) تكون كل منطلقات
العطاء .. وكل منطلقات الأخذ .. وبهذا وحده .. تسمو
الحياة عن أن تكون أي شيء آخر غير (الحب
الخالص) ..

السماني كمال الدين



غلان هدا



غلان السالك

١٢٤ - الحلقة المفقودة في التصنيع الخليجي.

د. بهاء بن حسين عزي

١٣٤ - الفرق في اللغة (١٤) (الفرق بين الكمال
والتمام).

د. ياسين بن ناصر الخطيب

١٣٦ - اغنية للقلب (شعر).

محمد علي آل توفيق

١٣٧ - مجلة من العدد (١٣٠).

١٤٨ - لقطات تراثية: الخواتم ونقوشها في التراث
اللغوي.

د. رياض بن حسن الخوام

١٥٤ - شذرات الذهب (٦٥)

د. ابو حسام

١٥٨ - مسك الختام (أيام في طيبة).

د. طاهر تونسي

.. فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة ..

□ الدعاء الخالص تحقيق لعبودية العبد

ص ٦٤

□ التعريب أحد أهم وسائل التنمية

ص ٨٢

□ الكتاب المدرسي تفكير في اتجاه

واحد، ينبغي إعادة النظر فيه

ص ١٠٦

الإعلانات:

يراجع بشأنها

الإدارة ت: ٦٤٣٩١٢٤

٤١٩٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار أقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ -
الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والطبوعات د.م./ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال
لتوزيع الصحف/ البحرين/ التامة ٥٢٤٥٥٩

المملكة العربية السعودية

وفلسطين علاقة التاريخ .. والحاضر ..

في داره الملك عبد العزيز في مدينة الرياض، ويرعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير مدينة الرياض، ورئيس مجلس إدارة الدارة، عقدت أعمال الندوة التوثيقية الكبرى التي تبحث في موضوع (فلسطين) أرضاً وشعباً وتاريخاً، والقضية الفلسطينية في كل أدوارها، والقدس الشريف ثالث الحرمين الشريفين، ومسرى سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كل ذلك في إطار الادوار العملية الفاعلة والخطوات الجادة والمواقف الثابتة التي قامت وتقوم بها المملكة العربية السعودية منذ الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود - عليه رحمة الله - ومروراً بكل الملوك والأمراء والمستنولين السعوديين الذين تعاقبوا على إدارة شئون البلاد والعباد، والى يومنا هذا، حيث يقوم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، واخوانه وجميع المسئولين في المملكة بأدوار فاعلة وجادة ومؤثرة في نصرة القضية الفلسطينية.

منذ أول خطوة عملت فيها حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين، على توطین اليهود في أرض فلسطين، كانت المملكة العربية السعودية بقيادة الملك عبد العزيز أشد صلابه ومثابرة في موقفها الثابت الرافض كل الرفض لتوطین اليهود في أرض فلسطين، ذلك لأن فلسطين أرضاً ومقدسات وتاريخاً هي ملك خالص للمسلمين والعرب، وهذه ثوابت لا تقريط فيها .. وظل الملك عبد العزيز - يرحمه الله - يقاوم كل وسائل الاغراء والضغط - على السواء - للموافقة على أمر هجرة اليهود لفلسطين.

وعلى ذات الموقف، وذات الثوابت ظل من بعده من أبنائه، وكل المسئولين في المملكة. وفي صيغة وإطار هذه الثوابت والقناعات عُقدت هذه الندوة التاريخية التوثيقية .. وبشارك في أعمال هذه الندوة جمهرة من المؤرخين والمهتمين بالشأن الفلسطيني والدارسين والباحثين، والدبلوماسيين من كثير من الدول العربية .. وكان من الموضوعات التي طرحت في هذه الندوة:

- الأصول الشرعية لاهتمام السعودية بفلسطين.
- اسهام السعودية في حرب ١٩٤٨م.
- مشاركة القوات السعودية في حروب ٤٨ - ٦٧ - ١٩٧٣م.
- العلاقة بين السعودية والقضية الفلسطينية من خلال منظمة اليونسكو.
- جهود السعودية في دعم القضية الفلسطينية في المجال الاقتصادي.
- جهود اللجنة السعودية لدعم انتفاضة القدس.
- موقف السعودية من حرق الصهاينة للمسجد الاقصى.





لقطات من إحدى الجلسات

- دعم الملك فيصل للقضية الفلسطينية.
- جهود الملك خالد تجاه القضية الفلسطينية.
- الانتاج الفكري السعودي عن القضية الفلسطينية.
- موقف السعودية من الهجرة اليهودية وتقسيم فلسطين.
- دعم السعودية لفلسطين في المحافل العربية والدولية.
- جهود خادم الحرمين الشريفين تجاه قضية فلسطين.

- الاعلام السعودي والقضية الفلسطينية في عهد الملك عبد العزيز.
- موقف الملك عبد العزيز تجاه فلسطين.
- قضية فلسطين في الادب السعودي.
- المساندة الشعبية السعودية من خلال هيئة الاغاثة الاسلامية العالمية.
- الابعاد الجيوستراتيجية في فكر الملك عبد العزيز تجاه القضية الفلسطينية.
- الثوابت القيادية للملك عبد العزيز في نصرة القضية الفلسطينية.
- جهود الملك سعود تجاه القضية الفلسطينية.

استطاعت المنهل بعض الأدباء والمثقفين المتابعين لمسيرتها. وهو سلوك تقديري وتقويمي أتبعته المنهل منه قريب. ونشرنا في العدد السابق رأي الأستاذة الفاضلة (عبد الله بن حمد الحجيل) ومحمد صلاح الديهي.

وننشر في هذا العدد ثلاثة آراء للأستاذة الفاضلة: (أحمد سالم باعطب) ومصطفى سيد قطر والدكتور أمية سامحاني... ونفكر للجميع الأدبي والفكري مع مجلتهم المنهل. ونقدّر لهم جميعاً ما جاء في كلماتهم من آراء ومقترحات.

المنهل

المنهل

ماضياً .. حاضراً .. ومستقبلاً

الحديث عن مجلة المنهل الثقافية الأدبية العلمية يتطلب مني أن أتمسك الطريق بالرجوع سنوات عديدة تحمل في حناياها لذة البذل والتضحية في سبيل تحقيق الأحلام.

ولعل من المستحسن أن أعود أدرجي إلى عام ١٣٥٥هـ بل قد يكون من الوصول إلى الحقيقة أن أحط رحالي عند غرة شهر ذي الحجة من ذلك العام، ففي ذلك الشهر الكريم كان الشيخ عبد القدوس الأنصاري ينتظر بفارغ الصبر العدد البكر من مجلة المنهل بعد أن تكلفه مخاض ذلك المولود مشقة كبيرة، وعنتا عظيماً. لقد كانت فترة طويلة مضنية استغرقت خمس سنوات ونيف، ومع ذلك فقد جاء المولود البكر «خديجا» أي ناقص النمو، ليس من حيث المدة، ولكن من حيث التكوين، يقول الشيخ عبد القدوس الأنصاري - رحمه الله - في ليلة تكريمه في دارة الشيخ الفاضل عبد المقصود محمد سعيد خوجه تاريخ ١٣٥٢/٢٢/١هـ: «بدأت عمليات الاستعداد لإصدار هذه المجلة في سنة ١٣٤٩هـ».

ثم يربف قوله بعد سرد مفصل منه عن الخطوات التي قطعها سعياً صادقاً لاتجاز الحلم الذي ظل يراوده منذ أن عشق الأدب، لا سيما الأدب الحديث الذي أخذ يتغنى به، وكان مما أفاض به في رحلته الكلامية عن ميلاد مجلة المنهل قوله: «بعد خمس سنوات منذ بداية التفكير والتصميم على طبع مجلة أدبية ثقافية علمية أي في عام ١٣٥٥هـ صدرت الموافقة على إصدار مجلة تحمل اسم [المنهل] يتولى مسئولية طباعتها وتوزيعها عبد القدوس الأنصاري». تغمده الله برحمته.

لكن العقبات الصعبة ظلت مكشورة عن أنيابها، لم تلت قناتها، ولم تنفرج





أحمد سالم باعظب

- جدة -

بقلم :

بمثيلاتها في مدينة مكة المكرمة، لكن الاصرار في كثير من الأوقات يحطم كل المعوقات والعقبات التي تعترض كل الصواجز ويقضى عليها.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي في إحدى قصائده:

وما نيل المطالب بالتمنى
ولكن تخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال
إذا الاقدام كان لهم ركابا

وهذا النهج هو الذي سلكه عبد القدوس - رحمه الله - حتى ظفر بتعاونه مع السيدين على وعثمان حافظ حيث تمخضت عن ولادة العدد الأول من مجلة (المنهل) والذي جاء كما قلت عنه «خديجا» ويعترف رئيس تحرير مجلة المنهل بقوله «هكذا صدر العدد الأول من مجلة المنهل مهلهلا»، وقد اعترض الناس على ذلك فقلنا لهم: «هذه بداية والبداية تكون عادة ضعيفة مثلها مثل الطفل الصغير، ولقد أعدت طباعة هذا العدد ثلاث مرات فلم يتقدم أحد لشرائه، فقمنا بتوزيعه هدايا لمن نعرفه ولن لا نعرفه».

ولقد تعرضت مجلة المنهل لمنقصات اعترضت سبيل رحلتها ومن ذلك تنقلها من بلد الى آخر سعيا للحصول على وسيلة تحقق الطباعة الأنيقة فمن المدينة إلى مكة ثم إلى جدة، ولم تكن الطباعة وحدها هي التي تفرض على رئيس التحرير التنقل من بلد الى آخر ولكن

الهموم عن بكرة أبيها كما يقولون لكنه ظل صامدا يعالج الأمور بحكمة ودراسة حتى استطاع تذليلها، وتمكن من تحقيق ما كان يحلم فقد شعر عن ساعديه واستعان ببعض المسؤولين الذين وقفوا الى جانبه يدعمونه في سيره القويم للوصول الى ما رسمه في مخيلته ولعل من أولئك الشخصيات الأستاذ فؤاد حمزة الذي أثنى عليه الشيخ عبد القدوس ثناء عظيما ومنهم الأستاذ أحمد الخياري الذي قام بدفع مبلغ الكفالة التي تنص عليها إحدى فقرات الاجراءات الواجبة الأداء قبل القيام باصدار المجلة وهو مبلغ خمسين جنيهها ذهباً، ولكن الأمور الصعبة لم تجد لها حلا جذريا يحول بينها وبين التآرجع في عرصات (ساحات) الحلول المستعصية لنقرأ ما قاله الشيخ عبد القدوس عن ذلك في ليلة تكريمه بداره الشيخ عبد المقصود خوجه، لقد قال:

«ذهبت السكره وجاءت الفكرة» وهو مثل نستخدمة للاستشهاد به في أحاديثنا العامة، وصحته «ذهب بين الصحوه والسكره» أي بين أن يعقل وبين أن لا يعقل، وهو يريد أن يبين لنا أن الطموحات التي يرسمها الإنسان في ذاكرته لا تعني أنها أصبحت حقيقة وقابلة للتنفيذ قبل أن تقوم الوسائل الثابتة المحققة فعلا لتلك الطموحات ولعل القواعد الاساسية والاعمدة الثابتة التي تقام عليها الجدران والاسقف هي ما تأسس إليه النفوس الطامحة، ولذلك يقول الشيخ عبد القدوس: «أين المطبعة؟ وأين الطابعون؟ وأين الورق؟ وأين الذين يكتبون؟ ويضيف إلى ذلك قوله: «لم يكن هناك من يعرف الصحافة فكلنا جهلة في هذا الميدان» هذا اعتراف بالحقيقة لا يحمل من العيب شروى نقيير، ولكنه يفسح المجال للآخرين لتقديم المشاركة والمغامرة ولا سيما من أولئك الذين كانوا يحبذون هذا اللون من البذل والتضحيات. نعم لم تكن المدينة في تلك الفترة مهيةا للمنافسة في المجالات الأدبية إذا قورنت

العمل الوظيفي والتكليف الأميري ساهم أيضا في الانتقال.

ومما يجدر ذكره أن مجلة المنهل ظلت صامدة تسير في الطريق التي اختارها مؤسسها رغم قلة الموارد التي تحصل عليها إذا قيست بما تحصل عليه مجلات آخر، وإن دل هذا الأمر على شيء فإنما يدل على عصامية عبد القدوس الذي عرّف بين أئداده ومعارفه بصبره، وتحمله للمشاق في سبيل تحقيق طموحاته وكأنني به يؤكد قول النابغة:

نفس عصام سودت عصاما

وعلمته الكر والإقداما

لذلك بذل الشيخ عبد القدوس - رحمه الله - جهدا كبيرا في سبيل أن تظل مجلة المنهل تؤدي رسالتها العلمية والفكرية والثقافية والأدبية - وهي صامدة - على النهج الذي اختاره لها ربّانها يصارع الظروف القاسية التي كثيرا ما تقف حجر عثرة ما بين أحلامه والمنغصات التي تحاول أن تنخر الحاجز الفولاذي (الايمان) الذي يلجأ إليه كلما حزبه أمر واستصصى عليه حله.

ولم تقف مجلة المنهل الوليدة حديثا عن الصدور منذ ولادتها في شهر ذي الحجة ١٣٥٥هـ إلا خمس سنوات تمثل فترة الحرب العالمية الثانية التي أكلت الأخضر واليابس وقلبت الموازين، وبعد هدوء العاصفة، وعودة المياه إلى مجاريها كشفت المنهل عن وجهها المشرق عام ١٣٦٠هـ فשמرت عن ساعديها وأخذت تشق طريقها بكل قوة.

ولو تابعنا التطور الذي طرأ على رحلة المجلة منذ نشأتها حتى الوقت الحاضر لوجدنا بونا شاسعا بين ما كانت عليه، وما هي عليه الآن، ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى العقل المدبر الذي يتولى قيادة الجهاز الإداري للمجلة وأعني به الشيخ عبد القدوس الأنصاري - رحمه الله - فجهده في عملية التطوير بارز لكل ذي عقل وذو عينين، فرغم أن المجلة تعرضت خلال رحلتها الطويلة لمعوقات كثيرة فقد وقفت صامدة تتحدى كل الصعاب، وتصارع

التيارات الجارفة في حين عجزت غيرها من المجالات التي استسلمت وأغلقت أبوابها، وعجزت عن تأدية الرسالة التي التزمت بها، واستمرار صدور المجلة حتى في فصول الجذب والقحط برهان على الالتزام الأدبي والعلمي والثقافي الذي اتخذته المجلة منذ بداية رحلتها المعرفية شعارا لها وهو «مجلة للآداب والعلوم والثقافة».

وإذا حاولنا أن نسأل أنفسنا قبل أن نسأل المجلة عن الخطوات التي استخدمت لتحقيق طموحاتها، وتبسيط الأوضاع على الدروب التي بلغت بها من جذب الأنظار إليها، أقول لو حاولنا أن نسأل أنفسنا عن كل ذلك لوقفنا عاجزين نردد قول الشاعر الفحل حافظ إبراهيم حيث يقول:

**وقف الخلق ينظرون جميعا
كيف أبني قواعد المجد وحدي**

وكانني بمجلة المنهل وهي تتخطى وتتجاوز كل الصعوبات التي تقف في طريقها تجهز بصوتها معلنة وقوفها صامدة تردّد هذا البيت الشعري، وتمثّل به، وتتخذ منه سراجاً تستضيء به في لياليها المظلمة.

ولا يستطيع قارئ، أو أديب أن ينكر الجهد الذي بذله رئيس تحرير المجلة ومن يقف بجانبه يدعمون خطاه، ويؤيدون خطه، وإن يخالطني شك في أن عبد القدوس الأنصاري قد استقطب خلال زيارته للدول المجاورة الرجال المبدعين بها واستكتبهم لا سيما بعد أن عرفوا محتوياتها ومنزعمها، وعرفوا اتجاهاتها وميولها، وتوثقت صلاتهم بمجلة المنهل، وأزادوا تعلقا بها بعد أن عرفوا أنها تميز الغث من السمين.

المنهل بعد الحرب العالمية الثانية:

في عام ١٩٤٥م وضعت الصرب أوزارها، وبدأت تتفتح أزهار الأمان والأطمئنان، وأخذت

صلبة تمكّنه من الوقوف جنباً إلى جنب مع أدباء الدول المجاورة التي كان لها السبق في الارتواء من كل المناهج التي تعتبر شموماً مضيئة لنا في تطلعاتنا إلى مستقبلنا، وبظرة فاحصة ودقيقة نجد أن أدباءنا في بداية العام الأول من انقضاء فترة الحرب أي في عام ١٣٦٥هـ كانوا مصممين على أن يتركوا بوابة تصدير الأدب السعودي إلى خارج حدوده، ولو تصفحنا أعداد مجلة المنهل خلال عام ١٣٦٥هـ لتبين لنا جليا عرض أدبائنا في مطلع النهضة الأدبية على وجوب السعي للقيام بما يؤيد الدعوة إلى تصدير الأدب السعودي إلى خارج النطاق المحلي.

وفيما يلي بيان بالمقالات التي خطتها أقلام طائفة من المتحمسين لتلك الدعوة وفيما يلي نورد عناوين تلك المقالات وأسماء كتابها وأثبت تاريخ كل مقالة:

يتابع السلام دفاقة تغمر ساحات واسعة من العواصم والمدن، واستيقظت الثقافة من غفوتها بل من كبوتها على الأصح وكان للمنهل موكب هـ وجدان الأدب السعودي حرك مشاعره فهب يبحث عن ماضيه الذي تركه تحت ركام التراث يتلمس موقعه في عالمه الحديث، فكانت صيحات عشاق ذلك الجيل تطالب باتاحة الفرص لأدباء الجزيرة بأن ينهلوا مما نهل منه أدباء بعض الدول المجاورة التي سبقتنا في ترويض حلقات الآداب الحديثة التي أخذت تغزونا بما عرفت واغترفت من كل منهج علمي أو أدبي يسعى بطموحات الشباب المتطلع للمستقبل، ومن هنا انطلق صوت صريح يدعو بجرأة إلى أن نضع بصماتنا على أدبنا خارج حدودنا.

ونلاحظ تلك الدعوة يحمل لواها نخبة من المثوب لتأكيد رغبته في تثبيت أقدامه على أرض

اسم الكاتب	عنوان المقالة	رقم العدد	شهر المجلة	عام المجلة
محمد عمر توفيق	أدبنا هل يصلح للتصدير؟ أم لا؟	٦	صفر	١٣٦٥هـ
عبد الله الفاظلي	أدبنا هل يصلح للتصدير؟ كيف؟	٦	ربيع الأول	١٣٦٥هـ
أمين مدني	أدبنا هل يصلح للتصدير أم لا؟ وكيف يصلح؟	٦	ربيع الثاني	١٣٦٥هـ
عبد الله عبد الجبار	حول تصدير أدبنا وكيف يحيا	٦	جمادى الأولى	١٣٦٥هـ
عبد الله فدا	حول تصدير أدبنا	٦	جمادى الأولى	١٣٦٥هـ
محمد عمر عرب	حول تصدير أدبنا	٦	جمادى الثانية	١٣٦٥هـ
حسين عرب	حول تصدير أدبنا	٦	جمادى الثانية	١٣٦٥هـ
أحمد السباعي	حول تصدير أدبنا	٦	رجب	١٣٦٥هـ
أحمد عبد الغفور عطار	حول تصدير أدبنا	٦	شعبان	١٣٦٥هـ
علي حافظ	حول تصدير أدبنا	٦	شعبان	١٣٦٥هـ
طاهر زمخشري	حول تصدير أدبنا	٦	شعبان	١٣٦٥هـ

الاستاذ عبد الكريم الخطيب - ذو القعدة
١٣٧٩هـ.
الاستاذ علي عبد الرحمن العمرو - ذو القعدة
١٣٧٩هـ.
الاستاذ غازي حسين صابر - ذو القعدة
١٣٧٩هـ.
الاستاذ محمد الفوزان - ذو الحجة
١٣٧٩هـ.
الاستاذ أحمد حيدر مشيخ - ذو الحجة
١٣٧٩هـ.

وقد يستغرب القارئ أن الذين تناولوا الموضوعين بالتحليل والنقاش هم نخبة من الأدباء السعوديين ولكن الغرابة ستلاشي إذا علمنا أن معالجة القضايا الفكرية والأدبية لم تأخذ طريقها إلى النشر عبر الوسائل الحديثة من المجلات والجرائد، والمطبوع لا يصل إلا إلى قلة من طبقات المجتمع لا سيما تلك التي أدرك ابتناؤها نصيبا من المعرفة، أما الغالبية العظمى فقد عاشوا يتلمسون كل السبل للحصول المعرفي والثقافي من خلال الاتصال بأبناء الأثرياء الذين أفاض الله عليهم من نعمه الكثيرة ما جعل للفقراء وسيلة إلى أن ينالهم شيء من تلك النعم، على أننا لا ننكر أن للصحافة المصرية واللبنانية فضلا في تزويد عشاق القراءة مما تجود به قرائح وإبداعات المبدعين من تيارات الانهيار الفياضة بالعلوم والمعارف في مصر والعراق ولبنان.

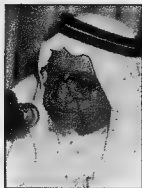
بعض صور التطور:

لعلي قد أشرت قبل عدة صفحات إلى أن الجهاز الإداري للمجلة قد أخذ يركز على معالجة موضوع بعينه يتولى مناقشته مجموعة من عشاق الأدب بحيث يتم التركيز على هذا الموضوع لمدة عام على أن يساهم في البحث أكبر عدد من أرباب القلم يغطون عناصر الموضوع فحصا وتحصيما وتدقيقا، لكن الإدارة وهي تسعى إلى طموحات واسعة المدى تتقبل من

ويستطيع القارئ أن يقف على ما يتضمنه هذا العنوان الموحد والذي تناولته هذه الكوكبة من الأدباء، وسلطت عليه أشعة أفكارها بالتحليل والنقد، وقد يصدقني ظني إذا قلت إن هذا التوجه جاء بإيعاز من قائد السفينة ألا وهو رئيس تحرير المجلة ليستقطب أكبر عدد ممكن من الذين في قدرتهم إعطاء الموضوع حقه من النقاش الجاد عبر محاور متعددة، ومشارب متباينة وطرق مختلفة، وهذا التوجه ليس الوحيد - فيما أرى - الذي كان لرئيس تحرير المجلة فضل اختيار موضوع جدير بالبحث والمداولة بغية تلاقي الأفكار لاستخلاص نتائج فعالة تعود بالنفع على القراء ولا سيما الذين بدأوا يضعون أقدامهم على أول درجات سلم الأدب.

وبالرجوع إلى كشاف المجلة الجزء الأول المنتهي بعام ١٣٨٠هـ عثرت على موضوع مختار هو: «من حديث الشعر والنثر» تناول الإبحار فيه خلال عام ١٣٧٩هـ عدد كبير من رجالات القلم، نخثار منهم:

الاستاذ نبيه عبد القدوس الأنصاري - صفر
١٣٧٩هـ.
الاستاذ محمد فؤاد على رضا - ربيع الثاني
١٣٧٩هـ.
الاستاذ علي محمد العمير - شعبان ١٣٧٩هـ.
الاستاذ ياسين أحمد الخياري - شعبان
١٣٧٩هـ.
الاستاذ أحمد العامر - ذو الحجة ١٣٧٩هـ.
الاستاذ أحمد محمد الصائغ - شعبان
١٣٧٩هـ.
الاستاذ عبد الرحيم أبو بكر - شعبان
١٣٧٩هـ.
الاستاذ عبد الوهاب السنوسي - شعبان
١٣٧٩هـ.
الاستاذ هاشم عبده هاشم - ذو القعدة
١٣٧٩هـ.
الاستاذ حسين بن حامد - ذو القعدة ١٣٧٩هـ.
الاستاذ صالح سليمان الوشمي - ذو القعدة
١٣٧٩هـ.



أحمد السباعي



أحمد عبدالفتاح عطار



أحمد ياسين الخيري



طاهر زخاري

المنهل وقفت صامدة تحدى كل الصعاب بأيمانه وجلده

توجه أخذت به مجلة
المنهل تتبني به الأثر
الفكري والمعرفي..

ولم يقتصر
تطوير مجلة المنهل
على العناية بالأعداد
المتأخرة أو المتخصصة
ولكنه ينصرف إلى
غير ذلك من وسائل
التجديد والتطوير
ولعل الشيخ عبد
القدوس الأنصاري -
رحمه الله - قد أشار

إلى ذلك بما كتبه
كمقدمة للعدد ٤٧٣
الصادر شهر محرم
١٤١٠ [١] حيث قال:
«إذا كان معنى
التطور هو: التحرك
الدائم من حسن إلى
أحسن، وإذا كان
معنى (التقدم) هو
السير الرتيب إلى
الأمم فإن المنهل

ذوي الألباب الذين وهب الله لهم رجاحة العقل،
وسداد الرأي النصيحة الصادقة، والمشورة
الحكيمة بالاضافة إلى ما يتمتع به رئيس
التحرير من حكمة وإدراية وبما منحه الله من
توفيق، وبما رزقه الله من ذرية صالحة، فطرق
باب التحسين واختار درب التطور، فاعد العدد
وجهن القوى، وشد العزم، فالتزم أو لنقل ألزم
نفسه أن يقدم كل عام للقارئ العربي عددا أو
عديدين ينفرد كل منهما بموضوع يبحر فيه من
يبصر في أعماقه فيفوز بالدر والجواهر، ويترك
الحار لغيره. وهذه الأعداد المختارة أعطيت
مسميات متنوعة فهذا عدد خاص، وهذا العدد
المتان، وهذا العدد السنوي المتخصص، وهذا
العدد السنوي الخاص. وكل هذه المسميات تدور
في فلك واحد فكل منها يتناول موضوعاً مستقلاً
بذاته، وما اختلاف الأسماء وتباينها إلا وسيلة
لجذب انتباه القارئ وإيقاظ غريزة حب الاطلاع
في نفسه، وما هذه الأعداد المتخصصة أو
المتأخرة، أو السنوية الخاصة إلا أسفار ملئت
ثقافة وعلماء وأدباء «شعرا ونثرا» وقصصا
وروايات، وكل سفر منها يعتبر روضاً تنوء
أغصانه بالثمار البانعة، وتظلل زائريها بما
يأسرهم من سمات عاطرة تحمل في أنفاسها ما
يثير العواطف ويلهب الوجدان، ويحرك المشاعر.

ولقد رفعت الصفحة الثانية من العدد
(٥٣٠) الصادر - شوال - القعدة عام ١٤١٦هـ
عنوان «الصحافة - السلطة الرابعة» وتتضمن تلك
الفكرة الأهداف النبيلة المتوخاة من اصدار
الاعداد السنوية، وفيما يلي نبذة مما حملته تلك
الفكرة «الاعداد السنوية الخاصة التي تصدرها
المنهل، تأخذ منهجية العطاء المعرفي المتناغم
للمتسق، كلمة ومضمونا.. مما أكسبها
خصوصيتها في طبيعة الطرح.. وخصوصيتها
في المرجعية، لأنها غدت عملاً فكرياً ثباتاً موقفاً.
إذا كان الكتاب يمثل وجهة نظر كاتبه
فحسب، فإن العدد الخاص - في موضوعه -
يتسع لوجهات نظر عدة بعدد الكتاب المتناولين
لجزئيات وتفصيل الموضوع المطروح.. وهذه
ميزة لا تتوفر للكتاب ذي النظرة الواحدة.. وهذا

الأستاذ نبيه يعينه في إدارة دفة العمل ابنه
الأستاذ زهير ونعم الشبل من ذاك الأسد.

والتطوير والتجديد لم يتوقف بل أخذ المنهل
يزداد عطاء وارتقاء وسعياً لكل جديد، ولعل
الجديد في رحلة مجلة المنهل هو استبدال
شعارها الأول منذ تأسيسها وهو «مجلة الآداب
والعلوم والثقافة» بشعار جديد هو: «مجلة العرب
الأدبية» هذا الشعار تم اعتماده منذ بداية عام
١٤١٠هـ وفي رأيي - وهو مجرد رأي غير ملزم -
أن هذا الشعار قد حصر توجهات المجلة في
الأدب وترك الاهتمام بالمجالات الأخرى فالشعار
الجديد استبعد الينابيع الفكرية والانسانية
والثقافية والاجتماعية واكتفى بالنواحي الأدبية،
وليس هذا نقداً ولا اعتراضاً وإنما ذلك مجرد
رأي خاص فالمعروف أن الشعار يظل ملزماً
للشيء الذي اختير من أجله، وإذا أرادت
المؤسسة تغيير شعارها فلتعبر عن ذلك بشعار
تقل كلماته ويتسع شأته كأن نقول مثلاً «مجلة
الفكر والوجدان العربي» لأن اقتصار المجلة على
شعارها الجديد هضم لما كانت تتشبع به في
السابق [٢].

ولقد أعجبتني كلمة للمشيخ عبد القدوس -
رحمه الله - صدر بها عدد المنهل رقم ٥١٥ ذو
الحجة ١٤١٤هـ بعنوان (مما قل) جاء فيها قوله:
«نأمل أن تكون هذه المجلة: المنهل منهلاً
فيأضاً وصافياً دائماً ينضج بالأدب الحي،
وبالعلم النافع المنير».

وقد كان ومازال هذا هو الهدف الذي
توخيناه، والذي نتوخاه، منذ صدر «المنهل» إلى
اليوم، وفيما بعد اليوم أيضاً، ومن أجل ذلك
حافظنا - ما استطعنا - على خط سيره الأساسي
في جميع أدوار حياته وتطوره وقد كان شعاره:
الجمال والاعتدال: الجمال في المظهر، والاعتدال
في المخبر، وبعبارة أخرى الجمال في الإخراج
والاعتدال في الانتاج.

ولتواؤم الشعار والهدف حرصنا على أن
يكون فيه صفة الشمول، فيكون منهلاً للجميع
على قدر الامكان - يرده العالم الكبير، والمثقف
الصغير، والأديب الواعي، والشباب الطامح،

نور المنهل جمعت فكره الرواد في الثقافة والادب

متطور ومتقدم.
إن تطور المنهل
أريد له بادئ ذي بدء
أن يكون ذاتياً نابعاً
من داخله أولاً، ليفيض
نور هذا التطور على
خارجة ثانية، فيتفق
الداخل والخارج في
التطور والتقدم.

لقد تنوعت
موضوعاته وبسمت،
وقسمت إلى أبواب
ثابتة مركزة، ليجد كل
قارئ ما يشتهي أن
يقراه، وأن يستفيد منه
فيما تميل إليه طبيعته
من بحوث وفنون».
ويلمس القاري
التتابع الخطوات
الموفقة التي كان
يخطوها رائد المنهل
إبان رحلته الصحفية،
والتي سار على
نهجها ساعده الأيمن



حسين عرب



عبدالمقصود خوجة



د. هاشم عبده هاشم



عبدالقدوس الانصاري

أفقهها، وإطالما حاول البعض أن يقتنعوا راعيها بالتخلي عنها لكنه يرفض كل الرفض أن ينحو هذا المنحى ويستسلم لهذه الرغبة التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب غير أنه يظل شاهرا أصراره ومقاومته ضد المغريات التي يروج لها أولئك الذين يبذلون قصارى جهدهم في تقديم النصيحة إليه، وهيئات هيئات أن يتخلى امرؤ عن حب تملك قلبه، واستوطن عواطفه، ومآزج نبضه وحاسيسه.

ختاما هناك كلمة تهنئة نابعة من قلب يفيض حبا وتقديرا لرئيس التحرير الأستاذ نبيه الانتصاري ولعضده وساعده ابنه زهير ولعالمين بالمقسسة الصحفية المباركة وأعني بها مؤسسة المنهل داعيا الله أن يسدد خطاهم، وأن يوفقهم إلى تحقيق ما يطمحون إليه والله من وراء القصد.

الهوامش:

(١) تحت عنوان (مما قل) وهي كلمة مستلة من بعض كتابات الشيخ عبد القدوس الانتصاري عمدت المنهل إلى نشرها في بطن الغلاف الأول لكل أعضائها وتاريخ نشرها السابق.. ذكرى وفاء وتقدير وعرفان لمؤسس هذه المجلة.. (المنهل).

(٢) استاذنا الشاعر الأديب احمد سالم باعطب من محبي المنهل، وكتابه وهو وفي لها أيدا.. تقدر له هذه اللفتة الذكية، ونؤكد له أن شعار المنهل الأول «مجلة شهرية للأدب والطوم والثقافة» لم يُلغ ولم يُستبدل بغيره، بل نقل إلى الداخل في بطن الغلاف الأول مواجهاً لكلمة الشيخ عبد القدوس الانتصاري (مما قل).. أما العبارة الجديدة (مجلة العرب الأدبية) المثبتة في الغلاف الأول فهي صيغة للتجديد اقتضتها مسيرة الحركة الفكرية.. ونؤكد أن المجلة باقية على شمولها في العطاء الفكري والعلمي والأدبي والثقافي والمعرفي بعمامة. ونكرر خالص الشكر للاستاذ المحب باعطب.. (المنهل).

والناشئ المتطلع، فيجد كل واحد من هؤلاء ضالته المنشودة فيه على الأقل..

وهذه الصفات المميزة تنطبق تمام الانطباق على مضمون الشعار الأول الذي خطه بيده الشيخ عبد القدوس - رحمه الله رحمة واسعة - . في ختام هذا البحث المتواضع الذي يتحدث عن مشروع جبار بل معلم بارز أنشأه ورعاه وتبناه أديب أخلص لأدبه وفكره ولغته ولوطنه وقدم في سبيل رفعة كل غال ونفيس، ولم يرض عليه بالجهد والوقت واستشهد على ذلك بنبذة من مقال للشيخ عثمان الصالح - أنسأله الله في عمره - حيث ورد ذلك في الصفحة ١٩٤ - ١٩٥ من العدد «اليوبيل الذهبي» الصادر في شهر المحرم وصفر عام ١٤٠٥ هـ ما يلي:

«قبل سنوات وفي عهد الملك خالد - رحمه الله - زارني وشكا لي عوزاً وعجزاً في المجلة وأنها كبلت بالديون، وأنه ناء كاهله بها، وأحدثت عنده هما وغما، فقلت ألا تقابل الملك خالد؟ فقال: إن في هذا تثقيلاً.. ولا أريد ذلك.. وكسر الشكوى لي وما يعانیه في ميزانية المنهل.. فقلت له أتركها وترتاح من هذا العناء الشاق وهذا الإرهاق. فقال: لا أحب أن أسمع هذا الكلام فسوف أكون معها حتى لو بعث بيتي وبذلت كل ما أملك، فعرفت أنه صاحب كلمة ورب مبدأ».

وفي العمود الأخير من المقال نقراً هذه الفقرة:

«في الأونة الأخيرة ومنذ سنتين تقريباً قلّ توزيع المنهل وصارت لا تصل إلى مشتركها مع أنها مطبوعة.. لأن الوكلاء الذين يتولون التوزيع ما كانوا يرغبونها - أولاً - لأنها مجلة شهرية، وثانياً لأنها أدبية جامعة، والصحافة السيارة أيسر وأنفع في التوزيع وما في المجلة وتوزيعها مكاسب.. ثم صارت أحياناً لا تصدر إلا في الشهرين مرة واحدة».

وهذا القول في مجمله يعطي الدليل الصريح على أن مجلة المنهل منذ ولادتها وهي تخطو صامدة وبإصرار تتحدى ما يقف في طريقها من عوائق مالية، وتمزق السجف التي تتنبذ في

الأنصاري والمنهل .. الريادة والتفوق

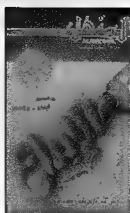
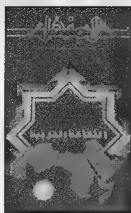
المنهل تمثل تاريخاً موثقاً لتطور البلاد وسجلاً حافلاً لروائع الأدب وابداعات المفكرين

للمنهل أوليات أضفى عليها صاحبها ومؤسسها - رحمة الله عليه - من روحه وعلمه الغزير، وثقافته الواسعة وأفقه الواسع، فقد رأيناها يتابع كل أحداث التاريخ الاسلامي البارز، وكل المناشط الانسانية، والاجتماعية الوطنية بأصدار اعداد ممتازة غدت سجلاً وثائقياً لكثير من المناسبات الرائعة فضلاً عن الاعداد السنوية الممتازة (وكل هذه الأوليات) بدأت من وقت مبكر من حياة المجلة.

والمنهل تكاد تكون المجلة الأولى في نشر بعض الاصدارات القيمة، وتعمل على احدثائها مع اعدادها مثل، المرصاد في النقد، التوأمين، النقوش والآثار في صخور الحجاز، شذرات الذهب، آثار المدينة المنورة، ودراسة ديوان الانصاريات، احاسيس اللظى، من عبير الصحراء.

والمنهل - من المجالات الرائدة التي انشأ صاحبها في دارته (ندوة فكرية) ساهم فيها كبار رجال الدولة وعلماء القوم من الأدباء والمفكرين والمتقنين تبادلوا فيها موضوعات على جانب كبير من الأهمية ومن ساهم فيها الأساتذة محمد سعيد العامودي، عبد الله عبد الجبار، عبد

وأنا أكتب كلمة بمناسبة دخول مجلة المنهل عامها ٥٠٦٧ تلبية لدعوة كريمة من القائمين عليها، تدافع الى خاطري جهاد صاحب مجلة - المنهل - ورئيس تحريرها، شيخ الأدب الرائد العلامة الموسوعي الأستاذ الجليل عبد القدوس الانصاري - طيب الله ثراه وجعل جنات الفردوس الأعلى مثواه - فرايت أن أقصر كتابتي على بعض انجازات المنهل ومبادرات صاحبها وإصراره ومصابرته على استمرار المجلة لاداء رسالتها المعرفية والثقافية لذلك لم تثن قناته، ولم تفتقر عزيمته، ولم يداخله اليأس .. وظف كل ما وهبه الله من خصال الخير، ومكارم الاخلاق، فجمع لها كل ما ضمن لها النجاح من التمسك برسالتها المقدسة كواحدة من أفضل المجالات الثقافية التي صابرت وتغلّبت على كل معوقات الاستمرار، والذويوع، والانتشار وكذلك جمعت حولها قلوباً كبيرة، ذات أقلام رصينة، وابداعات رائعة ذائعة، امتازت بغزارة العلم وعمق الثقافة وتنوع الاهتمامات الابداعية .. وتعدت الى اسهامات الأدباء والمفكرين العرب .. واستثمرت تلك المشاركات وتطورت بجهود من خلفه على رعاية (المنهل)، واعداد السنوات القريبية شاهد بأن



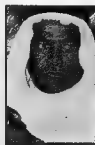
الاعداد السنوية الممتازة سجل وثائقي في موهنوعاتها

التي اتخذت من المنهل مرجعاً في التوثيق.
حين حل الأجل بصاحب - المنهل الاستاذ
الشيخ عبد القدوس - رحمه الله - نهض ابنه
الاستاذ نبيه (وله من اسمه نصيب)، ليواصل
المسيرة ويمضي في خطى التقدم والتطوير وابنه
- زهير - لسان حاله يهتف بقول الشاعر:

تبني كما كانت أوائلنا تبني

ونصنع مثل ما صنعوا

بل صنعوا فوق ما صنع الأولون ، فالمنهل
اليوم حديقة فينانة طيبة ثمارها ، شرقت وغربت
واستقطبت الباحثين والمفكرين من أقصى المغرب
والمشرق ، وأساتذة الجامعات ، فحق لنا أبناء هذه
البلاد أن نفاخر - بالمنهل - خير
رسول للصحافة السعودية ،
والمجلات الثقافية التي تقف مع
رصيفاتها في عالمنا المعاصر
في قمة العطاء الثقافي .



بقلم : مصطفى حسين عطار

- جدة -

العزیز الرفاعي، الشيخ عبد الله خياط أحمد
علي، أحمد عبد الغفور عطار، السيد هاشم
الزواوي، إبراهيم فهد، حسين عرب، شكيب
الأموي، وغيرهم .

وقد حياهما السيد صالح شطا أحد علماء
مكة المكرمة ونائب رئيس مجلس الشورى، في
مقال افتتاحي نشر بعدد جمادى الثانية ١٣٦٧هـ
مشيداً بها معتبراً (ندوة المنهل) تجدداً لمجالس
العلماء والأدباء مع مطلع هذا القرن .

وقد عمل استاذنا عبد القدوس بنشر وقائع
كل الندوات بنصها في اعداد منهله الرائع
وكانت تتناول مختلف الموضوعات الحيوية من
أدبية ودينية، وعمرانية واقتصادية وملخص
الحديث أن - المنهل - مجلة الثقافة والعلم والمعرفة
بأعوامه السبعة والستين مثلت وتمثل تاريخاً
موثقاً لتطور البلاد وسجلاً حافلاً لروائع الأدب
وابداعات المفكرين، وأبحاث المؤرخين الثقافية .
وقد اتخذت المنهل مرجعاً وحجة ضمن سلسلة
المصادر الوثيقة في المراجع التاريخية وكتب
التراجم وكتاب (الأعلام) للزركلي أحد المؤلفات

الدور الجديد لمجلة المنهل

حماية اللغة العربية من الحرب الإلكترونية

العربية الاسرائيلية التقليدية في الميادين العسكرية والاقتصادية والسياسية.

وربما يستغرب البعض حينما نقول أن العرب يتعرضون في هذه الأيام لحرب هي الأشرس في تاريخهم القريب والبعيد، ومن هذه الحروب الشرسة الحرب الإلكترونية المعلنه على لغتنا العربية الجميلة.

إن اللغة العربية هي لغة القرآن والعقيدة وهي رمز الوحدة والقاعدة الأساسية للهوية الثقافية، وهي النافذة التي نطل من خلالها على تكنولوجيا العصر من الفاكس والكمبيوتر حتى الإنترنت، وأهمية اللغة تكمن في أنها أسهل الوسائل التي يستخدمها الإنسان لفهم المعاني. بمعنى أن اللغة العربية هي وقود الإنسان المسلم في مواجهة التحديات والأمم - في كل أطوار التاريخ - تبدأ مراحل اضمحلالها حينما يصل العدو الى مرابض اللغة والهوية، حينئذ يفقد الإنسان أهم عناصر وجوده.

إن قضية اللغة العربية في مواجهة تحديات العولمة وثورة المعلومات والقنوات الفضائية وثورة الهندسة الوراثية وغيرها من الطفرات العلمية الحديثة، وضعت اللغة العربية في ركن لا يحسد عليه، إذ يخشى أن تسود العالم لغة العلوم العصرية الإلكترونية بشكل غامر ولن تترك مكاناً للغات القومية (ومنها اللغة العربية).

إن التقنية المعاصرة لها دور كبير، بل

تحتفل مجلة المنهل الغراء في هذه الأيام بمناسبة مرور سبعة وستين عاماً على انشائها.

وإذا تصفحنا مجلدات هذه المجلة العريقة خلال الستين عاماً الماضية، نجد أنها قامت بدور رائد في مجال خدمة اللغة والفكر والثقافة والأدب، وكانت ومازالت منارة من منارات اللغة العربية الخالدة، كما كانت (ومازالت) عنواناً بارزاً للأدب السعودي بصورة خاصة والأدب العربي والعالمي بصورة عامة.

وإذا كنا نقدر الدور الرائد الذي قامت به مجلة المنهل في خدمة اللغة والأدب على مدى الستين عاماً الماضية، فإننا نتمنى من مجلتنا الغراء أن تعني - من الآن فصاعداً - بقضية الحرب الإلكترونية التي تشن في هذه الأيام - بضراوة - على اللغة العربية.

بمعنى أننا في عصر الانترنت والعولمة والفضائيات في أمس الحاجة أن تواصل مجلة المنهل دورها الهام في حماية لغتنا الخالدة، وكذلك أن تواصل دورها في وضع صيغ مقبولة للتعامل مع الثورة الإلكترونية القادمة.

ونعرف جميعاً أن الصراع العربي الاسرائيلي انتقل من الميادين التقليدية على الأرض... الى حرب الكترونية واسعة في مواقع متعددة على شبكة الانترنت، حيث تشهد مواقع متعددة في هذه الأيام معارك ضارية لا تقل ضراوة عن الحروب

إن الخطر الداهم على لغتنا العربية بات خطيراً وينبغي أن نتجنب أسلوب التعامل الفوقي أو السجلات والمساكات المفتعلة، أي يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الجانب التطبيقي للغة ومقارنتنا لمسائلها وبخاصة في صفوف ناشئتنا وطلابنا الجامعيين. ويجب أن لا تغيب معارف العصر المتدلخلة التي ترى في اللغة وحدة هامة من وحدات بناء الصرح الإنساني.

ولا شك أن العرب في هذه الأيام في حالة انعدام وزن، فالحرب الإلكترونية تحاصرهم من كل مكان... وللأسف ما زالوا يكافحون ويحاربون بأسلحتهم التقليدية القديمة رغم أن هذه الأسلحة لم تعد صالحة إطلاقاً لرد ضربات الحرب الإلكترونية الشرسة.

نعم ، آخر الحروب التي يتلقاها العرب في هذه الأيام هي الحرب الإلكترونية المعلنة على اللغة العربية.

والسؤال: ما هو الحل؟

الحل هو أن تشارك مشاركة قوية ولمموسة في الثورة التكنولوجية والإلكترونية والمعلوماتية التي تفتح العالم، ونسعى بكل إصرار إلى وضع اللغة العربية جنباً إلى جنب مع اللغات الحية التي تساهم في صناعة الثورة التكنولوجية الحديثة، كما أن الحل يتمثل في ضرورة تطوير

اللغة وتمكينها من التعامل مع الثورة التكنولوجية العالمية بعيداً عن التعقيدات التي تزخر بها اللغة العربية بدون مبرر.



بقلم : د. أمين ساعتي

- جدة -

وخطير في سرعة الاتصال إلى ثقافة الفكر الآخر. ومن ملامح العصر الإلكتروني أن اللغات القومية سوف تختفي داخل الكمبيوتر وستصبح مرتبطة ارتباطاً حميماً بفهم اللغات الإلكترونية الجديدة.

وعلى المدى القصير سيشاهد الإنسان البرامج الذكية والغرف الذكية والملابس الذكية، ويستطيع المرء أن يتحدث إلى سيارته ويستطيع أن يخاطب أشياء كلها من خلال شاشة صغيرة في جهاز صغير دقيق اسمه «الجوال» هذه الأشياء ستيسر عليك سبل حياتك، وستعلمك وستوفر لك المعلومات، وستنفذ لك أهم المهام التي تطلبها يومياً.

إن التكنولوجيا الحديثة سوف تفرض على الجنس البشري لغة عالمية واحدة، ولأننا نملك الآن هذه الرابطة الضخمة (من خلال الإنترنت والبريد الإلكتروني) فإن قوة هائلة تجذب العالم نحو لغة أو اثنتين عالميتين كبيرتين.

وإذا تمكن الغرب من تدمير اللغة العربية، فإنه ولا شك سوف يصل إلى تدمير الذات العربية والهوية العربية، بمعنى أن الهوية العربية في الإنسان العربي معرضة للتدمير، وإذا ضاعت الهوية فسوف يضيع معها الكثير من كنوز أمتنا ابتداءً من وحدتنا وحتى عقيدتنا.

إن دورنا الوظيفي لا ينحصر تحديداً في إطار حراسة فصاحة اللغة والسهر على نقائنها فحسب. بل أن اهتماماتنا ومسؤولياتنا المعاصرة تكمن في العمل على حراسة علم الإنسانية، والعلوم التي تتقاطع معه مثل علم النفس والسيولوجي والأنثروبولوجي والمعلوماتية في ظل منظومة تداخل العلوم الإنسانية والعملية على حد سواء.



الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية



والجدير بالذكر أن الفنان السعودي من مواليد المنطقة الشرقية عام ١٩٦٣، حاصل على بكالوريوس تربية فنية من جامعة الملك سعود بالرياض ويعمل مدرسا للتربية الفنية ورئيس لجنة الفنون التشكيلية بنادي النور، شارك بالعديد من المعارض الفنية الجماعية داخل وخارج المملكة العربية السعودية، وأقام العديد من المعارض الشخصية بالسعودية والبحرين والشارقة وتونس ومسقط. له العديد من الإسهامات في الصحافة المحلية والخليجية وله إصدارات ودراسات نقدية ومؤلفات عن الفن التشكيلي بصفة عامة وتجارب الفنانين السعوديين بصفة خاصة.

معرض الفنان السعودي/ عبد العظيم الضامن:

ضمن الاحتفالات بتتويج دولة الكويت عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠١م، ومرور أربعين عاما على استقلال دولة الكويت، ومرور أربعة وثلاثين عاما على تأسيس الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية، ومرور عشرة أعوام على تحرير الكويت.

استهلت الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية افتتاحية أنشطة وفعاليات العام ٢٠٠١ بإقامة معرض للفنان عبد العظيم الضامن من المملكة العربية السعودية ليقدّم تجربته الفنية للجمهور من خلال ثمانية وأربعين عملا فنيا تشكيليا طوع فيها ريشته لتسجل التراث الخليجي القديم بأسلوب وتقنية حديثة.

افتتح المعرض الفريق م. عبد الحميد الحججي في صالة الفنون الجميلة بمقر الجمعية بحضور سعادة سفير المملكة العربية السعودية، ومدير المكتب الإعلامي السعودي، وأعضاء من السلك الدبلوماسي، ورجال الصحافة والإعلام والمهتمين بالحركة الفنية التشكيلية.

العلامة اللغوي المحقق الدكتور ابراهيم السامرائي .. في ذمة الله



الدكتور ابراهيم السامرائي

مؤلفات في
اللغات
السامية.
الدكتور
ابراهيم
السامرائي
من مواليد
١٩٢١م في
مدينة العمارة
في جنوبي
العراق.

واسرته من

مدينة سامراء في شمال العراق. درس اللغات
السامية في السوربون.

وهو عضو في مجمع اللغة العربية في
القاهرة، وفي المجمع اللغوي الاردني، وعضو في
المجمع اللغوي الهندي، وعضو الجمعية اللغوية
الباريسية..

لقد كان الدكتور السامرائي من محبي المنزل
وكتابه البارزين.

رحمه الله رحمة واسعة.. واسكنه فسيح
جناته.. واحسن عزاء اهل وذويه وطلابه ومحبيه
.. إنا لله وإنا اليه راجعون.

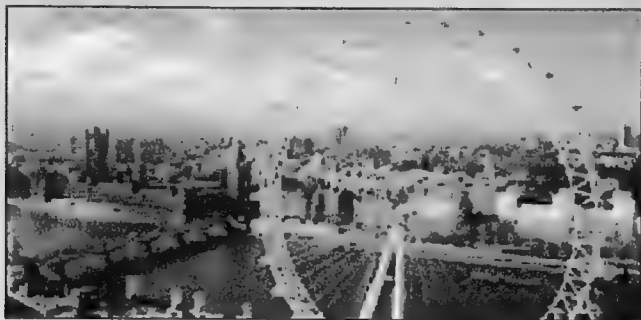
في صباح الاربعا الاول من صفر ١٤٢٢هـ/
٢٥ ابريل ٢٠٠١م. رحل عن دنيانا العلامة
اللغوي والباحث المحقق الاستاذ الدكتور ابراهيم
احمد السامرائي، وقد بلغ من العمر ثمانين
عاماً.. أفتاها في خدمة اللغة العربية، تدريساً،
ويحاثاً، وتالياً وتحقيقاً.

وله جمهرة من المؤلفات في مجال اللغة
العربية وأدابها، وفي مجال التحقيق والتوثيق
منها:

نظرة في التنوين (١٩٥٩) وتعابير أوروبية
في العربية الحديثة (١٩٥٩) والجمع في العربية
(١٩٦٠) وفي تاريخ المشكلة اللغوية (جزان ١٩٦٠ -
١٩٦٤) وبداية الفكر الجغرافي عند العرب
(١٩٦٤) ودراسات في اللغة (١٩٦١) ومبدأ
التطور في اللغة (١٩٦٤)، والجديد في اللغة
والمعجم الحديث (١٩٦٥)، وابو سعيد السمراني
وكتاب سيبويه (١٩٦٦) وغيرها.

كما حقق كتباً كثيرة، منها:

خلق الانسان لأبي اسحق الزجاج (١٩٦٢)،
رسائل في اللغة (١٩٦٤)، نزهة الألباء في طبقات
الأدباء لابن الأثير (١٩٥٩)، الجبال والامكنة
والمياه لمحمود بن عمر الزمخشري (١٩٦٨)،
وشعر الاخص (١٩٦٩) وغيرها كثير.. وله



عين لندن

فكرة تراثية تحولت الى مشروع تجاري

تعد عين لندن *London Eye* رابع اكبر منشأ في مدينة لندن بعد كاري ورف *Ca-nar Wharf*، *Telecom Tower* و *Natwest Tower*. ويعد اكبر دولا *Wheel* بالعالم من حيث الارتفاع والوزن متوقفا على دولا *Kobe* في اليابان المنشأ عام ١٩٨١م.

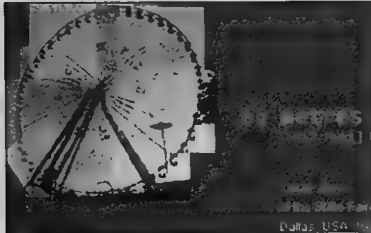
المنهل



اعداد : **وجدي ابو الريطة** - جامعة ويستمنستر - لندن



صورة رقم (١)



صورة رقم (٢)



صورة رقم (٣)

(صورة رقم ١)، ودولاب Texas Star

في الولايات المتحدة المنشأ عام ١٩٨٥م

(صورة رقم ٢)، ودولاب Techno Cos-

mos في Expo اليابان عام ١٩٨٥م

أيضا (صورة رقم ٣) حيث يبلغ ارتفاعه

١٣٥م أي ١٢٠ قدماً تقريبا أعلى من ساعة

بيغ بن كما يبلغ قطره نصف عرض نهر

التيمن ووزنه ٢١٠٠ طن.

وقد أطلقت عليه هذه التسمية لإمكان

النظر على بعد ٢٥ ميلا تقريبا في كل اتجاه

من أعلى نقطة فيه وقد أخذ دولاب لندن

شكل دولاب الدراجة الهوائية من حيث

استعمال الأسلاك في التكوين الهيكلي حيث

يوجد ٦٤ سلكا (Cables) من مركز

الدولاب (hub) موزعة على محيطه ١٦

سلكا (Cables) من مركز الدولاب

(hub) مرتبطة بالأرض، أما من الناحية

الديناميكية لم تكن الفكرة جديدة العهد فقد

اعتمد المهندسان المصممان (يفيد ماركس

وجوليا بارفيلد) على فكرة من أقنص

وقد تم إنجاز هذا المشروع واقتراحه
للغامة في شهر مارس ٢٠٠٠م.

يقع الدولاب في الضفة الجنوبية
South Bank من نهر التيمز في
قلب لندن حيث تقابله من الجهة الثانية
من النهر ساعة بيج بن الشهيرة، وقد
صمم ليكون جميلا وممتعا يطل على
مناظر مختلفة وله القدرة على
امتصاص الرياح وحالات الطقس
المختلفة.

الضهرة:

يحتوي الدولاب على ٢٢ حجرة
تحمل كل واحدة ٢٥ راكبا، يبلغ وزن
كل واحدة مع الركاب ٩٣ طن يحيطها
شباك زجاجي يمكن من خلاله التمتع

برؤية المناظر (صورة رقم ٦): والْحُجْرَة مَجْهُزَة
بمقاعد للجلوس والركاب حرية الحركة داخلها يتم
التحكم بها بواسطة محرك وهي مكيفة وأمنة.

صُمِّمَت الاضاءة من قبل فنان الاضاءة
الأوروبي Yann Kersale لتعطي شيئا من الجمال
ليلا ونهارا بالاعتماد على عناصر الهواء، الأرض،



الشرق يعود تاريخها الى حوالي ٢٠٠٠ عام عندما
استعمل الدولاب لأول مرة في العالم في رفع المياه
والسقي (صورة رقم ٥.٤).

وقد تبنت شركة الخطوط الجوية البريطانية
(British Airways) مشروع انشاء هذا
الدولاب عام ١٩٩٥م للاحتفال بقنوم الالفية الثالثة

المنهل

هل نجح المشروع تجارياً؟

تشير الإحصائيات

المتوفرة من الخطوط الجوية

البريطانية المتبنية لهذا

المشروع ان عدد رواد هذا

الدولاب سنوياً يبلغ حوالي

٢٢ مليون راكب، والدخل

السنوي ما يعادل ١٤ مليوناً

استرلينياً، أي ان ثمن التذكرة

للكباز ٧٤٥ جنيهاً استرلينياً والصغار ١٩٥ رجبها
استرلينياً.

أما كلفة المشروع الكلية خلال مراحل الانشاء

تقدر بحوالي ٦٥ مليون جنيهأ استرلينياً، وهذا يعني

أنه خلال خمس سنوات تكون المبالغ الواردة قد

غطت كلفة المشروع، هذا بغض النظر عن أن هذا

المشروع اكسب لندن أهمية سياحية كبيرة يقصدها

السياح من جميع أرجاء العالم حيث تم انشاء

المطاعم والكافتریات (مقاصف) بجانب هذا الدولاب

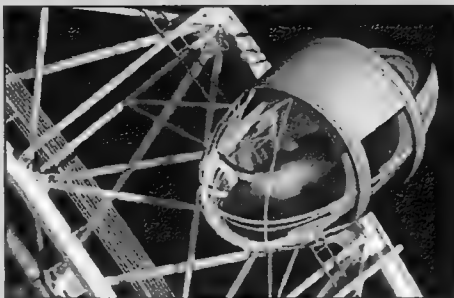
وعلى ضفاف نهر التيمز. ووفقاً لتلك الإحصائيات

يعد المشروع ناجحاً تجارياً، فهل يستفيد المهندسون

والمقاولون من البلدان العربية لتوظيف ما عندهم من

أفكار في مشاريع تجارية ناجحة ويرفون أن اصل

فكرة (عين لندن) جاءت من أقصى الشرق؟



صورة رقم (٦)

الماء والوقت وعلى كثافة تغير الضوء ١٦ مرة

بالدقيقة (معدل تنفس الانسان) حيث تعطي الحجرة

بريقاً خلال وقت الطيران الليلي.

كل حجرة مجهزة بكاميرا مرتبطة بغرفة في

الأرض تقوم بالتقاط الصور للركاب.

للدولاب تصميم متميز يجعله يختلف عن باقي

الدواليب في العالم للأسباب التالية:

١ - موقع الحجرة خارج هيكل الدولاب والتحكم

بها بواسطة محرك كهربائي.

٢ - يستند الدولاب على عمودين مائلين من جانب

واحد مما يجعل الدولاب عمودياً على النهر.

٣ - موقعه المتميز فوق نهر التيمز في مركز

لندن.

لعقوبة الحدود الإسلامية قاسية

ليس الهدف من هذا البحث الموجز دراسة العقوبات التي قررها الإسلام في جرائم الحدود، لأن الموضوع تعاوره العلماء والفقهاء بالدراسة المستفيضة، وإنما الهدف هو مقابلة عقوبات هذه الحدود بخصائص التوبة الإسلامية التي تزرع فيها؛ لأنني أظن أنهم لم يتعرضوا لهذه المقابلة التي بإمكانها الكشف عن مسوغات أخرى تجعل القلب والعقل أكثر اقتناعاً بعدالتها وشجاعتها على محاربة ما قررت بسببه.

قسم العلماء جرائم الحدود إلى الزنى، والقذف والشرب، والسرقه، والحراة، والردة، والبغى، وعرف الحد بقول أحدهم: «الحد هو العقوبة المقررة لمصلحة الجماعة» (١). وما دام الحد حق الله تعالى فإنه لا أثر فيه للعفو بعد أن يبلغ الإمام أو القاضي، وتتميز عقوبة الحدود بكونها غير قابلة للسلطة التقديرية للقاضي الذي لا يجوز له مخالفة العقوبة المنصوص عليها في مصادر الشريعة الإسلامية ما عدا إذا كان هناك سبب شرعي يمنع من تطبيقها. وستكتفي بمقابلة عقوبة الحدود في الزنى، والسرقه، وشرب الخمر، مع السلوكات العامة التي يوصلها تطبيق التعاليم الإسلامية في المجتمع الإسلامي، وعلى ضوءها قررت تلك العقوبات، وهو الجانب اللطيف الذي لم تنطرق إليه الدراسات المهمة بهذا الموضوع، ذلك أنها نكرت أن هذه العقوبات وضعت لتأنيب الجاني وكفه هو وغيره عن الجريمة، وأنها وضعت على أساس متين من علم النفس، وأن الرأفة بالمجرمين تشجع على الإجرام، في حين يكون العذاب الذي يصحب العقوبة كفيلاً بتأنيب المجرم، وزجر من لم يرتكب الجريمة (٢)، لكنها لم تشخص هذه المقابلة.



بقلم: أ.د. بو جمعة جوي

استاذ بجامعة ابن زهر - كلية الآداب والعلوم الانسانية - المغرب

في رهط فقال أبياعكم على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تقتلوا أولادكم»[٨].

وقد استوقفني قول صاحب حاشية صحيح البخاري: «ولا تسرقوا» وقد زاد في نسخة «ولا تزنا» فظننت أن عطف «لا تزنا» على «لا تسرقوا» لدليل على اعتبار الزنا ضرريا من السرقة، سرقة الشرف الذي يمثل قمة الكرامة الآمية، وما سرقة ممتلكات الناس إلا انتهاكا لحرية الإنسان الذي كرمه الله بها.

إن قطع يد السارق يعتبر ردعا لكل من سولت له نفسه سرقة أموال الناس، كما أن القصاص يردع كل مقدم على قتل آتمي بغير حق، لأن ردع من طاولته نفسه على القتل يتحقق بالقصاص، كما أن المقدم على السرقة سيردع عندما يكون متيقنا من حتمية تطبيق حد قطع اليد عليه.

لكن ما هي الشروط العامة التي يعتبرها الإسلام مسوقا شرعيا لمعاقبة السارق بقطع اليد؟ وهو عقاب قاس في رأي من يحقد على الاسلام، أو لم يفهم المنهج الذي يتبعه في تنظيم حياة المسلمين، والحكمة من ذلك، وكذا تنظيم علاقتهم مع غيرهم.

إن الشروط العامة والمسبوبات الشرعية لمعقوبات الحدود ترتبط بتسيير شؤون المسلمين على جميع المستويات، ذلك أن النظام الإسلامي يتوخى سيادة العدل في المجتمع سيادة تنطلق من كون الناس سواسية، لا فضل لأحد على الآخر إلا بالقوى، بحيث تبنى على استحضار المسلم عظمة الله عز وجل وعقابه

إن الناصقين على الإسلام أو الجاهلين لدلالة مقاصده يتخذون بعض الحدود في الشريعة الإسلامية تريعة لاتهامه بقساوة أحكامه، كالحكم بقطع يد السارق الوارد في قوله تعالى: «فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا».

يقول الزمخشري في قوله تعالى: «فاقطعوا أيديهما»: «ودخول الفاء لتضمنها معنى الشرط، لأن المعنى الذي سرق والتي سرت فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله تعالى»[٩]. والاسم يضمن معنى الشرط، ويقول «وأيدي باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والساقيات فاقطعوا أيماهم، والساقي في الشريعة الإسلامية من سرق من الحرز»[١٠].

ومن مواظ الحسن البصري: «أحذر من قطع يدك في درهم»[١١].

فإذا ثبت هذا الحد على المسلم لا يسقط، لأن في إقامته صلاحا للمؤمنين والعبادة لقوله تعالى: «ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون»[١٢]. وحديث عائشة رضي الله عنها: أن أسامة كَلَّمَ النبي (صلى الله عليه وسلم) في امرأة فقال: «إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع، ويتركون الشريف، والذي نفسي بيده لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها»[١٣]. ونهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن السرقة في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بأيعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

والإسراف في التمتع بالميزات إفساداً ينهض عنه الإسلام عوض تسليم أنصبه الزكاة خاصة إلى مستحقها .

وعليه، فإن المجتمع الذي ينسب نفسه إلى الإسلام، وتسود فيه هذه الوضعية المناقضة لتعاليمه الربانية، من الطبيعي أن تستشري فيه آفات اجتماعية من بينها جريمة السرقة، مما يجعل تطبيق حد السرقة كما شرعه الله عز وجل في النص القرآني يبدو للبعض قاسياً، بسبب انعدام الشروط التي تستخلص من النظام الاقتصادي والاجتماعي في الإسلام، ذلك أن الشخص الذي حرم من حقه في ثروات بلاده، وسدت أمامه أبواب كسب الرزق، سواء كان قادراً على العمل ورغباً فيه، أو عاجزاً عن ممارسة أي عمل، فإنه سيتربى فيه الحقد على مجتمعه الذي يرى فيه الظالم المعتدي على حقوقه، فتنشأ فيه عقدة الحقد والسخط، إلى أن يصبح في حالة يكون فيها لسان حاله «عليّ وعلى أعدائي» فيستسلم للانحرافات التي تتصدهرها السرقة، لكونها تعتبر سبيلاً للعيش عند هذه الفئة التي لم يسهم المجتمع في تربيتها تربية إسلامية تقيها من آفات الانحراف، ولم تهنيء لها نظم تسيير شؤون الدولة سبل العيش الكريم، بل كرست تقفيرها وإذلالها، لكونها وجهت اهتماماتها لمصالح ذوي النفوذ، ومن يحمونه من الأغنياء الذين لا يفكرون أصلاً في هذه الطبقة المحرومة من حقوقها، بل إنها تنمادى في الاستحواذ على كل ثروات البلد .

إن المجتمع الذي تعامل فيه شريحة عريضة محرومة بهذه المعاملة التي لا تقرها النول التي تعتبر نفسها ديموقراطية، وبالأحرى الإسلام الذي له قوانينه

الشديد قبل الإقدام على أي سلوك، مما يجعل أهل الحل والعقد يشرمون قوانين تدبير الشأن العام طبقاً للتعاليم الإسلامية المتضمنة لثواب ومتغيرات بيلور قوانينها اجتهاداً للمختصين كل حسب تخصصه، مع مراعاة التقيد بالثواب التي يتضمنها النص، لأنه لا اجتهاد مع النص، فيؤدي تنفيذ مقتضيات النصوص وكذا الاجتهاد إلى خلق توازن في المجتمع، بحيث يشعر من حرم من القدرات الجسدية التامة أنه يأخذ حقه من ثروات بلده مكرماً، دون أن يحس بمرارة المد اليد لأخذ شيء لم يبدل فيه أي مجهود، بسبب موانع حقيقية تحول بينه وبين العمل - عدا الإرث الشرعي أو الوصية - وغيرهما، كل ذلك في إطار التكافل الاجتماعي، اعتماداً على قوله تعالى في إحدى صفات المتقين (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) [٩] .

فالسائل هو الذي يستجدي لكونه لا يملك ما يقتات به، أما المحروم فهو الذي يحسب غنياً فيحرم الصدقة بمفهوميها الإسلامي، لتعففه وعدم قدرته على أن يسأل الناس إلحافاً، لكن لا ينبغي أن يفهم من الصدقة أنها التي تكون بالطريقة التي ألفناها، وهي مد المتسولين بالقليل القليل من المال، مما يجعلهم يحسون بالذل . إن طريقة توزيع ثروات البلد على أهلها، السائدة في المجتمعات الإسلامية تسببت في تكس الثروات في يد فئة محظوظة وحرمان معظم أفراد الأمة من حقوقها بإكراهات مختلفة تمت إقامتها على الظلم واليماغوجية السياسية المتضمنة لوعود كاذبة، بالإضافة إلى أن هذه الفئة الثرية لا تخرج حتى الزكاة الواجبة شرعاً؛ وإنما تقضل تبذير أضعاف التصيب الواجب إخراج زكاة وإنفاقه في الشهوات المحرمة،

المنهمل

يتجزأ، بحيث يكون السلوك الزوحي متبعاً لكل خطوة يخطوها الشخص على المستوى المادي والمعنوي، إذ ليس لكل جزء شرط مقتصر على الفعل أو الترك فحسب، ولكن يضاف إليه وجوب تحقق أثر التعاليم الإسلامية في الواقع المادي. وليس معنى هذا المطالبة بتطبيق التعاليم الإسلامية بحذافيرها لأنه مفتوح يعز تحققه بعد انقضاء المصدر الأول من الإسلام، ولكن يجب تحقيق أهم ما تؤسس عليه شروط تطبيق تلك الحدود.

والثاني: وجود فكر يتجه رأساً إلى طبيعة الحدود في الإسلام؛ مثل قطع يد السارق، أو قتل الزاني المحصن رجماً، أو جلد شارب الخمر، فيتمهما بالقساوة الفظيعة، وينعتها بنعوت سيئة تفوح منها رائحة كرهه للإسلام، وحقده على من يؤمن به ويحاول تطبيقه.

ولعل مصدر انطباعه هذا هو مقابلاته بين أنواع الظلم السائد في المجتمعات الإسلامية، وبين تلك الأحكام الشرعية التي تبدو قاسية عندهم تطبيقاً في هذه المجتمعات التي تنسب نفسها للإسلام نسباً يقوم على فصل السياسة العامة المسيرة لشؤونهم عن تعاليم الإسلام في مجال العبادات.

وعليه؛ فإن كل من يدعي قساوة الحدود في أحكام الشريعة الإسلامية أن لا يقق

العدالة في تسخير شؤون الناس، وتوزيع ثروات بلدانهم؛ الإسلام الذي لا يقبل تجزئاً تعاليمه المتلاحمة سواء على مستوى العبادات أو المعاملات، وبالتالي لا ينبغي أن يطالب البعض بتطبيق الحدود التي فرضها الإسلام على أولئك المخالفين الذين تربوا تربية غير إسلامية فسادت الشروط التي توفرها التعاليم الإسلامية. مثل العدالة في المجال الاقتصادي والاجتماعي والقضائي - منعممة في مجتمع يشب نفسه للإسلام على الرغم من كونه لا يطبق منه إلا تعاليم قليلة معرضاً عما هو أهم، فإنه من الصعب الإقدام على تطبيق بعض أحكامه؛ مثل قطع يد السارق، مما يجعل تطبيق الحدود الشرعية يصطدم بوضع لا تتوفر فيه الشروط التي توجب تطبيقها. إن حدود الإسلام حدود عادلة تحقق التوازن في حياة

المسلمين، كما تحقق الأمن والطمأنينة في الوسط الاجتماعي، ومن هذا المنطلق يمكن تكوين تصوّرين متضادين:

أحدهما: وجود فكر يفصل الإسلام عما تحققه مقتضيات شريعته من عدالة حقيقية في كافة مجالات الحياة، فيقتصر نظره على المطالبة بتطبيق العقوبات التي قررتها الشريعة الإسلامية في وضع لا يحمل من مؤثرات الإسلام إلا بعض المظاهر، ناسياً أو جاهلاً أن التعاليم الإسلامية كل لا

*** الحدود الشرعية
عقوبة مقدره
لمصلحة الجماعة.**

*** المسوغات
الشرعية لعقوبات
الحدود مرتبطة
بتسيير شؤون
المسلمين على جميع
المستويات.**

بأمراته، فأنخبروني أن علي ابني الرجم، فاقطعت منه بمائة شاة وبجارية لي، ثم إنني سألت أهل العلم فأنخبروني أنما علي ابني جلد مائة وتغريب عام، وإنما الرجم على امرأته، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، أما غنمك وجاريته فرد عليك» وجلد ابنه مائة، وغربه عاماً، وأمر أنيسا الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر، فان اعترفت رجمها، فاعترفت. فرجمها.

قال مالك: والعسيف الأجير [١٢]، وهو حد منبني على حكم إلهية؛ الظاهر منها أن المحسن الذي يعاقب بالرجم إذا ثبت الزنى في حقه ثبوتاً شرعياً، لا عذر له في ارتكاب هذا الذنب الكبير؛ لأن الإسلام مكثه من الاقتران بامرأة تلبى له رغباته، ويلبي لها رغباتها في إطار تحكمه قيود شرعية، فإذا كان للزوج قدرات كافية على تعدد الزوجات، شرط تقيد به شروط الإسلام في هذا الباب فله ذلك. أهمها ما يفهم من قوله تعالى: [فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم] النساء الآية/٣. كما أن الشريعة الإسلامية أباحت له الطلاق إذا كان في عشرته لزوجته ما يدفعه الزنى وهو الحق الذي خول للزوجة التي يحق لها أن تطلب الطلاق إذا تعرضت للضرر نفسه، ولعل الحكمة في تخفيف عقوبة الزنى على غير المحسن هي رافة الله تعالى بعيدة الذي تقلبه ورغبت الجنسية فتأتي لحظات يعجز فيها عن مقاومتها، وهي رافة لا ينبغي أن يفهم منها أن الإسلام يتساهل في ممارسة الزنى لغير المحسن الذي إذا كرر ارتكاب هذا الذنب فإن جلد مائة المرات سيسبب له ألماً شديداً قد تؤدي إلى موته فيلتحق بالزاني المحسن الذي أقيم عليه حد الرجم.

عند [ويل للمصلين]؛ فإما أن يطبق مقتضيات الثواب في الإسلام، ومقتضيات ما وصل إليه الاجتهاد في المتغيرات، فيكون تطبيق الحدود التي شرعها الله عز وجل وبينها بتقصيل نبيه (صلى الله عليه وسلم) تطبيقاً عادلاً تتجلى لعقل المسلم مظاهره، وترتاح له نفسه؛ لأنه يؤمن بالتلاحم والتكامل في مجال الشريعة الإسلامية.

وإما أن يكون المجتمع مبتعداً عن تطبيق التعاليم الإسلامية، ففي هذه الحالة لا يسأل الإسلام عن أحواله، إذ له أن يطبق ما شاء من القوانين لأن شريعة الله - وهو على هذه الحال - بريئة منه. وهو أمر ينطبق على حد الزنى الذي تنقسم عقوبته إلى القتل رجماً؛ أو الجلد بمائة جلدة وتغريب عام؛ اعتماداً على قوله عز وجل: [الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين] [١٠]. وقول النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث روت عائشة رضي الله عنها: «لا يحل دم امرء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث رجل زنى بعد إحسان، فإنه يرجم، ورجل خرج محارباً لله ورسوله فإنه يقتل، أو يصلب، أو ينفى من الأرض، أو يقتل نفسه فيقتل بها» [١١].

وقد قيدت السنة النبوية الجلد بمائة جلدة، وقرنته بالتغريب؛ كما ورد في حديث رواه أبو هريرة وابن خبال الجهني، أن رجلين اختصما إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال أحدهما يا رسول الله، اقض بيننا بكتاب الله، وأذن لي في أن أتكلم فقال: «تكلم» فقال إن ابني كان عسيفاً على هذا فرزني

*** العدل بين الناس يتقويم موازين الحق بينهم . ما دامت الشروط التي توفرها التماثيل الإسلامية منقدمة فانه من الصعب تطبيق الاحكام . * الاسلام كُـلُّهُ لا يتجزأ .**

ويقول عز وجل في حق المؤمنين: [وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليغضرن بخمرهن على جيوبهن] [١٤] .
عندما يتراعى للحاقدين على الإسلام أو الجاهلين لمقاصده أن إعدام الزاني المضمن حكم قاس، عليهم أن يمعنوا النظر في هذه التربية الإسلامية التي تربي المؤمن والمؤمنة على التحكم في غرائزه؛ وذلك بسد منافذ الإغراءات التي تكون مصدر الجرائم والسلوكات السيئة التي استشرت في المجتمعات الغربية ومن اقتدى بها، لأن من أسس الحضارة الغربية صنع مختلف الإغراءات وتمكين الناس من الارتواء في أحضانها بدعوى الحداثة، والتحرر من القيود الدينية، المتضمنة للقيم الإنسانية، وخلق الرواج الاقتصادي، وفتح المجال أمام البحوث العلمية... فالإسلام له طريقه

لماذا تشدد الإسلام في عقوبة الزنى؟

من مسوغات هذا التشدد - إضافة الى ما ذكر - أن المسلم يفترض فيه أن يخلق فيه الإيمان مجاهدة النفس، والشعور بخطورة الاعتداء على شرف امرأة، وأن من مقاصد الشريعة الإسلامية المحافظة على النسب الشرعي ووقاية الذكر والأنثى من الأمراض الخطيرة التي تصيبهما جراء هذه الممارسة غير الشرعية، وهو ما أثبتته العلم الحديث الذي سبقه الإسلام الى إرشاد العقل إليه - إلا أن هذا العلم لم يؤثر في قوانين الدول المتحضرة والمتقدمة بفحائه وتقنياته لكنها لم تشدد عقوبة الزنى تشديدا يتناسب مع ما يجلب للمجتمعات البشرية من أمراض يعجز العلم السريع التطور عن معالجتها، بل إنها مستمرة في إغراق العالم في المفريات باستغلالها للتكنولوجيا، ووسائل الإعلام، وخاصة المرأة، وتمريضها في كافة قنوات الخطاب المكتوبة والمسموعة والمرئية يسهم الإعلام المتطور في إنكائها وتقديمها في صور يخفي في البعض منها ما تتضمنه من أخطار، لكن آثارها السيئة تتحقق بتكرار التعامل معها، منها ما ألبس لباس تمتع المرأة بحريتها .

إن التماثيل الإسلامية تدعو إلى تنقية المجتمع من كل ما يفرى على ممارسة الزنى، كما ينص عليه قوله تعالى: [قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أذكى لهم] [١٣] . لأن النظرة تثير الشهوة في النفس، فعليهم أن يرضونوا فروجهم عن الزنى وعن الإبداء والكشف، يقول الشاعر:

كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي لَبِّ صَاحِبِهَا

فَتَكَتِ السَّهَامُ بِلَا قُوسٍ وَلَا وَتَرٍ

مثل هذه الجزئيات التي أصبحت غريبة حتى في المجتمعات الإسلامية لا يمكن أن تسود فيه تلك الإغراءات التي عجزت المجتمعات الغربية عن مقاومتها فأصبحت مصدر أمراض فتاكة وجرائم خطيرة، فإذا كانت التربية الإسلامية تحرم هذا الحرص الشديد على تقويم سلوك المسلم، بتهيينها لسيادة جوثي خال من مختلف الأوبئة المالية والغريزية، فإن الحدود التي وضعها التشريع الإسلامي لا يمكن للعاقل المنصف أن

يفسها بالقساوة لأن الفئة التي تهم بالإقدام على ارتكاب جرائم عقوبتها صارمة ستكون قليلة، ووجودها يعتبر طبيعياً لأن في الجنس البشري من لا يتعظ فلا يخشى المهالك التي يراها بأعينه، لذلك عمد الإسلام إلى حماية المجتمع منه، فيكون عبرة لمن يتعظ وعلى الرغم من صرامة الشريعة الإسلامية في حدودها فإنها في الوقت نفسه رؤوفة

بالإنسان شديدة الاحتياط في تطبيقها مخافة أن يخطئ القاضي في أحكامه الشرعية، استناداً إلى حديث عائشة رضي الله عنها التي قالت قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ادروا الحنود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله؛ فإن الإمام يخطئ في العقوبة» [١٧]، كما أن الشريعة الإسلامية تشترط في إثبات جرائم الحدود والقصاص عدداً معيناً من الشهود؛ إذا لم يكن دليل إلا الشهادة،

التربوية القادرة على محاربة تلك الإغراءات؛ منها هذا المشهد الذي يصوره لنا حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وعنده ميمونة، فاقبل ابن أم مكتوم - وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب - فدخل علينا فقال احتجبا، فقلنا يا رسول الله: أليس أعمى لا يبصر؟ قال: «أفعميا وان أنتما؟ أستمأ تبصرانه؟» [١٥].

إن الإسلام حرص على التنبيه لجزئيات في سلوك

المرأة قد تكون مفتاحاً لإثارة شهوة الرجل فينصاع لما يتلوها من الإغراءات؛ منها قوله تعالى: (ولا يضررين بأرجلهم ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون). يقول الزمخشري: «كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعق خلفها، فيعلم أنها ذات خلخال، ويقول وإذا نهين عن إظهار صوت الحلي بعد

*** الإسلام لا يقيم عقوبة على أحد إذا لم تتوفر شروطها وموافاتها.**
*** من ارتكب جرماً يؤخذ به، وإلا أصبح المجتمع همجاً.**

ما نهين عن إظهار الحلي، علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ. فإين تبرج المرأة المعاصرة وممارستها لمختلف الإغراءات من هذه الأوامر والنواهي الإلهية في كل مجالات لا يكاد العبد الضعيف يقدّر على مراعاتها، وإن ضبط نفسه واجتهد، ولا يخلو من تفسير يقع منه، فلذلك وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار» [١٦].

إن المجتمع الذي ينشأ فيه الفرد تنشئة تراعي

غير مباشر للقضاء على مقوماتها واستغلال الإمكانات التي تملكها.

الهوامش:

- (١) التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، تأليف عبد القادر عودة ١/٦٣٤ - ٦٣٥ الطبعة الرابعة ١٩٨٥، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- (٢) نفسه ١/٦٣٥.
- (٣) سورة المائدة الآية ٣٨.
- (٤) الكشف عن حقائق غوامض التزويل للزمخشري ١/٦٣٢، رتيه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، طبعة ١٩٨٦، دار الكتاب العربي، بيروت.
- (٥) نفسه ١/٦٣٢.
- (٦) سورة البقرة، الآية ١٧٩.
- (٧) البخاري بشرح السندي للعلامة أبي عبد الله البخاري ٤/١٧٣ طبعة ١٩٧٨، دار المعارف، بيروت.
- والحديث رواية أخرى نكرت فيها المرأة المخزومية التي سرقت وأهمت قريشا، نفسه ٤/١٧٣.
- (٨) نفسه ٤/١٧٤.
- (٩) سورة الذاريات، الآية ١٩.
- (١٠) سورة النور، الآية ٢.
- (١١) سنن أبي داود رقم الحديث ٣٧٨٩.
- (١٢) الموطأ للإمام مالك بن أنس ٢/١٨، رواية أبي مصعب الزمري المدني، حلقه وعلق عليه د. بشار عواد معروف ومحمود محمد خليل، الطبعة الثانية ١٩٩٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- (١٣) سورة النور، الآية ٣٠.
- (١٤) سورة النور، الآية ٣١.
- (١٥) الكشف ٣/٢٣٢.
- (١٦) نفسه ٣/٢٣٣.
- (١٧) رواد الترمذي في سننه، رقم الحديث ١٣٤٤.

ذلك أن جريمة الزنى لا تثبت إلا بشهادة أربعة شهود عدول يقرون بشهادتهم الجريمة وقت وقوعها حقيقيا، في حين تثبت بقية جرائم الحدود والقصاص بشهادة شاهدين عدلين على الأقل. لكن ينبغي أن ننتبه لشهادة الزور الصادرة من أناس ينسبون أنفسهم للإسلام وهو بريء من سلوكياتهم العديدة، مما يطرح علامة استفهام عن مدى عدالة بعض الاحكام القضائية التي تبني حجيتها على شهادة هذا النوع من الشهود الذين يتخونون الشهادة حرفة، ويجعلونها رهن إشارة من يزودهم بالمال مقابل شهادة الزور. فهل هناك قانون وضعي أعدل وأكثر رافة من شريعة الله عز وجل؟!

إن المجتمع الذي يباح فيه شرب الخمر ينظر فيه إلى عقوبة شربها على أنها عقوبة قاسية، وتكون بالجلد ثمانين جلدة، أو أربعين جلدة عند الشافعي الذي لم يعتبر الأربعين الأخرى من الحد، وإنما هي تعزير، وهي نظرة تبدو منطقية، لأن الإسلام لما قررها اعتمد طبيعة تشريعاته التي تحرم صناعة الخمر وما يتلوهما من طرق تداولها، لحكمة أدرك العلم المعاصر جزءا منها، وهو بعض أضرارها المادية والمعنوية، فما دام في تحريمها مصلحة كبيرة للمجتمع؛ على مستوى الفرد والجماعة، فإن قسوة عقوبتها المزعومة تنبغي لتصبح حكما عادلا يقي المجتمع من أضرارها الخطيرة المنتشرة في مجتمعات تتعاطى شربها.

وعليه؛ فإنه لو طبقت تعاليم الإسلام في المجتمعات التي تنسب نفسها للإسلام لقضي على ما تعاني منه من أسباب التخلف، وما يهدد أمنها وطمأنيتها، ومن تعدد اتجاهاتها السياسية، والفكرية، والعلمية تعددا يؤدي إلى ضعفها فتكالب عليها الدول التي تحقد على الإسلام ساعية إلى استعمارها استعمارا مباشرا أو

بعض المبادئ التربوية في خواتيم سورة البقرة

يقول الحق تبارك وتعالى:

[أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرناك ربنا وإليك المصير * لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا وغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين] (البقرة/ ٢٨٥ - ٢٨٦).

مع هاتين الآيتين العظيمتين بما اشتملتا عليه من معان عظيمة ومبادئ كريمة جعلتهما خير ختام لسورة البقرة التي تعد أطول سور القرآن الكريم على الإطلاق طوفاً سريعاً لتتعرّف على بعض المبادئ التربوية القرآنية التي وصفها الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي بقوله: «المبادئ التربوية هي تلك الأحكام والنظم والقيم التي أرساها ودعا إليها القرآن الكريم مما يقوم عليه تهذيب الفرد وترقيته في الخلق والسلوك» [١].

ومن هذه المبادئ التربوية التي يمكن استنباطها

من هاتين الآيتين الكريمتين ما يلي:

١ - أن التربية الإسلامية تقوم على أصول عظيمة لا يمكن أن تتحقق إلا بالإيمان الكامل بها وهي ممثلة في قوله تعالى: [كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله].

وهذا يعني أن الإيمان الشامل الذي جاء به هذا الدين هو القاعدة العظيمة لكل جزئية في حياة المسلم وتربيته، وهو المنطلق الأساسي لكل سلوك من سلوكياته قولاً وعملاً، سراً وعلناً، أمراً ونهياً... الخ. وفي هذا الشأن يقول سيد قطب: «والإيمان بالله في الإسلام قاعدة التصور - وقاعدة المنهج الذي يحكم الحياة - وقاعدة الخلق والاقتصاد - وقاعدة كل حركة يتحركها المؤمن هنا أو هناك» [٢].

٢ - تربية المؤمنين على الالتزام التام بجميع ما جاء به معلم الناس الخير (صلى الله عليه وسلم) من الكتاب والسنة المطهرة، وامثالهم إياه وقبولهم له قبول إنعان وطاعة «وقالوا سمعنا وأطعنا».

٣ - في قوله تعالى: [غفرناك ربنا وإليك المصير]



بقلم : د. صالح أبو مراد الشهري - أبها

تربية للمؤمنين على طلب المغفرة من الله سبحانه

والتضرع اليه جل في علاه بعد أن تم إعلان السمع

والطاعة والامتثال منهم لما جاء من عند الله تعالى

لأنهم على يقين تام أن مصيرهم اليه في كل حال

وحين، كنما أن في ذلك إقرار من المؤمنين وإيمان

باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان التي سبق

الحديث عنها في صدر الآية. وفي هذا الشأن يقول

سيد قطب:

«إنها الوحدة الكبرى، طابع العقيدة الإسلامية،

ترسمه هذه الآية القصيرة: الإيمان بالله وملائكته،

والإيمان بجميع كتبه ورسله، بلا تفريق بين الرسل،

والسمع والطاعة والإنابة إلى الله، واليقتين بيوم

الحساب» [٢].

٤- أن التربية الإسلامية تقوم على مجموعة من

القواعد الرئيسية؛ ومن هذه القواعد ما جاء في قوله

تعالى: {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت

وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو

أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على

الذين من قبلنا ربنا ولا تُحملنا ما لا طاقة لنا به

واعف عنا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا}. وقد أشار الشيخ/

عبد الرحمن بن ناصر السعدي إلى بعض تلك

القواعد بقوله: «ويؤخذ من هذه الآية قاعدتان هما:

أ- قاعدة التيسير وتفي الجرح في أمور الدين

كلها.

ب- قاعدة العفو عن النسيان والخطأ في

العبادات وفي حقوق الله تعالى [٤].

ويضاف إلى ذلك قاعدة أخرى هي:

ج- قاعدة العفو عن حديث النفس وخواطرها ما

لم يترجم ذلك إلى قول أو عمل.

والخلاصة أن تربية الإنسان المؤمن بالله

سبحانه تقوم على ما أشار إليه سيد قطب بقوله:

«وهذا هو قوام الأمر في حس المؤمن: عمل بكل ما

في الواسع، وشعور مع ذلك بالتقصير والعجز، ورجاء

- بعد ذلك - في الله لا ينقطع، وتطلع إلى العفو

والمغفرة والسماح» [٥].

وبختاماً هذه بعض المبادئ التربوية التي يمكن

استخلاصها من هاتين الآيتين الكريمتين سنأخذ

المولى عز وجل أن لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) محمد سعيد رمضان البوطي (١٤٠٥هـ) منهج

تربوي فريد في القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص

١٧.

(٢) سيد قطب (١٤٠٦هـ) في ظلال القرآن، جده: دار

العلم للطباعة والنشر، ط ١٢، المجلد ١، ص ٣٣٥.

(٣) سيد قطب، المرجع السابق، ص ٣٣٨.

(٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٤١٧هـ) تفسير

الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بيروت: مؤسسة

الرسالة، ط ٢، ص (١-١).

(٥) سيد قطب، مرجع سابق، ص ٣٤١.

الإعجاز في قصة آدم (عليه السلام)

كُتِبَ لِهَيْبِهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ[٢]، وقوله تعالى {تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر، إن العاقبة للمتقين}[٤] وقوله - جل ذكره - {ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون}[٥]، وقوله تعالى {ولقد جاءك من نبي المرسلين}[٦]، وقوله تعالى {كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق، وقد آتيناك من لدنا ذكراً}[٧] إلى غير ذلك من الآيات.

فالقصص النبوية المفصلة عن آدم - عليه السلام - آية من آيات الإعجاز، وهو معنى جدير بالتدبر والتفكير، وموطن إعجاز لكل ذي عقل ولب.

٢ - تكشف قصة آدم - من خلال تتبع القصص النبوي - أن الإسلام بين الفطرة الذي ارتضاه الله للناس جميعاً منذ آدم - عليه السلام - إلى رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) قال الله العظيم: {شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وهيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب}[٨]، وقوله تعالى: {فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}[٩]، وقوله: {إن الدين عند الله الإسلام}[١٠]، وقوله {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه}[١١].

ونجد في القصص النبوية عن آدم - عليه السلام - أن الله تعالى أمر آدم بأمر، وكلفه بفعل أشياء، هي أيضاً باقية على من أتى من بعدهم من الأنبياء والمرسلين، ثم ألت إلى دين الإسلام {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتك من كتاب وحكمة ثم جاءك رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال

الناظر والمتأمل في تاريخ اللغة العربية وآدابها، يتضح له أنها تدين في تجديدها وابتكارها وحيويتها واستمرارها للبلاغة النبوية وفصاحتها، بفضل ما تستلهم منها، وما تشعه عليها بالكثير، فتتهل وتقتبس وتفتخر، فينمو الأسلوب، وتزدهر المفردات والجملة، وتترين العبارات وتعذب، وتشقق المعاني ويؤنس الغريب في مختلف الدراسات ومصطلحات العلوم.

ونحاول أن ننظر في أسلوب قصة آدم - عليه السلام - من خلال الأسلوب، وهو ما تعارف عليه القدماء والمحدثون باللفظ والمعنى، أو الصور والأفكار، أو الشكل والمحتوى، مما يجري على ألسنة المتذوقين والدارسين للنصوص الأدبية في ضوء ما تعطيه اللغة العربية وراثتها.

والأسلوب له جانبان: الأول جانب المعنى أو الفكرة أو المحتوى، والثاني جانب اللفظ أو الصورة، أو الشكل.

في الجانب الأول، يتجلى الإعجاز في القصص النبوية عن آدم - عليه السلام - في أمور عدة:

١ - إجابة النبي (صلى الله عليه وسلم) - بأخبار آدم - عليه السلام - بهذه الدقة وبهذا التفصيل والاستقصاء، وهو الأمر الذي لا يقرأ ولا يكتب، والذي لم يختلف إلى معلم أو كاهن، أو يختلف إلى أهل دين سابق من أهل الكتاب أو غيرهم - فهو كما قال الحق - تبارك وتعالى: {وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}[١٢] وقوله - تعالى: {وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك، إذا لارتاب المبلطون}[١٣] وقوله - سبحانه وتعالى - {ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما



بقلم: د. عبدالباسط أحمد حمودة - مصر

قال ابن كثير في تفسيره [١٥] قوله تعالى: (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه)

فاختلفوا في يوم الجمعة، فاتخذ اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، فهدى الله أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) ليوم الجمعة.

واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى المشرق، واليهود بيت المقدس، فهدى الله أمة محمد للقبلة.

واختلفوا في الصلاة، فمنهم من يركع ولا يسجد، ومنهم من يسجد ولا يركع، ومنهم من يصلي وهو يتكلم، ومنهم من يصلي وهو يمشي، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك.

واختلفوا في الضياع، فمنهم من يصوم بعض النهار، ومنهم من يصوم عن بعض الطعام، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك.

واختلفوا في إبراهيم - عليه السلام - فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً، وجعله الله حنيفاً مسلماً، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك.

واختلفوا في عيسى - عليه السلام - فكذبت به اليهود وقالوا لأمه بهتاناً عظيماً، وجعلته النصارى إلهاً وولداً، وجعله الله روحه وكلمته، فهدى الله أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) للحق من ذلك.

فاشرع واحد من عند الله لكف به الأنبياء من آدم إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) لما روي عن أبي هريرة [١٦] - رضي الله عنه - أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد).

٢- ومن الجانب الأسلوبي في المعنى القصصى في قصة آدم - عليه السلام - ما جاء في القصص النبوى عن خلق آدم من قبضة من جميع الأرض - فجاء بنو آدم على قدر الأرض - الأبيض والأحمر والأسود - والخبيث والطيب، والسهل والحزن) وقد

أقررتم وأختمت على ذلكم إصرى، قالوا أقررنا، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين [١٧].

وعند بعض علماء الإسلام: أن شرع من قبلنا شرع لنا إن لم يكن في شرعنا ما ينسخه، وذلك واضح جلى فيما نجده من شرائع النبيين في ديننا وبخاصة آدم وإبراهيم - عليهما السلام - وما نريد أن تشير إليه هنا من دلائل الإعجاز في قصة آدم، من أهمية أمور في دين الإسلام ارتبطت بآدم، منها على سبيل المثال: قداسة يوم الجمعة وعصرها وآخر ساعة من هذا اليوم المبارك (٠٠) وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة (٠٠) في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة (٠٠) وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة (٠٠).

وتعظيم شأن السلام وتشميت العاطس في الإسلام، وفي قصة آدم (٠٠) ثم قال له اذهب فسلم على أولئك من الملائكة - تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم (٠٠) وكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه، فطمس، فقال: الحمد لله (٠٠).

ولا يتسع المجال لاستعراض ما جاء في القرآن والسنة من أن هذا المنهج هو منهج الله الذى يريده لعباده وقد هدانا الله إليه وأضل عنه اليهود والنصارى، قال تعالى: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) [١٢].

وفي صحيح البخاري [١٤] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «يخزن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع: اليهود غداً، والنصارى بعد غد».

أثبت العلم أن جسم الإنسان مركب من عناصر تربة الأرض وأنه مادة وروح، وخلق له خصائصه ومميزاته، وليس كما يزعم المصلدون أن أصله قرد، ثم ترقى بسبب عوامل مجهولة. ففي القصص النبوي: (خلقك الله بنده، ونفخ فيك من روحه) (ولما خلق الله - تبارك وتعالى - آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله...) وأن في طبيعة الإنسان العجل كما في قوله تعالى: (خلق الإنسان من عجل).

٤- ويتضح في أسلوب القصص النبوي فكرة القضاء والقدر، وهي دعامة راسخة في عقيدة الإسلام. كما في رواية أخذ الميثاق على النرية قبل خلقها (٥٠) آدم ينظر إليهم، فرأى الغنى والفقر، وحسن الصورة ودون ذلك (٥٠) وفي محاجة آدم وموسى (٥٠) تلومني على أمر قد سبق من الله - عز وجل - القضاء به قبل (٥٠) (٥٠) تلومني على أمر قد رده الله قبل أن يخلقني بأربعين سنة (٥٠) (٥٠) أليس تجد فيها أن قد قدره الله عليّ قبل أن يخلقني (٥٠).

٥- وتبدو علامات مناسك الحج في قصة آدم - عليه السلام وتنتقل وحواء في المزدلفة وعرفات ومكة، ونزول الحجر الأسود معه، وسفره من الهند لأداء الحج (لما أهبط الله آدم إلى الأرض، قام وجاء الكعبة، فصلى ركعتين) (وبعث الله جبريل إلى آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة... ثم أمر بالطواف) (وإن لي بيتا في مكة فأتته...) (ولما أسكن الله آدم البيت) وحج آدم من الهند إلى مكة أربعين خبجة، كما ذكر ابن سعد في الطبقات.

٦- وعداوة الشيطان لآدم، وهي واضحة في القرآن الكريم وبمبسوطة في قصة آدم التي نحن بصديدها في مواطن مختلفة من قبل أن يخلق آدم، ثم بعد خلقه، ثم في الجنة ثم بعد هبوطه إلى الأرض، ثم في نريته من بعده إلى يوم الدين... فمن ابن عباس قال: تسلط عليها في الجنة فقال: ما نهاك ما ريكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين مثله، يعني مثل الله - عز وجل - فلم يصدقاه حتى نخل في جوف الحية فكلهما [١٧] (٥٠) فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما يبدؤ منه عورته (٥٠) (ولما ذاق آدم من الشجرة

فر هاريا (٥٠) [١٨]، و (إن الشيطان قعد لا يترك آدم...) وما يؤسف له أن الأدب العصري الذي ينهل منه الناس في عالما الإسلامى، يحاول إيجاد ألفة بين الإنسان والشيطان، ويجعل من آراء الشيطان لسان حال أفكاره، وهو موضع إعجاب (وقد كان الرومانتيكيون أول من أكثروا الحديث عن روح الشر أو الشيطان في أدبهم، وصوروا فيه جانباً هاماً من ذات أنفسهم، فهو حامل آرائهم فيما يعنونه من قلق وشك وضيق بالخلقية، فهم يعبرون على لسانه عن أفكارهم في عالم الريب وصلة الإنسان به، ويصورونه غالباً في صورة تستثير العطف، أو توحى بشيء من الإعجاب. وفي الشيطان مشايه منهم، فقد حاج الله ليقف على سر الخلية، ووجود الشر فيها، فأقصى عن رحمة الله دون أن يرتكب سوى ذلك ذنباً) [١٩] والرومانتيكية هي التي تهيم - منذ أكثر من قرن - على أدبنا العربي ويحكم إليها.

٧- ويبرز أسلوب القصص النبوي موضوع الذنوب والمعاصي، وأثرها على الرزق وتيسير أمر الحياة الدنيا، ثم ما لها من عاقبة في الآخرة، وأن المرء يحرم الرزق بسبب الذنوب.

فتبسم - عليه السلام - كان في الجنة في رعد العيش، طولا كالنخلة السحوق، ستين ذراعاً، موارى العورة، فلما عصى الله زلاته كل هذه النعم، وخرج من الجنة (٥٠) فلما أصاب الخطيئة في الجنة خرج هاريا (٥٠)، قال تعالى: (فقلنا يا آدم إن هذا عدوك وأزواجك فلا يخرجنك من الجنة فتشتقى) [٢٠]، وفي القصة (٥٠) وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم فاكل من الشجرة فبئت لهما سواتهما، وبصلا في حكم الذنب، فدخل في جوف الشجرة، فتنادم ربه أين أنت... فقال اهبط إلى الأرض التي خلقت منها، ولعلت الحية... (فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة...) (٥٠) يا آدم أتت أيونا خبيتنا وأخرجتنا من الجنة...) (٥٠) (أخرج من جوارى، فبعزتي لا يساكنني فيها من عصاني...) (وكان عناء آدم وحواء، وهي سنة ماضية.

أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء).

والموضوعات في أسلوب القصص النبوي كثيرة، وأكثرها مناسك ومعالم عبادات وقرابات وعادات وتقائيد عند أهل الإسلام، فليتأملها من يريد المزيد.

وفي الجانب الثاني من الأسلوب، جانب اللفظ أو الصورة أو الشكل. وهذا الجانب شاهد صدق على الإعجاز البلاغي لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث تتجلى روعة البيان وجمال التعبير في أوجز عبارة وأقصرها، وتلك هي البلاغة التي قصدها العرب، وحاموا حولها فلم يبلغوا فيها ما بلغه رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

فالبلاغة عند العرب: (إيجاز الكلام، وحذف الفضول، وتقريب البعيد) وهي (ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان، ولكنها بإصابة المعنى والقصد إلى المحجة).

قال الجاحظ عن بلاغة النبي (صلى الله عليه وسلم) [٢٢] هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف. فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإلهام وقلة عدد الكلام).

ومن صور ذلك ما جاء في قوله (صلى الله عليه وسلم) (٠٠ يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة) في هذا الإيجاز يكشف عن أكثر حياة آدم عليه السلام - إلى هبوطه من الجنة. وقوله (صلى الله عليه وسلم) «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، وفي رواية: «إن الله خلق آدم بيده، من قبضة قبضها من جميع الأرض، من السهل والجبل». وفي هذا ما يتكلم الناس عنه في علم الأجناس والوراثة وغيرهما. قد أجمله في كلمات قليلة، وذلك كله راجع إلى الأرض حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): «الناس من عبادن

٨ - ويتبدو في الأسلوب التوبة ومكفريات الذنوب، حيث يتجه آدم إلى ربه مباشرة لطلب العفو والصفح عن مخالفته، وهذا المعنى راسخ في الإسلام، حيث إن الله يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، على خلاف الذين يزعمون أن خطيئة آدم بقيت على الإنسانية، ولم تكفر إلا بصلب عيسى - عليه السلام - كبرت كلمة تخرج من أفواههم. وعندهم غفران الذنب بالاعتراف لرجال الدين (وإذا زنت امرأة أحدهم بيّتها عند القس ليطيبها له، فإذا انصرف من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيبها قبل ذلك منها وتبرك به!!) [٢٦].

لكن دين الفطرة كما في القصص النبوي عن آدم (٠٠) فلما أصاب الخطيئة. ٠٠ فالتفت فقال: يارب العفو. ٠٠ وقول الله تعالى: «قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» وفي القصص النبوي أيضا (٠٠) قال آدم ٠٠ أفرايت إن تبت هل أنت راجع إلى الجنة؟ قال: نعم) وفيه أيضا (٠٠) علمت سوما وظلمت نفسي فآفغر لي إنك أنت خير الغافرين. ٠٠ فكتب علي إنك أنت التواب الرحيم) ولما أهبط الله آدم إلى الأرض، قام وجاء الكعبة فصلى ركعتين) و(٠٠ فأنوح الله إليه: إني قد غفرت لك إذا طفت به. ٠٠ وأما التي فضل مني عليك فتستغفرني فأغفر لك، وأنا الغفور الرحيم). وفي القرآن الكريم (فتاب عليه وهدى).

٩ - يؤكد الأسلوب في القصص النبوي على علاقة الرجل والمرأة، وهي المحبة والمودة والرحمة والشفقة، وأن الرجل والمرأة يتعاونان في جلب السعادة لهما معا، لأن المرأة جزء من الرجل ومتمة له، وهو يحنو عليها ويسعى لخيرها واستقرارها (عن ابن عباس قال: خلقت المرأة من الرجل. ٠٠) وقالوا: أتحبها يا آدم؟ قال: نعم. ٠٠) و(٠٠ قعد بيكي، فقال: يا حواء قد آذاني الحر، فجاء جبريل بقطن، وأمرها أن تغزل وعلمها وأمر آدم بالحياكة وعلمه، وأمره ينسج. ٠٠) و(٠٠ أنزل معها ذهباً وقضبة، فسلكه ينابيع في الأرض. ٠٠ وجعل ذلك صداقا لحواء، فلا ينبغي لأحد أن يتزوج إلا بصداق) و(استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن

خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»
ويجمل القصص النبوي قصة آدم من قبل أن يخلق
وعداوة الشيطان له، وتقده قبل أن ينفخ الله فيه
الروح، واضراراً على التسلط عليه قبل أن يكون شيئاً
مذكوراً (لما صور الله آدم في الجنة، تركه ما شاء الله
أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به)؛

ويصور القصص النبوي العلاقة بين آدم وبين
مُحمَّد (صلى الله عليه وسلم) حيث كشف الله لآدم -
عليه السلام - عن نبيته، وما يكون منها وفيها، وعلمه
الاسماء كلها، وذلك في كلمات موجزة (مثلت لي أمتي
في الماء والطين، وعلمت الاسماء كلها، كما علم آدم
الاسماء كلها)؛

وترتبط الإنسانية من أولها إلى آخرها، في عالمها
الآزلي إلى عالمها الأبدى بين واحد ورسالة واحدة من
رب واحد، يسوق ذلك القصص النبوي في سطرين من
صفحة كتاب عادي (يدخل أهل الجنة الجنة على طول
آدم... على حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى... وعلى
لسان محمد (صلى الله عليه وسلم))؛

ويوفقنا الإعجاز النبوي على مصير الإنس والجن
والشيطان بأبلغ إيجاز وأقصر عبارة فيقول: (إن الله
أمر آدم بالسجود فسجد، فقال: لك الجنة ولن أسجد
من ولدك، وأمر إبليس بالسجود فأبى أن يسجد،
فقال: (...))؛

ومن روائع البلاغة النبوية، وجوامع الكلم الذي
عناه النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: (بعثت
بجوامع الكلم) و(... أوتيت فوائح الكلم وخواتمه
وجوامع) و(... اختصر لي الكلام اختصاراً) [٢٣]،
نقول إن ذلك يتبين من عرضه (صلى الله عليه وسلم)
لقصة آدم في جملة واحدة (خلقت الملائكة من نور،
وخلق إبليس من نار، وخلق آدم مما وصف
لكم)؛

وفي بعض المواطن يظهر القصص النبوي العبرة
والعظة في قصة آدم، عليه السلام، فيكتفى بالتركيز
عليها (إن الله خلق آدم رجلاً طوالاً، فلما ذاق
الشجرة سقط عنه لباسه، فأول ما يدا منه عورته)؛

ولما ذاق آدم من الشجرة قن هاتياً، أخرج من
جوارى، فبعرتي لا يساكنني فيها من عصاني...
وتجد كثيراً في القصص النبوي ما يشوق وما
يثير، لفت الأنظار وشد الانتباه إلى أمر مهم في حياة
المؤمنين، ومع ذلك يعرض لها في إيجاز واختصار حتى
تحقق النتيجة والفائدة، والعظة والعبرة من القصص
الحق (لو أن بكاء داود، وبكاء أهل الأرض يعدل بكاء
آدم ما عدله) وفي رواية (٥٠ مكث آدم بالهند مائة سنة
باكياً على خطيئته... فما هذا البكاء؟ قال: ٥٠)

وفي القصص النبوي يكون الحوار والسرد، وفيه
عالم الغيب، وفيه أخذ الموثيق، وإشهاد الخلق على
أنفسهم، وإشهاد السموات والأرض على بنى آدم،
وإشهاد أبيهم آدم عليهم، وغير ذلك من العجائب
والآيات التي لا يقدر على قصها إلا المعصوم. ومع ذلك
فالقصة موجزة ومختصرة في سطور قليلة، كما في
رواية الإمام أحمد عن أبي بن كعب، في قول الله -
تعالى - (وَأَخَذَ رِبْكَ مِنْ بَنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ)
(الآية) قال: جمعهم فجعلهم أرواحاً... الخ.

وفي القصص النبوي قصص الأنبياء وإثبات
نبوتهم في كلمات قليلة تبلغ المعنى المراد وتوقف
السامع على قدر كبير من العلم والمعرفة التي تصحح
عقيدته وترسخ إيمانه (النبيون مائة ألف وأربعة
وعشرون ألف نبي، والمرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر،
وآدم نبي مكلم) و(نبي آدم، وبينه وبين نوح عشرة
قرون، والرسل ثلاثمائة وخمسة عشر) و(أول الأنبياء
آدم، ثم نوح، وبينهما عشرة آباء)؛

ونقف على قصة لآدم في القصص النبوي يظهر
فيها الإيجاز بال حذف، وترك عبارات وجمل يفهمها
السامع، ولا يحتاج إليها المقام ولا يختل المعنى، على
الرغم من سقوط واختصار. أموز في الكلام كأن من
الممكن إيرادها ولكن الحذف أبلغ، ونرى هذه الطريقة
موجودة في القصص القرآني، في مواضع وسور
شتى، مثل قصص إبراهيم - عليه السلام - مع أبيه
وقومه، وموسى وهارون مع فرعون وشجرته وغير ذلك.
جاء في رواية البخاري عن أبي هريرة، عن النبي

هو أركى بالنبوة، وأشبه بمرتبة الرسالة، وكان إذا احتاج إلى البلاغة كان أبلغ البلقاء، وإذا احتاج إلى الخطابة كان أخطب الخطباء.

الهوامش :

- (١) سورة الشورى آية ٥٢.
- (٢) سورة النكبات آية ٤٨.
- (٣) سورة آل عمران آية ٤٤.
- (٤) سورة هود آية ٤٩.
- (٥) سورة يوسف آية ١٠٢.
- (٦) سورة الأنعام آية ٢٤.
- (٧) سورة طه آية ٩٩.
- (٨) سورة الشورى آية ١٣.
- (٩) سورة الروم آية ٣٠.
- (١٠) سورة آل عمران آية ١٩.
- (١١) سورة آل عمران آية ٨٥.
- (١٢) سورة آل عمران آية ٨١.
- (١٣) سورة البقرة آية ٢١٣.
- (١٤) فتح الباري ج ٢ ص ٢٥٤.
- (١٥) ج ١ ص ٣٢٧.
- (١٦) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٩٣.
- (١٧) فتح القدير ج ٢ ص ٢٤٥.
- (١٨) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٠٩.
- (١٩) د. محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية ص ١٤٧.
- (٢٠) سورة طه آية ١١٧.
- (٢١) ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى ص ٢٧٥.
- (٢٢) الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٣٦٤.
- (٢٣) كتابنا: الإعجاز في البيان النبوي ص ٥.
- (٢٤) الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٣٢٩.
- (٢٥) البيان والتبيين ج ٤ ص ٢٧ وما بعدها.

[صلى الله عليه وسلم] قال: (خلق الله آدم وطولوه يستبشرون نزاغيا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية نريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن).

والحنف والاختصار واضح مثل قوله (اذهب فسلم...) فلما ذهب إلى الملائكة وسلم عليهم ردوا عليه التحية بقوله... فقال له: هذه التحية تحيتك وتحية نريتك... والحنف أيضا في قوله (فكل من يدخل...) والخلق عندما يدخلون الجنة يكونون على صورة آدم، طولهم ستون ذراعا.

ولكن البلاغة النبوية توحى اليك بفهم ما حذف دون خلل في المعنى والمبنى، ومن هنا (كان منطقهم [صلى الله عليه وسلم] على أتم ما يتفق في طبيعة اللغة، وينتهي لها أحكام الضبط، وإتقان الأداء، لفظ مشبع، وإسنان بلي، وتجويد فخم، ومنطق عذب، وفصاحة متأدية، ونظم متسابق، وطبع يجمع ذلك كله، ومع تثبت وتحفظ وتبيين وترتيل. وقد قالت عائشة -رضي الله عنها- ما كان رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يسرد كسرهم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل، يحفظه من جلس إليه، وفي رواية أخرى عنها أيضا: كان رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه [٢٤].

وفي هذا المقام نجمل -بتصرف- ما قاله الجاحظ في مسألة إيجاز كلامه [٢٥] [صلى الله عليه وسلم] فيما روى عنه: (إننا معشر الأنبياء بكاء) واليك: القلة، فقد جعل صفة الأنبياء قلة الكلام، ولم يجعله من إيثار الصمت ومن التحصيل وقلة الفضول... وهو القائل: (إياي والتشويق) و(ابغضكم إليّ الثرثارون المتفيهقون) ثم رآه في جميع دهره في غاية التسديد والصواب التام، والعصمة الفاضلة، والتأييد الكريم. علموا أن ذلك من ثمرة الحكمة، ونتاج التوفيق، وأن تلك الحكمة من ثمرة التقوى، ونتاج الإخلاص... وأنه [صلى الله عليه وسلم] صرف تلك القوى وتلك الاستطاعة إلى ما

الحالة الدينية في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

٢ - شجرة الطرفية لقد قَدَسَ الكثير من الجهال في تلك الفترة شجرة الطرفية تقديساً كبيراً، فإذا ولدت المرأة ذكراً علقت خبلاً أو قطعة من نسيج رجاء أن تُطِيل الطرفية عمره فكان الراشي إذا أبصرها لا يكاد يبصر الأغصان والأوراق والساق، بل يظن الراشي أول وهلة أن ما يرى ليس إلا كومة من الحبال وقطع النسيج لكثرتها.

٣ - غار بنت الأمير: وفي أسفل الدرعية غار كبير يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى «بنت الأمير»، أراد بعض الفسقة أن يظلمها، فصاحت ودمت الله، فانطلق لها الغار بإذن العلي الكبير، فأجارها من ذلك السوء، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويبيعون بصنوف الهدايا، وقد نسوا قوله تعالى: [تعبدون ما تتحتون والله خلقكم وما تعلمون] [١].

٤ - الشيخ تاج الأعمي: ويروي أنه كان آنذاك رجل من الأولياء اسمه «تاج» سلخوا فيه سبيل الطواغيت، فصرخوا إليه النذور وتوجهوا إليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضرر، وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم أفواجا، وكان هو يأتي إليهم من بلدة «الخرج» إلى الدرعية لتحصيل ما تجمع من النذور والخراج، وكان أهل البلاد المجاورة يعتقدون فيه اعتقاداً عظيماً، فخافه الحكام، وهاب الناس أعوانه وحاشيته، فلا يتعرضون لهم بما يكرهون، ويدعون فيهم دعاوى قطيعة، وينسبون إليهم حكايات قبيحة، وكانوا - لكثرة ما تناقلوها وأذاوعها - يصنفون ما فيها من كذب وزور، فزعموا أنه أعمى وأنه يأتي من بلدة «الخرج» من غير قائد يقوده، وغير ذلك من الحكايات والاعتقادات التي ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم.

٥ - التوسل بقبور الصالحين والأولياء: لقد كان التوسل والتضرع إلى قبور الأولياء والصالحين هو سمة من سمات الحالة الدينية قبل ظهور دعوة الشيخ محمد

تختلف المصادر في وصفها للحالة الدينية في نجد قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فالمصادر المتحمسة للدعوة الإصلاحية تعطي صورة قاتمة لتلك الحالة إذ يصدر «ابن غنام» حكماً عاماً على أهل نجد بأنهم كانوا يأتون كل أبواب الشرك... أما «ابن بشر» فيقول: إن الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر فشا في نجد، ثم يضرب أمثلة لما كان شائعاً من ذلك الشرك، ويسمى «ابن غنام» تلك الفترة بالجاهلية، إلا أن (الدكتور عبد الله العثيمين) لا يتفق مع من يقول بأن النجديين في تلك الفترة قد ضلوا ريقاً الإسلام ولا مع القائل بأن كل أثر للإسلام قد اختفى من نجد... ويشفي قائلًا «ومع كل ذلك فإن نجداً كانت في حاجة إلى دعوة إصلاح دينية توضح للجهال من الناس ما خفي عليهم من أمور الدين وأحكامه وتقضي على كل ما من شأنه أن يخل بعقائد المسلمين، وتلزم من لم يكونوا يؤدون أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج بأدائها».

ورغم ما أبدته المصادر من وصف قاتم للحالة الدينية - ولعل سبب ذلك تحمسها لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من جهة وقربها في ذلك الوقت من الأحداث في نجد من جهة أخرى - إلا أننا سوف نأتي على ذكر بعض من البدع والشركيات التي كانت سائدة قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومنها:

١ - فصل الفصول: كان في بعض البلدان ذكر التخييل المعروف بالفحال، يقصده الرجال والنساء ويفعلون عنده أقيع الأفعال، ويتبركون به ويعتقدون فيه فكانت تأتية المرأة إذا تلخرت من الزواج ترجو أن يفرج عنها كريبها، وتقول: «يا فصل الفصول أريد زوجاً قبل الفصول» وكان الرجل المضيق عليه في الرزق والمكروب والمريض يطلبون إلى «الفحال» أن يوسع الرزق ويفرج الكرب ويشفي المرض.



بقلم عبد الله بن ناصر الحديب - الخرج

* كان الناس
أشبه بمعدة
الأوثان.

* في تلك
الفترة كثر
الدجل
والشعوذة.

* الناس
كانوا في
جمل ديني
دامس.

* ظنوا في
الأولياء
والصالحين

قضاء
حاجات
المباد من
دون الله
سبحانه.

المدفون تحت الحجارة، وقد أصبح مجموعة عظام. لا تطلب ناقتك من سعد بل اطلبها من رب سعد. لا تقل: يا سعد، بل قل: يارب سعد، فإن القادر على أن يجد لك ناقتك ليس سعدا وإنما رب سعد، ذلك لأنه الله عز وجل هو القادر على كل شيء.

لهذا يتضح لنا ما كان عليه الناس من بدع وخرافات وشركيات كانت سائدة قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، هذا من جهة ومن جهة أخرى يبرز لنا مقدار ما بذله الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في دعوته الإصلاحية المباركة التي أنارت للناس طريق الهداية والصراف القويم.

الهوامش:

- (١) سورة الصافات، آية ٩٦، ٩٥.
- (٢) هو أخ الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، وقال بالله استشهد في المعركة التي دارت بين المسلمين ومسيلمة الكذاب وقومه.

بن عبد الوهاب، ومن ذلك ما كان يفعله الجهال عند قبة «أبي طالب» وهم يعلمون أنه حاكم متعدد غاصب كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم خراجاً من المال، فإن أعطي ما أراد انصرف وإلا عاداهم وحاربهم، فصاروا يتكئون قبوره يستغيثون به عند حلول المصائب ونزول الكوارث.

وكان في بلدة «الجبيلة» قبر يعتقد أنه «لزيد بن الخطاب» [٧]، يتبرك به الجهال من العامة ويقدمون له النذور، وعندما قدم الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى العيينة كان من أبرز أعماله هدم القباب المبنية على القبور ومنها القبة التي كانت على قبر «زيد بن الخطاب» في الجبيلة ذلك بمساعدة من أمير العيينة «عثمان بن معمر» الذي سار بنحو ستمائة رجل فأراد أهل الجبيلة أن يمنعوهم من هدمها فلما رأوا عثمان وأنه عزم على حريقهم إن لم يتركوه يهدمها كفوا وخلوا بينهم، فهدم فيها الشيخ بيده لما تهيأ هدمها الذين معه، وكان بعض الجهلة يعتقدون أن الشيخ سيناله أذى بسبب هدمها، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث.

وحول التوسل بقبور الصالحين والأولياء في ذلك الوقت نسوق هذه الحادثة وملخصها أن بدوياً ضاعت ناقتة، فبحث عنها، ولم يجدها، فلجأ إلى قبر معروف في البادية وأخذ يكي ويصرخ ويصيح ثلاثة أيام متوالية من الصباح حتى المساء، وهو يريد قاتلاً: يا سعد يا سعد! فأتى لي ناقتي! وظل على هذه الحال يوماً وفي اليوم الثالث جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسأل البدوي قاتلاً: ما هي مشكلتك؟ فقال له البدوي: لقد فقدت ناقتي! فبحثت إلى قبر شيعي، وأن الشيخ سعد لا يد وأن يجدها لي! فسأله الشيخ محمد بن عبد الوهاب قاتلاً: ومن هو شيخك؟ فقال البدوي: هذا الذي يرقد في هذا القبر. فقال له محمد بن عبد الوهاب: يا هذا إنك أنت، وأنت حي، تعجز أن تجد ناقتك! فما بالك بشيخك وهو ميت؟ كيف يستطيع الخروج من قبره، ليجد لك ما تعجز أنت في العثور عليه، دعك من هذا الميت، واطلب العيون والميد من الله بدلاً من أن تطلب الكد من هذا

آداب مجالس العلماء

اليسار كانت لهم مجالس تألقوا فيها سواء كان ذلك في لباسهم أو سلوكهم أو لفظهم وكلامهم أمثال مجالس ابن الزيات، وإبراهيم بن المهدي ومن على شاكلتهم. وهناك مجالس الأدياء فمن هم دونهم في المستوى الأخلاقي كابي نواس وأضرابه عن العائين أو أمثال جحظة البرمكي.

ولكثر هذه المجالس واختلاف الرسوم المتبعة فيها، واختلاف آداب المسلمين بها سنتناول بالبحث منها آداب مجالس أهل الحديث.

ونود الإشارة إلى أن انتشار الإسلام ما بين الصين شرقاً والاندلس غرباً جعل هذه البلاد كلها إسلامية تخضع لدولة واحدة وتفتي الدين الحنيف.

وكانت قراءة القرآن والحديث النبوي الشريف محركين لهم المسلمين لاكتساب العلوم والمعرفة، وهكذا منذ القرن الأول للهجرة تعددت مراكز التعليم

والتعلم فكانت المساجد في أي بلد من بلاد المسلمين

المكان الأول لتعليم الصغار والكبار ثم أقرب

للمصنف الكاتيب، ثم انشأت المكتبات سواء في

قصور الحكام أو التي أوقفها (جيسها) أهل العلم

لطالبيه فضلاً عن الربط والتكايا التي كانت تأتي

أهل السياحة من الصوفية وطلبة العلم ممن كان

تعددت المجالس وتنوعت في حياة الناس منذ الجاهلية وخلال التاريخ الإسلامي وتنوعت الرسوم المتبعة في تلك المجالس فكانت للقبائل انديتها أو مجالسها التي تجتمع فيها لمداواة شؤونها أو لتزجية الوقت بالحديث أو سماع القصص أو الشعر.

وكانت للناس مجالس في الإسلام تنوعت أيضاً بتنوع الناس، منها المجالس العامة في المساجد لسماع الخلفاء أو الولاة أو الوعاظ أو الدروس عندما أصبح للمشايخ أماكن مخصصة داخل المساجد يلقون فيها دروسهم تفسيراً أو حديثاً أو لغة. كما كانت هناك مجالس خاصة في دور الخلفاء والولاة يدخلها الناس بعد طلب الأذن ويتبعون الرسوم المقررة فيها. والتي تعقدت كلما أوغلت الدولة في ضممار الحضارة. فكانت رسوم الدولة الأموية غير رسوم الدولة العباسية.

وكانت للأدياء رسوم وأدب في مجالسهم غير رسوم أهل الفقه والحديث وحتى الأدياء لم يكونوا سواء في مجالسهم فإلعية منهم وهم الإمراء والوزراء وكبار الشعراء والأدياء الظرفاء من أهل

وتنوء هنا الى ان مجالس أهل الحديث لم تكن على شاكلة واحدة فعنها العامة على شكل مجاضرة يسمعونها الناس في المساجد، ومنها مجالس أكثر خصوصية باهل الحديث وهي مجالس الاملاء للحديث.

وصورة هذه المجالس المخصصة للاملاء تظهر كالتالى: يكون يوم المجلس معلوما لطالبي الحديث، والشيخ الذي يدرس الحديث املاء يكون معروفا ايضا، وقبل ان يبدأ المجلس يكون الشيخ قد استعد له قلبس أحسن ثيابه وسوى عمامته ثم يدخل بسمته ووقاره. وإذا دخل المجلس فلا يتنخم أو يعبت بشيء من لحيته حتى يفرغ من القراءة إعظاما للحديث النبوي. وهذا ما كان يصنعه الامام مالك بن أنس:

ثم يتخذ الشيخ مكانه سواء على الارض امام طلبته اذا كانوا قليلى العدد بحيث يرون وجهه. أو على تخت أو دكة أو منبر اذا كان عددهم كبيرا. فاذا استتم المجلس قام المستملي (الذي يريد كلام الشيخ بعده ليسمعه لجميع طلابه) باقتتاح المجلس

تجواله ما بين المشرق والمغرب أمراً مألوفاً والتي زودت بالمكتبات أو أوقفت بها كتب العلماء. ثم بنيت المدارس في القرن الرابع للهجرة في خراسان والشام، ثم عمت المشرق زمن الوزير نظام الملك والتي سميت باسمه.

وكان نصيب الربط والمساجد بالمغرب والاندلس، وأن لم يظهر اسم المدرسة إلا في العهد المريني، كمثيلاتها في المشرق وتؤدي الوظيفة العلمية نفسها. وقد تولدت مع هذه المراكز العلمية آداب كانت موضع رعاية أهل العلم في مجالسهم أينما حلوا وحيثما ذهبوا في ديار الاسلام ولم يكن يتخطاها الا الجاهل بها او الغريب عنها. ونظرا لاهميتها الف فيها بعض أهل الحديث كالخطيب البغدادي في بعض مؤلفاته مثل (تقديد العلم) و(شرف أهل الحديث)، وكالسمعاني الذي ألف كتاب (آدب الاملاء والاستملاء) وكتاب (طراز الذهب من آدب الطلب) وهو كتاب يبدو انه اكبر حجما من الكتاب الاول إذ كثيرا ما أحال السمعياني عليه.

*** مجالس العلماء كانت لها هيبتها. ولها وقارها.**

*** مجالس العلماء ينفذ اليها الآلاف من مريدي العلم وطلابه.**

*** الشيخ المحدث، قبل السدرس يرتدي أحسن ثيابه ويتمطر بأحسن ما عنده من مطر.**

*** بعض العلماء كان لهم مبيعة مستملين يبلغ كل واحد منهم الآخر لكثرة عدد الحاضرين للسدرس.**

بقراءة سورة من القرآن يقرأ البسملة والتحميد، ويدعو للشيخ ويترضى عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين.

ويكون المستملي قريباً من مجلس الشيخ فيبدأه بقوله «من حديثك رحمك الله؟» أو من «ذكرت رضى الله عنك؟» فيبدأ الشيخ الملمي يذكر استاده «أخبرنا فلان عن فلان ويروى الحديث» ويذكره كلمة كلمة ويحاكيه المستملي ويرفع صوته بما يذكره ويمليه.

ويستحب للمستملي أن لا يخالف لفظ الشيخ في التبليغ عنه بل يلزمه ذلك خاصة إذا كان الراوى من أهل الدراية والمعرفة بأحكام الرواية.

فكان واجب المستملي أن يرفع صوته كلما كثر الزحام في حلقة الشيخ ليسمع كل واحد في المجلس.

ويكون المستملي قائماً على رجله ليسمع الطلبة الجلوس امام الشيخ وهذا ما ورد عن المستملي اسماعيل بن علي في مجلس الامام مالك بن أنس، وما ورد عن المستملي آدم بن أبي إياس العسقلاني في استملانه على شعبة بن الحجاج.

أما الأرقام التي قُدمت عن عدد طلبة العلم ومن يحضر تلك المجالس فكانت كبيرة تستوقف القارئ وتجعله يتحير في قبولها ولولا أنها وردت في أزمان مختلفة وعن بلدان متباعدة ومن قبل علماء ومؤلفين موثوقين لا يتطرق الشك الى صدقهم وبينهم لتركناها، ولكن إيرادها أن لم تكن نقصد الأرقام كما هي فلاعطاء فكرة وتصور عن العدد الكبير لطلبة الحديث ومن يحضر تلك المجالس والذي لا يخلو من المبالغة.

جاء عن مجلس يزيد بن هارون ببغداد أنه كان يضم سبعين ألف مستمع وفي رواية عن الخليفة المعتصم بالله العباسي أنه سمع بكثرة عدد حضور مجالس عاصم بن علي بن عاصم في رعية النخل في جامع الرصافة في الجانب الشرقي من بغداد، فأراد معرفة عددهم لكثرتهم التي اضطرت المستملي أن يركب نخلة معوجة ويستملي عليها، فأرسل الخليفة الى بعض من يقدر عددهم، فقدروا المجلس بمائة وعشرين ألفاً.

ومثل هذه الأرقام الكبيرة وردت عن مجلس محمد بن اسماعيل ببغداد، وجعفر القريائي:

واحد؛ فقد كان الحسن بن اسحاق بن ابراهيم البرجي ابو الفتح المستملي قد استملي علي الطبراني، ولابن الجعابي وغيرهما .

ومن الاخلاق التي يجب ان يتحلى بها طلبة الحديث ان يتميزوا عن العوام في عامة أمورهم وذلك باتخاذهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) قدوتهم واسوتهم الحسنة فيتبعون آثاره ما أمكنهم ذلك . وتوظيف السنن على انفسهم .

ومن الآداب المرعية ان يتواضع طلبة الحديث لشيخوخهم وان يداري الشيخ الملي ويرفق به ويحتمله . وقد كانت هذه الصفة تنطبق على كل طالب علم أو ادب فعن الاصمعي انه كان يقول «من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا» .

وعن عبد الله بن المعتز انه قال «التواضع في طلب العلم أكثرهم علماء» . وقد جاء عن شريك انه كان في مجلسه فأتاه بعض ولد الخليفة المهدي فاستند الى الحائط وسأله عن حديث، فلم يلتفت اليه، فأعاد المسألة فلم يعبه به

شريك . فقال: كأنك تستخف بأولاد الخلفاء» . فقال له شريك لا ولكن العلم أجل عند أهله من أن يضيئوه» . قال فجثا على ركبتيه، ثم سأل فقال له شريك هكذا يطلب العلم .

وإذا خاطب الطالب الشيخ الملي أو راجعه في شيء، عظمه في خطابه مهلاً أن يقول له «أيها الاستاذ، أو

ومثل هذه الأرقام الكبيرة وردت عن مجالس علماء البصرة فقد جاء عن مجلس عمرو بن مرزوق أنه كان يضم عشرة آلاف رجل» .

أما الذين الإسلامية في المشرق كنيسابور . ومرو فلم تكن أقل عدداً في مجالس علمائها فقد جاء عن ابي مسلم الكجي انه أملى الحديث في رحبة غسان في مسجد نيسابور وكان في مجلسه سبعة مستمليين يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه . وكتب الناس قياماً بأيديهم المحابر، ثم مسحت الرحبة وحسب من حضر بمحبرة فبلغ ذلك نيفا وأربعين ألف محبرة سوى النظارة، وكانت المجالس تختم بالحكايات والنوادر أحيانا أو بانشاد الشعر، وذلك كراهية إملال السامع واضجاره بطول أملاء الملي وإكثاره، وإذا قرغ الطلبة من الكتابة يقرأ المستملي الأملاء والطلبة يعارضون كتابهم . وإذا فات بعض الطلبة شيء من المجلس فانه يعمد الى استعارة ما كتب من بعض من حضر حتى ينسخه منه .

*** العلاقة بين طلاب العلم وشيخهم كانت علاقة احترام كامل مع السمع والطاعة .**

*** «من لم يحتمل ذل التعلم ساعة، بقي في ذل الجهل أبدا» .**

لهذا كان المشايخ يتخيرون المستملي من أفصح الحاضرين لساناً وواضحهم بياناً واحسنهم عبارة وأجودهم أداءً .

فإذا ترقى المستملي بالاجادة فقد يطلب من المشايخ ان يحضر مجالسهم لهذا ورد عن بعضهم انه استملي لأكثر من شيخ

أيها العالم: أو أيها الحافظ ونحو ذلك».

ومن الآداب الموصني بها أن على طالب الحديث أن لا يأتي الشيخ شتاء بالغداة (الفجر) ولكن إذا انبسطت الشمس، فلو كان الشيخ في جحر لفرج إليهم، ويبنو هذا الشرط لمن يزور شيخه في منزله، أما إذا كان مجلس الشيخ في

المسجد فمن المتوقع أن يتجمع طالبو العلم منذ الفجر.

وإذا أسرع طالب الحديث في المشي ليلحق المجلس ولكي لا يسبقه أحد إلى المحدث جاز ذلك. وفي هذا المعنى قال الحنيني «ثلاثة أشياء لا يستغنى عنها أصحاب الحديث سرعة المشي، وسرعة الأكل، وسرعة الخط» وذلك إن المشي السريع والأكل السريع يجعل طالب الحديث متفرغا لدرسه

مستفيدا من وقته، أما إذا أراد جماعة من الطلبة الدخول إلى دار المحدث أو حضور مجلسه فعليهم أن يستأذنوا في الدخول، وأن يقدموا أنفسهم ويدخلوه أمامهم فإن ذلك من السنة، وإذا أراد أحد الطلبة الانصراف قبل أهل المجلس سلم عليهم فانه من السنة أيضا، ويكره أن يجلس طالب الحديث بين

اثنين من المجلس بغير إذنهما ويستحب أن كان جالسا في الحلقة أن يوسع للدخل ويتحرج له عن مكانه.

ويكره القعود في موضع من قام من المجلس وهو يريد العودة إليه. وكان يكره أن يزاحم طالب الحديث غيره ليعتدرا، إنما

يجلس حيث انتهى المجلس لهذا رأينا عينة المهلب مؤدب الامير عبد الله بن طاهر (والي خراسان) ويكنى أبا المنهال يقول «كان يقال لا يتصدر الا فائق أو مائق».

ويستحب المشي على بساط المعلى حافيا لانه من التواضع وحسن الادب وإذا كان المجلس غاصا بأهله فعلى طالب العلم الا يتخطى الرقاب، الا اذا استدناه المعلى فعند ذلك يجوز له ذلك. وإذا دخل الطالب على

الشيخ فوجد عنده جماعة فيستحب أن يعمهم بالسلام.

ويستحب لطبة الحديث عدم الضحك أو رفع الصوت لأن بعض الشيوخ كان يرفض مواصلة الدرس ان حصل ذلك إذ يعده استهانة بالدرس، وزد عن محمد بن رافع انه كان في مجلسه في داره

*** «التواضع في طلب العلم اكثرهم علما».**
*** «العلم أجبل عند أهله من أن يضيئ مسوه».**
*** «ثلاثة أشياء لا يستغنى عنها أصحاب الحديث - سرعة المشي وسرعة الأكل وسرعة الخط».**

من وضع يترأس ثم يأخذ في التكبر على أرباب البيوت وأصحاب الرئاسة الضخمة. فما عساه يقول في نفسه، والله العظيم انني كنت اذا دخل علي الفقيه الذي يقرئني القرآن في صغري، أستحي ان اتكلم بين يديه بفضيلة أو علم من العلوم، لكونه كان يعرفني صغيراً لا فقيراً فكيف حال هؤلاء مع الناس».

اما كيفية الكتابة في تلك المجالس فكان على الطالب ان يكتب بأعلى الصفحة اليسلة يكتب اسم الشيخ الذي يحضر مجلسه، ثم ما يليه الشيخ بعد ذلك، ولا ينبغي للطالب ان يكتب خطأ دقيقاً الا في حال العذر مثل ان يكون فقيراً لا يجد من الكاغد كفايته، أو يكون مسافراً فيدق خطه ليخف حمل كتابه عليه، وان أولى الاشياء بالضبط أسماء الناس لانه شيء لا يدخله القياس ولا قبله شيء يدل عليه، واذا اكمل وجه الورقة واراد ان يقلبها فعليه ان يضع ورقة بينها وبين التي تليها لكي لا تنطمس الكتابة أو تتشوش أو ان ينشر عليها نخالة الساج أو غيره من الخشب.

وعليه ان يكتب الحديث بالسواد (أي بالمداد) ثم بالحبر لان السواد أصبح الالوان، والحبر أبقاها على مر الدهور.

هكذا كانت مجالس العلم، لها رسومها وتقاليدها المتبعة والتي أثمرت مؤلفات ليس لها حصص.

تحت شجرة يستند اليها ويقرأ على طلبته فشات الصدف ان يقع ثرق طائر على يدي طالب فاصاب قلعه وكتابه فضحك خادم من خدم (الامير طاهر بن عبد الله والي خراسان) وكان يصحب أولاد الامير فنظر اليه الشيخ ثم وضع الكتاب من يده وانهى المجلس فوصل الخبر الى الامير، فخاف الخادم على نفسه فجاء بهذية الى الشيخ وهي (حصيرة من صنع خراسان) وطلب اليه ان لا يذكر من ضحك في المجلس. فلما استوضح الامير عن المسألة وسال الشيخ انكر معرفته بمن ضحك رأفة بالخادم. وقد لقب الشيخ على أثره بالحصري.

وهناك من المشايخ من لا يسمح في مجلسه ان يأتي طالب الحديث من دون ان يحضر قلماً مبرياً، او ان يحدث صاحباً له، جاء عن عبد الرحمن بن مهدي انه كان لا يتحدث في مجلسه، ولا يرى فيه قلم، ولا يبتسم أحد. فإذا تحدث شخص أو برى طالب قلعه وسمعه الشيخ صاح به ولبس نعله ودخل داره.

وان احترام الشيخ عادة لا ينتهي بانتهاء الدراسة عليه وأخذ ما عنده من علم أو أدب بل يبقى الاحترام قائماً والطالب مهما كبر يبقى معترفاً بفخيل أستاذه وفي هذا المعنى حديثنا المؤرخ المشهور ابن فريدي بردي في تاريخه (النجوم الزاهرة) في أثناء ترجمة أحد الامراء وكان قد أساء العشرة مع أقرانه وأخذ بالتكبر قائلاً «وأنا أتعجب غاية العجب



الملك عبد العزيز وبواعث النهضة الأدبية في المملكة

المنهل

على الرغم من استغراق الملك عبد العزيز في مهامه السياسية داخلياً وخارجياً وتبدير الشؤون الاقتصادية والمعيشية لاجتمعه، فقد كان - رحمه الله - يعلى اهتماماً خاصاً بالأدب والأبناء وذلك لإيمانه العميق بالدور الرائد للأدب في بناء فكر الأمة، وأثره الذي لا ينكر في تقدمها على جميع المستويات، ولكي ينهض أدب أمة ما فلا بد أن يتمتع الأبناء في تلك الأمة بمجموعة من العوامل الأساسية التي تهيء لهم المناخ الملائم لإنتاج أدب فيه مقومات النهضة من أهمها: الأمن والأمان، والازداد المعرفي، وتوافر وسائل نشر الأدب ونقله، وقد حرص الملك عبد العزيز على أن يتمتع الأبناء في بلاده بتلك العوامل التي كانت من ثمار جهده الكبير الذي بذله هو وأهله سياسياً واجتماعياً وثقافياً، فالأمن والأمان يرجعان إلى ما بذله سياسياً واجتماعياً، والازداد المعرفي، وتوافر وسائل النشر يرجعان إلى تشجيعه المعنوي ودعمه المادي لإرساء دعائم الثقافة في مجتمعه وإبيان ذلك نتناول كل واحد من تلك العوامل وموقف الملك عبد العزيز منها على النحو الآتي:

أولاً: جهود الملك عبد العزيز في استتباب الأمن والأمان:

في سبيل تحقيق الأمن والأمان للأبناء وللبقية طبقات المجتمع بذل الملك عبد العزيز جهوداً جبارة وخاض معارك كثيرة بداية من فتحه الرياض سنة ١٣١٩هـ، ومروراً بفتوحاته جميع مناطق المملكة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وانتهاء بتتويج ذلك الجهد وتلك الحروب بتكوين الكيان الكبير المتمثل في قيام المملكة العربية السعودية في جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ، ولم يكن تحقق الأمن والأمان بالشئ الهين على الملك عبد العزيز فلقد سبقته أيام عصيبة من الجهاد الطويل والمشقة البالغة التي استمرت أكثر من ربع قرن



بقلم د. عزت محمود علي الدين

استاذ الأدب والفن المساعد في كلية التربية للبنات بالقصيم

معهم، وفي كثير من الأحيان كانت «تعود قوافل الحجاج إلى مكة المكرمة دون أن تستطيع الوصول إلى المدينة المنورة»[٢].

وبقي حال الجزيرة على هذه الصورة بين السلب والنهب والغارات وأُقتل حتى أن الله بميلاد عهد جديد بعد أن توحدت أقاليمها تحت راية واحدة هي راية الحق راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله» لتكون شعاراً للكيان الكبير الذي انطلق القائمون على أمره لبث روح الإسلام الحقيقية التي كانت سائدة في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وصحبه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، والتي حاول الشيخ محمد بن عبد الوهاب إحيائها من بعد ذلك بقرون عديدة

فصادفت حماة لها من أبناء آل سعود منذ عهد الإمام الأول محمد بن سعود وحتى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - يرحمه الله - وأبنائه الكرام، «وقد تم للملك عبد العزيز بفضل سياسة الحزم والعزم والشدة التي يسير عليها في إدارة بلاده وأقطاره الواسعة إقرار الأمن على منوال غير معروف في أعظم البلاد رقباً وخضارة قاطعتين الناس على أرواحهم وأحوالهم في غنومهم

من الزمان ضد الظلم والظغيان والعابثين بالأمن والأمان ذاق فيه عبد العزيز كؤوساً من الحرمان والألم من العذاب؛ فقد كانت تناصبه العداء أكثر من جهة داخلياً وخارجياً؛ ففي الداخل أعداؤه في نجد وفي الحجاز وفي الأحساء وفي بقية المناطق وفي الخارج هناك تركيا والإنجليز الذين كانوا يناصبونه العداء في كل مكان يتواجدون فيه، ويقول الملك عبد العزيز في المرحلة التي سبقت ذلك النصر العظيم الذي توج بتكوين المملكة وكان سبباً في استتباب الأمن والأمان: «عشت خمسة وعشرين عاماً في الفياقي والقفار، ولقيت من شغل العيش ومرارة الحياة شيئاً كثيراً، ونالني من طعنات السيف والسنان ما جعل الحياة في نظري لا تساوي شيئاً مذكوراً بالنسبة لإعلاء كلمة الحق ورفع راية الاستقلال»[٣].

ولا يخفى حال الجزيرة الأمني قبل الملك عبد العزيز، فقد كانت تعيش في حالة من الاضطرابات والفوضى سنين عديدة؛ فقد كانت القبائل تغزو بعضها بعضاً من أجل الثأر مرة، ومن أجل الحصول على الرزق مرة أخرى، وقبائل البوادي وسكان الهواضر كانوا يستولون في ذلك، فما سلمت المدن كثيراً من الإغارة والسطو على السكان في بيوتهم من أجل السرقة والسلب والصريح، وأكثرنا ينكر أحداث الأجداد من الحجاج عن مخاوف الرحلة لأداء فريضة الحج في مطلع هذا القرن (العشرين)، فقد كانوا يسبزون في قوافل يجرسها رجال أشداء أقوياء مسلحون لمواجهة أولئك الأعراب الذين يرتزقون من سلب ونهب أموال الحجاج، ولتفادي حوادث القتل التي كان يتعرض لها من يحاول مقاومة هؤلاء الأعراب، وكثيراً ما كانوا يقتلون الحجاج من القفر لاسئلاب ما

*** منى الملك
عبد العزيز
باستتباب
الأمن في
أرجاء
المملكة بعد
أن كانت تعج
بالفوضى
والنهب
والقتل.**

* الاستقرار

الأمني يعني

الاستقرار

الاقتصادي

ومن ثم

النمضة

الأدبية

العلمية

الشاملة.

* هرم الملك

عبد العزيز

على توافر

السزاد

المعرفي

وتوافر

وسائل

النشر.

* امتدت

النمضة

الإصلاحية

في عهد

المؤسس

الأول على

الكتاب

والسنة.

ورواهم حتى نذر وقوع
الحوادث العادية، والفضل في
ذلك يرجع إلى يقظته الزائدة
وأخذه بالشدة المجرمين
وقاطعي الطريق والهابثين
بالأمن العام فلا يرجعهم ولا
يشفق عليهم ولا تنفع عندهم
فيهم شفاعته [٢].

وبهذا عنى الملك عبد
العزیز باستتباب الأمن في
أرجاء المملكة وتوطيد
الاستقرار الذي يكفل
للإنسان أن يحيا حياة مجدية
لصالح الفرد ولصالح الشعب
كله بما في ذلك الأدباء
بطبيعة الحال وفي مثل هذا
يقول الملك عبد العزيز: (إن
البلاد لا يصلحها إلا الأمن
والسكون، لذلك أطلب من
الجميع أن يخلد للراحة
والطمأنينة، وأن يهتد
الجميع من نزغات الشياطين
والاسترسال وراء الأهواء
التي ينتج عنها إفساد الأمن
في هذه الديار، فإني لا
أراعي في هذا الباب صغيراً
ولا كبيراً، ويحذر كل إنسان
أن تكون العظة فيه
لغيره) [٤]، وكانت العظة حقاً
لأن وجهت إليهم ولغيرهم
كذلك، فتمتع السعوديون
بالأمن والاستقرار بفضل الله
ثم بفضل الملك عبد العزيز

الذي أعاد للجزيرة العربية مجدها وعزتها التي بنيت
على دعائم من العلم والإيمان وأسس من العدل وتحكيم
الشرعية الغراء «فوجد الجزيرة وأمن مسالكها وربوعها
وحمل حدودها ووفر لقاطنيها مصادر العيش الكريم
وأوردهم منازل العلم والعرفان، وقسرب على أيدي
العابثين بالأمن وأقام حكم الله بين الناس بالعدل» [٥]
وبذلك اجتثت جنور الفتن والمأثم وأخمدت نيرانها، ونعم
الأدباء مع المجتمع بالأمن والاستقرار في ظل تطبيق
شريعة غراء لا يزيغ عنها إلا هالك.

وكان من عوامل استتباب الأمن والأمان لدى
الأدباء أيضاً الاستقرار الاقتصادي والرخاء المعيشي،
وقد كان الأدباء قبل عهد الملك عبد العزيز يعانون كثيراً
من الضيق الكرب الذي ألجأ بعضاً من الناس إلى
ترك البلاد لحين انقراض هذا الضيق... وتعود أسبابه
إلى عدم نشاط الصناعة وانحصار التجارة في
الاستيراد «وقد نشأ من فقدان الصناعة تهافت الشباب
على التوظيف حتى تضخم بهم المكاتب الحكومية
والأهلية، وليس في هذا أي فخر لو أن البلاد ناشطة
في الصناعات أو ميالة إلى تفضيلها على غيرها الأمر
الداعي للأسف» [٦]، ولم ينقرج هذا الضيق إلا على يد
الملك الذي بذل ما بذل في التنقيب عن منابع النفط
حتى تفجرت تلك المنابع في سنة ١٩٣٨م، وغني عن
البيان ما وصل إليه المجتمع السعودي من رخاء
معيشي وازدهار اقتصادي فاض عليهم وعلى غيرهم
من الشعوب الأخرى منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا
الأمر الذي أدى بكثير من فئات هذا المجتمع إلى
الإفادة الحق من هذا المناخ الجديد.

وهكذا عاش الأدباء في ذلك المناخ السياسي
والاجتماعي الجديد الذي هيأه الملك عبد العزيز
فأنحسوا بالأمن والأمان، ونعموا بالرخاء والاستقرار؛
فأنتجوا ما أنتجوه من أدب وفكر ونفوسهم راضية
وعقولهم صافية وقلوبهم مطمئنة، وتأثروا أيضاً
بموجبات التأثر في ذلك المناخ، كما تجاوزوا حدود

أهداف الدعوة إذا عجزت الوسائل الإقناعية، وكانوا يعتمدون في فقههم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وفي مذهبهم العقدي كانوا يعتمدون على مذهب أهل السنة والجماعة، «وكانت هذه الدعوة غيثاً مريعاً وشمساً ساطعة الضياء نافذة الشعاع هتكت حجباً كثيفة من الجهالة وسدقا متراكمة من الظلام» [٧]، أما أثرها المباشر على نهضة الأدب فقد أثرت في خصائص الشعر شكلاً ومضموناً، كما أثرت في تعدد ألوان الكتابة وارتباطها بالدعوة نفسها من حيث ارتباطها بالمضامين الإسلامية والفكر المتقزم، وكان لها تأثير كذلك في إحداث اليقظة الفكرية في الجزيرة - كما سبق أن ذكرنا - والإسهام في إحداث بقعة ماثلة في بقية الأقطار العربية «والخلاصة أن دعوة الإصلاح التي تصافرت جهود علماء الدعوة وحكام آل سعود في مدى أدوار حكمهم الثلاثة على قيامها واستمرارها كان لها أثر يبين على الأدب شمره ونثره في نهضته وازدهاره وفي توجيه مضامينه» [٨].

٢- اهتمامه بأمور التعليم وأعمال البعثات:

من مظاهر اهتمام الملك عبد العزيز بمعامل النهضة الأدبية اهتمامه بأمور التعليم ففي أوائل عهده - يرحمه الله - قامت حركة تعليمية لا بأس بها، ثم لم يلبس أن أرسى - فيما بعد - دعائمها التي نقلتها من الاعتماد على الطرائق القيمة في الدرس والتحصيل إلى طرق أخرى جديدة تواكب ركب التقدم العلمي في الأقطار العربية الأخرى، وقد تحقق لهذا العامل العربي في وقت قصير نشر الثقافة عن طريق التعليم في مختلف ربوع الجزيرة، ومبعث ذلك هو إيمانه القوي بأهمية العلم والتعلم في رفعة شؤون المجتمع بكل طوائفه «وقد استبطن في هذه المدة الوجيزة أن يخلق في البلاد جوا علمياً حديثاً يغبط عليه المجتمع في ذلك الوقت» [٩].

يلهم التي نعمت بهذا الاستقرار فتأثروا بالقضايا الاجتماعية والوطنية والإنسانية عند الشعوب الأخرى في الأقطار العربية والإسلامية والأجنبية على السواء.

ثانياً: حرص الملك عبد العزيز على توافر الزاد المعرفي وتوافر وسائل النشر:

يتمثل الزاد المعرفي وتوافر وسائل النشر في مظاهر الحياة الثقافية علمية كانت أو أدبية تلك التي جرت في عهد الملك عبد العزيز وهي كثيرة نذكر منها الأهم تأثيراً في نهضة الأدب والأدباء، ومن ذلك ما يلي:

١- تجنبه دعوة الإمام

محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية:

معروف أن الجزيرة العربية كانت قد شغلت مدة غير قليلة من أمر الثقافة ولم تتمكن من عوامل نهضتها إلا في عهد الملك عبد العزيز يرحمه الله، وذلك بعد أن وأصل ما بدأه أبائوه وأجداده من اجتضان لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية فتبناها بتشجيع القائمين عليها والدعوة إليها والعمل على نشر مبادئها والدفاع عنها، وبقي الملك عبد العزيز على موقفه هذا من تلك الدعوة حتى أثمرت نوعاً من اليقظة الفكرية نتيجة الخلاف بين مؤيديها ورافضيها، ولا شك أن العرب بكل طوائفهم كانوا في أمس الحاجة إلى مثل هذه الدعوة التي أخرجت العقل العربي في تلك البقعة من طور الجمود الفكري الذي ران عليه نهراً طويلاً إلى آفاق أرحب من الإبرك والوعي الحضاري البناء.

ومن أهم مبادئ هذه الدعوة منع البدع والزيادة في أمور الدين، والدعوة إلى إطراح التقليد والأخذ بمبدأ الاجتهاد، والنهي عن التوسل بالصالحين، ومنع شيد الرحال إلى القبور والإيمان بالجهاد لتحقيق

* دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب أثمرت نوعاً من اليقظة الفكرية والوعى الحضاري البنّاء.

* عمل الملك عبد العزيز على تشجيع البعثات التعليمية الى خارج البلاد.

وقسبت أدى اكتشاف النفط وتدفعه على السعوديين الى مزيد من الاهتمام بالتعليم، فقد أخذ يتقدم إلى الامام جنباً الى جنب انتعاش الأحوال الاقتصادية في البلاد، فبدأ الملك يتوسع في التعليم النظامي، فأنشأ جهازاً إدارياً يشرف على التعليم وتنظيم شؤونه وتوفير مطالبه واحتياجاته، كما أنشأ دار التوحيد بالطائف سنة ١٢٦٣هـ لإعداد المدرسين الأكفاء والدارسين المتخصصين في

العلوم الشرعية والعربية وغيرها من العلوم الإنسانية، وبعد هذا فتحت كلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٢٦٩هـ بأمر من جلالة ذلك لإعداد وتخريج القضاة والمدرسين، كما فتح المعهد العلمي في الرياض سنة ١٢٧٠هـ ثم في مدن المملكة لتدريس العلوم الشرعية وعلوم اللغة والاجتماع، كما فتحت في سنة ١٢٧٣هـ كلية الشريعة في الرياض على غرار الشريعة في مكة وفتحت بعد ذلك بعام كلية اللغة العربية في الرياض أيضاً، وجلب المدرسون والكفاءات من خارج المملكة للتدريس في هذه الكليات «وحين اتسع التعليم وكثر

المهمل

المترجمون والموظفون وانتشرت المدارس في كل أفاق المملكة اقتضى ذلك إنشاء وزارة المعارف تتولى إدارة هذا المرفق المهم، وجاء إنشائها عام ١٢٧٢هـ بداية توسع مكن الدولة من تعميم المدارس وإقامة المباني وتوفير المكتبات وفتح إدارات للتعليم تبشر التوجيه والإشراف، وانصب اهتمام الوزارة على إعداد المدرس المناسب ففتحت المعاهد والمراكز والكليات المتوسطة، واهتمت بالكتاب فجاء وفق أحدث الأساليب التربوية، والتوسع في التعليم العام دفع إلى التوسع في التعليم الجامعي، فأنشئت جامعة الملك سعود رحمه الله عام ١٣٧٧هـ في الرياض، ثم تتابع فتح الجامعات الماثلة في أماكن متعددة من المملكة، وقد روعي في كل ذلك انسجامها مع حاجة الدولة الإسلامية في عصر تعددت فيه المطالب وتعقدت أمور الحياة [١٠].

أما اهتمامه برحمه الله بإرسال البعثات فقد حرص مع القائمين على الأمر على طلب المزيد من رفعة شؤون التعليم فعمل معهم على تشجيع البعثات التعليمية الى خارج البلاد «ويرجع تاريخ أول بعثة أرسلت من الحجاز الى الخارج بقصد التعليم الى عام ١٣٤٦ - ١٩٢٧م بيد أن موالاة الابتعاث لم تبدأ بصورة منتظمة إلا في سنة ١٣٥٩ - ١٩٤٠م [١١]، وفي سنة ١٩٤٢ أوفدت الحكومة بعثة ثالثة، وبعد ذلك انتظمت البعثات سنة بعد أخرى إلى جامعة الأزهر في القاهرة ليدرس بعضهم في كلية الشريعة وبعضهم في كلية اللغة العربية وأوفدت فريقاً منهم الى كلية أصول الدين وآخر للقسام العام، وأوفدت كذلك الى جامعة فؤاد الأول بالقاهرة عشرات الطلاب ليدرسوا في الكليات التي تتألف منها هذه الجامعة» [١٢].

وهكذا كانت النهضة التعليمية في المملكة العربية السعودية تلك التي أرسى قواعدها الملك عبد العزيز على أسس متينة وقوية والتي حمل لواءها من بعده أبناؤه الكرام قبلوا بها القمة وواكبوا بها ركب التقدم الحضاري في كل بلدان العالم، وجهود خادم الحرمين

أما عن تشجيعه يرجمه الله للمكتبات فأقول: كان المستوى المعيشي العربي في الجزيرة قبل قيام المملكة سبباً في تدهور الثقافة في هذه البلاد في ذلك الزمن فقد أدى ضيق العيش ببعض التجار إلى أن ينقل تذاكر المكتبات ونفاشها الخطية لبيعها في الأسواق خارج البلاد «وكان بعض تجار المخطوطات ينقلون من المدينة آلاف المخطوطات إلى بلدان أسيا وأوروبا وبيعونها هناك بأبخص الأثمان» [١٤]، وحين توافرت أسباب النهضة الاقتصادية وشعر الملك عبد العزيز بأهمية المكتبة باعتبارها المصدر الرئيسي للزاد الثقافي للمثقفين في أي أمة، وباعتبار ما تحويه من النفاش يشكل عاملاً من عوامل ارتقاء الفكر والأدب وازدهار الثقافة، أولى المكتبات التي كانت قائمة مزيداً من الرعاية والاهتمام. كما شجع على إنشاء المكتبات العامة والخاصة، فأنشأ الأمير مساعد بن عبد الرحمن أخو الملك عبد العزيز أول مكتبة عامة في الرياض، وقد ضمت قدراً كبيراً من الكتب كما خصص للمطالعة جناحاً مستقلاً في قصره وفتحها لكل زائر يريد الانتفاع بها، كما أسس المفتي محمد بن إبراهيم المكتبة السعودية في الرياض أيضاً وضمها الآلاف المؤلفة من الكتب المطبوعة والعشرات من المخطوطات النادرة، وبعد ذلك توالى إنشاء المكتبات العامة في أحياء أخرى من العاصمة وفي عواصم المناطق السعودية، هذا بالإضافة إلى المكتبات الشهيرة في مدن الحجاز.

كما ألحقت بالكلية الجامعية والمعاهد الدراسية والمدارس المنتشرة في ربوع المملكة مكتبات تدعمها الحكومة وتهتم بتنميتها لما لها من عظيم الفائدة في ارتقاء المستوى الفكري والأدبي للمتعلمين وبما تحفظه لهم وللأجيال بعدهم من مصادر التراث العربي العام في العلوم العربية والإسلامية.

أما المكتبات الخاصة فقد كانت كثيرة لا يكاد

الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يحفظه الله في هذا الجُمُوع لا تحتاج إلى بيان فهي تتحدث عن نفسها منذ أن أنيطت بسموه وزارة المعارف وحتى اليوم، ولا يخفى أثر التعليم المباشر على النهضة الأدبية والثقافية في أي أمة من الأمم من تهيئة المناخ لأسباب تلك النهضة.

٢- تشجيع للطباعة والمكتبات وهور النشر:

عملت حكومة الملك عبد العزيز على تشجيع الطباعة الأهلية وذلك بإعفاء أصحابها من الضرائب والتأمين، كما عملت على تيسير استيراد لوازم الطباعة من أوراق وأحبار وآلات، وشجعت كذلك إيفاد البعثات للخارج للتخصص في فنون الطباعة المختلفة، وأول مطبعة جلبت إلى الحجاز كان في سنة ١٣٠٠هـ ثم المطبعة الأميرية، وفي عهد الملك عبد العزيز زاد الاهتمام بأمر المطابع التي كانت موجودة وأنشأ مطابع أخرى جديدة من بينها الشركة العربية للطبع والنشر بمكة، مطبعة جريدة المدينة المنورة في المدينة، ومؤسسة الطباعة والصحافة والنشر في جدة هذا إلى جانب المطبعة الحكومية في مكة التي تحول اسمها من مطبعة الحسين إلى أم القرى ثم مطبعة الحكومة أخيراً، هذا وقد توالى إنشاء المطابع الأهلية بفضل التشجيع الحكومي لها على النحو الذي ذكرناه، «وقد ساعدت المطبعة السعودية على نشر الإنتاج الوطني، وإزاحة الثقافة ونهضة البلاد» إن الحكومة ساهرة على ما تتجزه المطابع مراقبة لكل ما يتم فيها، وقد سنت القوانين التي تنظم شؤونها وتكفل سيرها وتقدمها وتحرس في الوقت نفسه على أن تظل هذه المطابع ضمن الإدارة التي رسبها لها لتضمن لأصحابها الربح ونفسها الهيو وراحة البال» [١٣]، وهكذا كان للطباعة مكان في ركب التطور الشامل في المملكة قاتبة، وما زالت تؤدي خدمات جليلة في نشر الأدب والثقافة على اختلاف أنواعها.

٤- «مباركته للصحافة والعمل على توثيقها»

عرفت الجزيرة العربية الصحافة بمفهومها الحديث في العهد العثماني في إقليم الحجاز خاصة، وقد صدرت فيه خمس صحف هي حجاز، شمس الحقيقة، والإصلاح الحجازي، والرفيق، وصفا الحجاز ولقد امتد أجل صحيفة حجاز إلى سبع سنوات، أما الصحف الأربع الباقية فقد تراوح عمرها بين عدة أشهر ويوم واحد. «ولم يكن لهذه الصحف أية قيمة أدبية أو سياسية أو أثر في تكوين الوعي أو توجيه الفكر» [١٧].

وفي العهد الهاشمي ظهرت بمكة جريدة القبلة سنة ١٣٣٤هـ، كما صدرت في عام ١٣٢٨هـ جريدة الفلاح بعد أن انتقلت من سوريا إلى الحجاز بعد احتلال سوريا، وفي عام ١٣٤٣هـ صدرت في جدة جريدة أسبوعية هي بريد الحجاز، وكانت آخر صحيفة تظهر في العهد الهاشمي، ولم تستمر طويلا حيث لم يصدر منها سوى اثنين وخمسين عددا فقط، وكانت جريدة وطنية تدعو إلى القوة والتماسك والكفاح والنضال لبقاء الحكم الهاشمي في الحجاز، ويتضح من هذا أن المدة التي صدرت فيها هذه الصحف لم تتجاوز تسع سنوات، وهي مدة قليلة في عمر الزمن لتكوين نهضة أدبية متأثرة بالصحافة، وذلك إذا روعيت الظروف السياسية التي كانت تحيط بتلك الصحف، ومدة كهذه في غير تلك الظروف كافية بتحقيق نهضة أدبية شاملة، والمثال على هذا ما أحدثته صحيفة صوت الحجاز من نهضة أدبية في العهد السعودي الحالي وهي جريدة لم يتجاوز عمرها أحد عشر عاماً تقريباً قبل أن تتحول إلى البلاد السعودية ثم إلى البلاد أخيراً، وما ذلك إلا لاختلاف المناخ السياسي والاجتماعي في العهدين، والذي يوجب الإشارة إليه أثر جريدة القبلة دون غيرها في أحداث يوانر النهضة الأدبية في الحجاز، غير أنها أيضاً «كانت عديمة

يخلو منها بيت أديب أو عالم ومهما يكن دافع إنشاء المكتبات الخاصة، فلا بد من الاعتراف بأثرها في رفع مستوى ثقافة ذويها، ولا متبوعة عن الإشادة بفضل الذين وضعوا خزائن كتبهم الخاصة بين أيدي سائر الناس، وفتحو لهم أبوابها، ولم يضمنوا على أحد باستعمال ما فيها والإفادة منها» [١٥]، ودور الملك عبد العزيز في إنشاء المكتبات العامة واضح جلي أما دوره في انتشار المكتبات الخاصة فهو دور الباعث على الاستقرار الاقتصادي والرخاء المعيشي الذي مكن هؤلاء من شراء الكتب الكثيرة التي كونت مكتباتهم على النحو المذكور، وقد سلف الحديث عن حال العربي في الجزيرة قبل قيام المملكة وما كان يفعله من بيع للكتب والمخطوطات ليسد رمقه ويذهب ضيقه الكارب، وعلى أي حال كان للملك عبد العزيز الدور المبرز في إنشاء المكتبات العامة والخاصة التي احتوت الكتب المؤلفة باللغة العربية وفي علومها الدينية والأدبية والاجتماعية والوافدة من أكثر البلدان العربية. «والكتاب السعودي راح يشق طريقه وسط هذا الحشد الكبير من الكتب الوافدة، ويأخذ مكانه في رفوف المكتبات المختلفة ولقد صار قسم كبير من المؤلفات السعودية يطبع في داخل البلاد بعد أن كان يتم ذلك في الخارج» [١٦] والسبب في ذلك هو ازدهار الطباعة وانتشارها على النحو الذي عرفناه منذ قليل.

وفي ظل هذه النقلة الهائلة تعددت دور النشر في مختلف مدن المملكة ومن ذلك الشركة العربية للطباعة والنشر التي تأسست في مكة سنة ١٣٥٥هـ، ومؤسسة الطباعة والصحافة والنشر في جدة سنة ١٣٧٢هـ وغيرهما من دور النشر الحكومية والأهلية التي أنشئت في عهد الملك عبد العزيز ويتشجيع منه، وقد تدفق على تلك الدور طوفان من الكتب الأدبية والعلمية لتشكل حلقة جديدة من حلقات الارتقاء والتطور في الحياة الأدبية.

أشهر الأمر مصاد بن عبد الرحمن أول مكتبة عامة في الرياض

بقادح آلامه والتي كان
يظن فيه أنه أتى علينا
الموت الأبدى ٠٠ فإن لنا
في المستقبل القريب
والبعيد ما يضاعف
نشاطنا ووقتنا
ووجدتنا، وما يهون
علينا كل ما لقيناه وما
سنلاقيه من مصاعب
ومتاعب نون بلوغ
القيامة وتسئم غارب
المجد والعلا.

ويعد :

فليس لرجالنا اليوم عذر ولا لأدبائنا مندوحة عن
أداء الواجب الوطني والقومي بإبراز ما تكنه ضمائرهم
من حب الخير والمنفعة لهذه البلاد والأخذ بيد الأمة إلى
ما يرفع مستواها العلمي والأدبي والسياسي فباب
القول والعمل قد فتح على مصراعيه وميدانها رحب
لأن يريد الاقتحام، وهذه صحيفتنا إنما أنشأناها
صحيفة الأمة والوطن وأنها بعد عنايتها الخاصة
بأحوال بلادنا الداخلية وعلاقاتها الخارجية ستعني
بالبلاد العربية والإسلامية بل والشرقية عامة، فكلنا
على ما يقولون (في لهم شرق) وأنها ستنتشر ما يوافق
مبدأها الإسلامي الأدبي وستتألف عن إسلاميتها
وعرويتها وأنها ستعرض للحوادث الداخلية وما يجري
في الدوائر الرسمية بحرية تامة يحوطها الإخلاص
والحكمة والنزاهة [٢٠]، هكذا رأى الأبناء في عهد الملك
عبد العزيز المناخ الملائم والظروف المواتية لاستئصال
جنور الآلام السابقة في ماضيهم المظلم الذي غشيهم
بكوارثه وأرهقهم بفوائده حتى خيل أن الموت الأبدى
أحاط بهم، كما رأوا في عهده الأرض الضميمة التي
يتعهدون فيها غراس الأعمال لتثمر ثمراً جليلاً من
السعادة في المستقبل القريب، وتجعلهم يتسمنون غارب

الحرية وأسفة بقيود الحكومة الهاشمية مقيدة
بأغلالها [١٨].

ويعد توحيد البلاد واستقرار نظام الحكم للملك
عبد العزيز أخذت الصحافة في الارتقاء والتطور
ويتشجع من الملك عبد العزيز، وقد مرت الصحافة في
الملكة العربية السعودية بعهدين عهد الصحافة
القريبة وعهد صحافة المؤسسات، والعهد الأول هو
العهد الذي عاصره الملك عبد العزيز وفي هذا العهد
صدر ثلاث وثلاثون صحيفة ومجلة في أرجاء
المملكة [١٩]، وهذا العدد يدل دلالة قاطعة على تشجيع
الملك عبد العزيز للصحافة في بلاده ومباركته إياها
والعمل على تقويتها.

ومن تلك الصحف أم القرى التي كانت بديلاً عن
القبلة التي توقفت وهي الجريدة الرسمية للملكة في
حينها، ومنها أيضاً مجلة الإصلاح، وصوت الحجاز،
والمنهل، والمدينة، والحج، والرياض، واليمامة، وقافلة
الزيت، وغيرها كثير، وتلك الصحف منها الجريدة
اليومية والأسبوعية، ومنها المجلة الأسبوعية والشهرية،
ومنها ما يختص بالأدب، ومنها ما يجمع بين السياسة
والاجتماع والأدب، وأبرز مجلة اهتمت بالأدب هي
مجلة المنهل ولا زالت تصدر حتى اليوم، وأبرز صحيفة
اهتمت بالأدب كانت صحيفة صوت الحجاز، ولكي
نعرف الفرق بين الصحافة في عهد الملك عبد العزيز،
والصحافة في العهدين اللذين كانا قبله نقطت من
افتتاحية صوت الحجاز في عهده الأول الصادر في
١٣٥٠/١١/٢٧ هـ هذه السطور «... ينبغي لنا واجب
الوطني المقدس إلى أن نرفع صوتنا بهذه الصحيفة
جهورياً كي نحدث العالم عن حياتنا نحن الأمة
الحجازية وعن حياة بلادنا ولنعرض على بساط البحث
آلامنا وآمالنا لنستأصل جذور الأولى ونتعهد غراس
الأخرى حتى تثمر لنا ثمراً جليلاً من السعادة، ولئن
منينا بالماضي المظلم الذي غشي بنا بكوارثه وأرهقنا

تمتعت

الصحافة

في عهد

الملك عبد

المعز

بالحرية

التامة إلا ما

تعارض مع

عُرف أو

تقليد أو

ديسن.

* للإذاعة

تدر كبير

في

الاسهام

في نهضة

الحياة

الأدبية

في عهد

الملك عبد

المعز.

المجد والعلا، وما ذلك إلا لأن

الملك عبد المعز - يرحمه الله

- قد فتح لهم أبواب القول

والعمل على مصراعيه ليعملوا

ويقولوا وينشروا في حرية

تامة وإخلاص وحكمة

ونزاهة.

وهكذا تمتعت الصحافة

في عهد الملك عبد المعز

بالحرية التامة فنشرت فيها

جميع الآراء إلا ما تعارض

مع أمر من أمور الدين أو

خالف عرفاً أو تقليدا لهذه

البلاد، وإلا فكيف نفسر معنى

الحرية التامة في العبارة

الأخيرة من كلمات واحد من

رجال الصحافة في

افتتاحية صوت العجاز

المذكورة آنفاً أو كيف نفسر

دعوة الملك عبد المعز نفسه

قادة الأمة وكبراءها وغيرهم

من رجال الفكر والقلم في

بلاده لكي يوجهوا ويرشدوا

من يضل في حرية تامة ولو

كان هو شخصياً يقول الملك

عبد المعز في ذلك: «يجب

عليكم أن... ترشدوني إذا

رأيتموني ضللت عن طريق

الحق وإذا لم تفعلوا فأنتم

المسؤولون، وإنني أطلب منكم

ومن غيركم أن من رأي مني

شيئاً مخالفاً فليوضحه لي

ويرشدني إلى طريق الحق، فوالله إذا رأيت الحق أتبعه

لأنني مسترشد وأست بمسئتكف. ومن رأى شيئاً

وكتبه فعليه لعنة الله والناس أجمعين» [٢١]، وعلى هذا

لم تكن الصحافة في عهد الملك عبد المعز «وسيلة

لنشر الفضيلة والحق وتوعية المواطن ومشاركة الحكومة

في التوجيه إلى ما فيه خير الدنيا والدين، فضلاً على

مشاركتها الفعلية بالنشر والتوجيه النقدي لأصحاب

النتاج الأدبي» [٢٢]، كما لم يقف دورها عند حد

الإعلام والتوصيل فقط بل كانت عاملاً مهماً في تطور

وارتقاء الأدب موضوعياً وفنياً [٢٣]، وبكلمة موجزة

فإن هذه الصحافة قامت مقام الكتاب الأدبي والديوان

الشعري مدة غير قصيرة قبل أن ينتقل الكتاب

والشعراء إلى مرحلة نشر نتاجهم في كتب وداوين

خاصة [٢٤]، والخلاصة أن للصحافة دوراً كبيراً في

عهد الملك عبد المعز يتمثل في ازدهار النشاط الثقافي

ونهضة الأدب في المملكة فكانت تكون الوسيلة الوحيدة

لنشر ونقد النتاج الأدبي للسعوديين وإليها يرجع

الفضل في التعريف بكثير من الشعراء والأدباء في

المملكة.

•• ترحيبه بافتتاح الإذاعة المسموعة ••

لم يدرك الملك عبد المعز - يرحمه الله - زمان

الإذاعة المرئية، لكنه أدرك الإذاعة المسموعة، فتيقن

بأنها من العناصر الإعلامية القوية التأثير والتوجيه إلى

جانِب الصحافة، كما تيقن أنها وسيلة فعالة في نشر

نتاج الأدباء، فأصدر أوامره بإنشائها، وقد تم ذلك في

سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، واقتصرت الإذاعة في أول

أمرها على الأمور الجدية، ولم تحفل بمظاهر التسلية

والترفيه، فبالإضافة إلى جانب اهتمامها بتلاوة القرآن الكريم

وإذاعة الأحاديث الدينية والتاريخية والاجتماعية

والنشرات الإخبارية والبرامج الخاصة كان اهتمامها

بالأدب كبيراً، فقد خصصت مكاناً ثابتاً للأدب كان

المنهل

٥٦

الى خارج المملكة. ومما لا شك فيه أن هؤلاء المتفوقين وبخاصة الأدباء منهم كانوا يقيدون من أفكار أبناء تلك البلدان التي سافروا إليها سواء بالإحتكاك المباشر معهم في اللقاءات الأدبية الحية في الجمعيات والهيئات والروابط الأدبية والثقافية أو بالإطلاع على نتاجهم المنشور أو مدارسته في المعاهد والجامعات التي ابتهعوا إليها، كما تيسر لهم الإطلاع على النتاج الأدبي العالمي من خلال ما ترجم منه في تلك الأقطار.

هذا وقد تسلم الراية بعد الملك عبد العزيز أبنائه الكرام فساروا على نهجه وأكملوا ما بدأه فلمسنا في عهودهم بواعث جديدة للنهضة الأدبية تشكل مع البواعث السابقة حلقة من حلقات الارتقاء والتطور ويرهانا قويا على الرغبة الأكيدة لآل سعود في النهوض بمجتمعهم الى قمم التقدم والوعي الحضاري المنطلق على أصول وتقاليده الإسلامية وعربية راسخة في أعماق تراثنا التقليدي، ومما تشهده هذه الأيام في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يحفظه الله وولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني يرعاهما الله إقامة الندوات والمهرجانات الثقافية وازدهار الأنشطة الأدبية، ومن أبرز ما تشهده المملكة في هذا العهد الزاهر مهرجان الجنادرية للتراث والثقافة الذي يقام كل عام ويحضره نخبة من أدباء ومثقي العالم، وأكثرنا يلمس عن قرب النشاط الأدبي المزدهر في الأندية الأدبية في السنوات الأخيرة وانتشارها في كل ربوع المملكة.

ومن بواعث النهضة الأدبية أيضاً في هذا العهد الزاهر تقدير خادم الحرمين الشريفين وحكومته الرشيدة للثقافة وتشجيع المبدعين برصد الجوائز والمكافآت فكلنا يذكر جائزة الدولة التقديرية التي تصرف للفائزين بها مدى الحياة، والمسابقات الأدبية التي تطرح من خلال الأندية الأدبية، أما جائزة الملك

يسمى «عالم الأدب» وفيه كان يقوم بعض الأدباء بإذاعة الأحاديث الأدبية، ومن ذلك ما كان يفعله أحمد السبيعي في أحاديثه «دعونا نعيش» أو الأحاديث الأدبية والثقافية لـ محمد حسن عواد وأحمد محمد جمال وعبد السلام هاشم حافظ وأحمد عبد الغفور عطار، كما اهتمت الإذاعة أيضاً بنشر المسرحيات كمسرحية «العم سمحتوت» لعبد الله عبد الجبار واهتمت كذلك بإذاعة ألوان من القصائد والقصص لكثير من الشعراء والقصاصيين وبهذا طارت شهرة هؤلاء الأدباء في الأفاق فكان ذلك دافعا الى تجويد نتاجهم [٢٥] والخاصة أن للإذاعة كما للصحافة قدراً كبيراً في الإسهام في نهضة الحياة الأدبية في عهد الملك عبد العزيز، وكان ذلك بنشر الأعمال الأدبية على الهواء أو نقدها بالتفسير والتوجيه من كبار النقاد، بالإضافة الى تمكين الأدباء من الزاد الثقافي والأدبي المتمثل في الأحاديث التي كان يلقها كبار الأدباء في المملكة.

٦ - تمكينه للسعوديين

من الاحتكاك المباشر بالتحولات الأخرى:

سبق قبل ذلك الحديث عن اهتمام الملك عبد العزيز بأمور التعليم والبعثات، فقد كان يرحمه الله مهتماً بجلب المعلمين الأكفاء من الأقطار العربية الشقيقة كمصر وسوريا والمغرب، ومن خلال هؤلاء الأكفاء تمكن السعوديون وبخاصة الأدباء من الاحتكاك بهؤلاء المعلمين احتكاكاً مباشراً تمثل في مناقشتهم والإفادة من أفكارهم والإطلاع على النتاج الأدبي لبعضهم ممن كانت لديهم الموهبة الأدبية، والإطلاع كذلك على ما جليوه معهم من كتب أدبية وتقنية لأدباء ونقاد بلادهم مما لم يتوافر في المملكة لسبب أو لآخر.

ومما اهتم به الملك عبد العزيز أيضاً وسبق الإشارة إليه إيفاد الطلبة المتفوقين إلى بعثات تعليمية

فيصِل الغالبية التي أنشأها أبناء الملك فيصل الأوفياء وتخطى برعاية خادم الحرمين الشريفين فلا تحتاج إلى بيان.

وبعد:

فكل ما مضى كان من بواث النهضة الأدبية التي جذ في تحقيقها المغفور له جلالة الملك عبد العزيز يرحمه الله، وبقي أن نعرف الآثار المباشرة أو الثمرة التي جنى جناها الأدب والأدباء في المملكة من تلك البواث وعن ذلك أقول:

بعد أن مكن الله للملك عبد العزيز من أسباب استقرار دولته وشيوع الرخاء بين أهلها وانتشار التعليم بمختلف مراحله وأنواعه والاكثار من المكتبات وسهولة النشر، وبعد أن اطلع الأدباء بسبب ذلك كله على كتب التراث، وبعد ازدهار حركة التأليف وتعدد الصحف والمجلات على يد هذا الملك، وبعد أن أدت الإذاعة دورها، بعد هذا كله ويتأثيره قامت النهضة الأدبية في المملكة العربية السعودية، وقد أدى هذا إلى نثار طيبة مازال الأدباء السعوديون يتمتعون بنتائجها المحمودة، ومن هذه الآثار العظيمة لتلك النهضة المباركة ما يلي:

أولاً: ارتفاع المستوى اللغوي والبياني حتى صار الأسلوب محاكياً أساليب القدماء في البلاغة والبيان والنصاعة، فلقد حرص شعراء المملكة على سلامة اللغة وفصاحة الألفاظ وجزالة التعبير والأداء وفخامة التراكيب، كما حرصوا على الابتعاد عن العامية والابتذال والحن.

ثانياً: ظهور طبقات كثيرة من الأدباء والكتاب والشعراء من بينهم شيوخ الأدب والشباب الذين ظهوروا في المجال الأدبي في البلاد.

ثالثاً: كثرة النتاج الأدبي شعراً ونثراً ومقالة ونقداً ونسابة أدبية وتحقيقاً للتراث الأدبي وترجمة لأدب الآخرين، كما ظهرت المسرحية والقصة وأدب التراجم

لأعلام الأدب والأدباء والنثر الفني الذي يمثل خواطر النفوس ومشاعر الأدباء ويصور حياتهم تصويراً كاملاً.

رابعاً: تعدد طوائف الشعراء من حيث مضامين الثقافة والتأثر بها فظهرت طائفة تقف بقية على قراءة الشعر القديم والنسج على منواله ولم يحيدوا عن ذلك قيد أنملة، وطائفة أخرى أمعنوا في قراءة التراث واستوعبوه، ولكنهم لم يفرضوا النظر عما حولهم في مجتمعهم من مخترعات وأفكار حديثة.

خامساً: تعدد الصور والأخيلة في القصيدة الواحدة وتعدد أغراض الشعر، ومن ذلك كتاباتهم في أغراض قديمة وأخرى جديدة، كما استحدثت أنواع جديدة كالشعر السياسي والاجتماعي.

سادساً: التطلع إلى الآداب الأخرى المعاصرة، فقد كان لمظاهر النهضة الأدبية الأثر الكبير في غرس الشعور بالرغبة في التطوير الذي يجاري نتائج الآخرين ليواكب روح العصر ومظاهر الحضارة؛ فتطلع الأدباء السعوديون إلى الأدب المصري الحديث وأدب المهاجر، كما تطلعوا إلى الآداب الغربية المترجمة، وقد استوعبوا كل ذلك وأقبلوا عليه بالدراسة والتذوق وبدأ أثر ذلك على أدبهم شكلاً ومضموناً.

سابعاً: الارتقاء بالمستوى الاجتماعي للأدباء، فقد لقي الأدباء في المملكة ترحيباً كبيراً في أعمالها ومرافقها، بل استطاع كثير من الكتاب والشعراء أن يتولى مناصب مهمة ليسهم من خلالها في أحداث التقدم المطلوب، ومع مضي الوقت أصبح هؤلاء الأدباء عصب الدولة وأداتها في طريق المزيد من التقدم والنهضة في شتى المجالات [٢٦].

وهكذا بعد أن كان شعب الجزيرة معزولاً ومحروماً من أسباب النهضة بمختلف مظاهرها، ثناء الله أن يتبدل الحال فمكن للملك عبد العزيز الحكم فيها فزاح الله به الحواجب وحطم به العوائق أمام ذلك

- بكر شيخ أمين، دار العلم للملايين ط ١٩٧٢ من ١٩٨٠ .
 (١٤) التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، عبد الله عبد الجبار، ط معهد الدراسات العربية بالقاهرة ١٩٥٩ من ١٩٢٣ .
 (١٥) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكر شيخ أمين ١٩٩٤ .
 (١٦) المرجع السابق ص ١٩٤ .
 (١٧) من تاريخنا، محمد سعيد العامودي، دار مصر للطباعة، القاهرة ١٩٥٤ من ٩٨ .
 (١٨) ماضي الحجاز وحاضره، حسين محمد نصيف ١٩٠٣ .
 (١٩) راجع الحركة الأدبية في المملكة، د/ بكر شيخ أمين ١١٠ .
 (٢٠) نقلا عن التيارات الأدبية الحديثة ص ١٥٨ ، ١٥٩ .
 (٢١) الملك الراشد ٣٦٩ .
 (٢٢) ظاهرة الاغتراب في شعر ابراهيم ناجي وعبد الله الفيصل رسالة دكتوراه لصاحب هذا البحث مخطوطة ومودة مكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩٣ من ٦٥ .
 (٢٣) راجع الصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية د/ أمين غازي زين عوض الله ط أولى ١٤٠٩ مكتبة مصباح، جدة ص ١١ .
 (٢٤) الشعر الحديث في الحجاز، عبد الرحيم أبو بكر، دار المريخ الرياض ١٩٨٠ من ١٠٠ .
 (٢٥) راجع: التيارات الأدبية ١٧٩، والحركة الأدبية ١٣٥ وما بعدها .
 (٢٦) راجع: ظاهرة الاغتراب في شعر ابراهيم ناجي وعبد الله الفيصل رسالة دكتوراه للباحث ص ٦٦، حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر، د. عثمان الصالح الصويغ، مطابع الفرزدق، الرياض ١٤٠٨ هـ، ج ١ من ١٥٠، ١٥١ .

الفيضان الغامر فتجاوبت المشاعر مع كل داع من دواعي الرقي والنفوس التي غمرت كل طوائف الشعب السعودي بأغنيائه وفقراته، ولقد أحدث كل ذلك أثرا عظيمًا في تشكيل الفكر والوجدان لدى الكتاب والشعراء السعوديين .

الهوامش :

- (١) الملك الراشد/ عبد المنعم الفلامي، دار اللواء بالرياض - ط ثانية ١٤٠٠ هـ من ٣٨٣ .
 (٢) ماضي الحجاز وحاضره، حسين محمد نصيف مكتبة ومطبعة خضير بالقاهرة، ج ١ ص ١٠١ .
 (٣) ملوك المسلمين المعاصرون ونولهم، أمين محمد سعيد، ط ١٣٥٢ من ١٢٣ .
 (٤) شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلي، ط أولى بيروت ١٩٧٠ م، ج ١ ص ٣٥١ .
 (٥) مجلة المنهل شعبان ورمضان ١٤٠٥ هـ، من مقال للفريق يحيى المطمي ص ١١٢ .
 (٦) تاملات في الأدب والحياة، محمد حسن عواد، القاهرة ١٩٥٠ م، ص ١٤١٢ من ٧٩ .
 (٧) الألب الحديث في نجد، محمد بن سعد بن حسين، مطبعة الفجالة مصر ١٣٩١ هـ ص ٣٣٧ .
 (٨) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، د/ حسين بن فهد الهويمل الرياض ص ٧٩ .
 (٩) الأدب الحجازي في النهضة الحديثة، أحمد أبو بكر إبراهيم، نهضة مصر ١٩٤٨ من ٣ بتصرف .
 (١٠) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، د/ حسن الهويمل ص ٣٠، ٣١ .
 (١١) ماذا في الحجاز، أحمد محمد جمال ط أولى بمصر ١٩٤٥ من ٢٣ .
 (١٢) الملك الراشد، عبد المنعم الفلامي ٣٠١ .
 (١٣) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د.

صلة الشيخ حمد الجاسر بعلماء الشريعة الإسلامية

يظن بعض المثقفين وطلاب

العلم أن الشيخ حمد

الجاسر - رحمه الله

تعالى - مؤرخ ومحقق

جغرافي ونسابة وأديب

فحسب! ولم يدرك

البعض أن الجاسر

سلفي من أعلام القضاة

النجديين، وله مشاركات

وتحقيقات دينية مبثوثة في مصنفاته

الكثيرة ومقالاته العديدة وتحقيقاته الفريدة، كما أن

له صلة بعلماء الشريعة ومشاهير القضاة والأعلام

الإسلاميين على مدى نصف قرن مضت.

نهل الشيخ الجاسر من معين الإسلام يافعا،

ففي الرياض قرأ «الأصول الثلاثة» وآداب المشي

إلى الصلاة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه

الله تعالى - وهاتان الرسالتان من أشهر المتون

الدينية في القرن الثالث عشر الهجري - ولا زالت

تحظى باهتمام من قبل علماء الإسلام في مملكتنا،

لفائدتها ويسرها واختصار

عباراتها.

وفي مكة المكرمة

عام (١٣٤٨هـ) التحق

الجاسر بالمعهد

الإسلامي السعودي،

ويعد أول مدرسة نظامية

تنشأ في العهد السعودي.

ومن شبه المؤكد أن الشيخ

الجاسر قد حفظ في المعهد كثيراً من

أجزاء القرآن الكريم إن لم يكن قد حفظه كله، وطالع

وتفقه في المصادر الفقهية والحديثية والأصولية التي

تفق الأذهان وتجوّد القريحة وتكسب المرء علماً ووعياً

ورشداً. ومن أشهر تلك المصادر على سبيل المثال لا

الحصر: المغني لابن قدامة، وكشاف القناع للبهوتي،

والإنصاف للمرادوي، وفتح البادي لابن حجر، وشرح

التوي على صحيح مسلم، وروضة الناظر وجنة

الناظر لابن قدامة، وقواعد الأصول ومعاقد الفصول

لصفي الدين البغدادي، وغيرها كثير كالعقيدة





بقلم : احمد بن مسفر المتيبي

المدرس بمركز ومدرسة المظليين - تبوك

منارات العلم، يهوي إليه طلبة العلم من شتى أقطار الدنيا للحج والعمرة والزيارَة والأخذ عن العلماء العاملين ومطالعة المصنفات التي تزخر بها خزائن المكتبات العلمية مما يجلبه الحجاج أو يبتاعونه من عابري السبيل وتجار المخطوطات.

إن بعض ما سبق أهل الشيخ الجاسر للانخراط في سلك القضاء، فعمل قاضيا في «ضبا» بشمال الحجاز عام ١٣٥٧هـ، والعمل في القضاء بعد ذاته مسئوليّة لا يلج إليها إلا الأشداء في العلوم والعقول،

الواسطية، والحموية، والتدمرية، والأصفهانية لابن
تيمية - رحمه الله تعالى - وكتب ابن القيم الجوزية،
وابن كثير، والحافظ الذهبي، من أعلام السلف
الصالح - رحم الله الجميع -

ولا ريب أن الجاسر قدس الله روحه ونور
ضريحه، كان قد نهل من دروس الحرمين الشريفين
إبان إقامته في مكة وزيارته لمسجد رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) ، فقد كان الحجاز في منتصف
القرن الرابع عشر الهجري وما قبله منارة من

[illegible][illegible]

رسالة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي
إلى الشيخ حمد الجاسر - رحمهما الله جميعاً -

رسالة الشيخ عبدالرحمن بن قاسم
إلى الشيخ محمد الحاسبي - رحمهما الله جميعاً -

ومخلص رحلتي ابن عبد السلام الدزعي المغربي، ط دار الرفاعي، والمنايسك، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، للحري (تحقيق) ط دار البعثة، وغيرها كثير.

كما أسهم الجاسر في النفع عن العقيدة السلفية التي تربي عليها الجاسر وتعلمها وعلمها، ويتضح هذا جليا في عشرات المقالات التي بدجها يراعه، مثال ذلك: «خرافة قبة اليهودية» (العرب: س ١٠، ع ٣، شوال ١٣٩٥هـ) و«نظرات في كتاب (التواء جاءت من جزيرة العرب): (العرب: س ٢)، ع ٧، محرم ١٤٠٧هـ)، «الزياني صاحب «الترجمانه» وموقفه من الدعوة السلفية»: (المجلة العربية، س ٦، ع ٦١، صفر ١٤٠٣هـ) و«كتاب لمع الشهاب»: (العرب: س ١، ع ٩، ١٠، الربيعان ١٣٨٧هـ).

وموقف الجاسر رحمه الله تعالى من الدعوة الإصلاحية هو موقف المعاضد المساند، فالشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - لم يأت بجديد، غير أنه جدد ما اندرس من آثار الشريعة الإسلامية، ودعا إلى التمسك والاعتصام بالأصلين: الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، وقد قرر هذا في مقاله السالف الذكر أما صلة الشيخ حميد الجاسر رحمه الله بعلماء الشريعة الإسلامية فهي أشهر من أن تذكر أو تسطر. فقد كان للشيخ علاقات مثينة مع

وفي الوقت الذي لا نملك فيه تفاصيل دقيقة حول مراحل وظيفة الشيخ الجاسر في القضاء، وتقلبه في هذا المنصب، فمن الطبيعي أن يكون الشيخ قد استكمل آلات هذا الفن، وأحكم مناهجه وسبر أغواره، ودرّب على غوامضه وخفاياه، وغاص في لججه العميقة.

ومما يعزّز القول بالتزام الجاسر المبكر بدراسات الشريعة الإسلامية مثالين أسوقهما للقارئ الكريم، قبل أن أشرع في الحديث عن صلة الشيخ بعلماء الشريعة الإسلامية.

المثال الأول: حدث أن نشرت (صوت الحجاز) مقالا لرئيس تحريرها فعقب عليه فضيلة الشيخ «عبد الله الخياط» - رحمه الله تعالى - بمقال عنوانه بـ «لا تسبوا الدهر»، فأعجب الشيخ حميد الجاسر بمقال «الخياط» فكتب مقالا بعنوان: «قل الحق ولو كان مرأ» عام ١٣٤٩هـ. انتصر فيه للحق واستدل على ذلك بشواهد مقنعة.

المثال الثاني: «اتجاه الجاسر إلى تحقيق المواقع التاريخية المرتبطة بالأحداث الإسلامية، كمكان «بدر» وأجد» و«حنين» و«عكاظ» و«قرن المنازل» وتبصير القارئ بأخبار الرحلات الإسلامية كرحلات الحج والعمرة والزيارة، ومن أشهر كتاباته في ذلك: «البرق السامي في تعداد منازل الحج السامي» لابن طولون الحنفي (العرب: س ١، ع ١١، الجماديان ١٣٩٦هـ).

ونلمس متانة علاقة الشيخ بأخوانه العلماء في رسالة جوابية للعلامة عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - ردأ علي رسالة بعث بها الشيخ الجاسر، نستل منها ما استطعنا قراءته: «كتابك الكريم وصل وسر الخاطر... وكنت في هذا العام مشتاقاً للقاءك محزوناً بفراقك، وزاد لوعة ما ذكرته من همك للتخصص مع البعثات لطلب الفنون، ولم أدر ماذا يتعلمون، وإلى ما بعده تكونون، وإلى الله تذهبون، ومسكنة الكفار... وانظر ما نحن فيه ونحن في بلاد الإسلام وأهل المعاصي، لا ننكر ولا نفارق فكيف بالكفرة، والعالم لا يأمن الفتنة، واذكر قصة الهجرة وتأثير الخلطة... الخ، رسالته رحمهما الله جميعاً، وقد كتب في صدر الرسالة: من عبد الرحمن بن قاسم إلى حضرة الأديب الصديق الأخ الشفيق حمد الجاسر، المدرك بلا تعاسر، ألهمة الله رشده وتقواه، أمين.

ويبدو من عبارات هذه الرسالة إخلاص ابن قاسم النصع والعتاب للشيخ وأشفاقه من سفره إلى الخارج، وهي دليل علي صدق الأخوة ومنصفاء السريرة ومتانة الرابطة.

إن كل ما تقدم إلمامة عاجلة للوقوف على الجذور الراسخة لصلة الجاسر بالشريعة الإسلامية وعلمائها الأقياد، وهذا بدوره يدفع المثقف المسلم للترؤف من تراث الجاسر ونخائره الثمينة.

جم غفير من علماء الإسلام نذكر بعضهم على سبيل التمثيل لا الحصر: أبو الحسن الندوي، أبو الأعلى المودودي، علي الطنطاوي، حسن حبيكة الميداني، حمود بن عبد الله التويجري، محمد محمود الصواف، عبد الرحمن بن سعدي، عبد الرحمن بن قاسم، محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، محمد بن عبد العزيز بن مانع، عبد العزيز بن باز - رحم الله الجميع -.

وصلة الشيخ بتلك الخطوة

قامت على ركنين:

الأول: تأسيس قاعدة إسلامية ينطلق منها الجاسر في علاقاته واتصالاته مع الناس.

الثاني: تبادل المنافع بين العلماء وتعزيز أواصر المحبة والتألف والتخفي معاً.

وأضرب على ذلك مثالا أستله من رسالة جوابية بعث بها العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى - إلي الشيخ الجاسر، ومما قاله: «في أسعد المياغات تلقيت كتابكم الكريم رقم ٢/١٣ وسرني ما وفقت له من تأسيس صحيفة اليمامة وهي أول صحيفة قامت في نجد تنشر المعارف المتنوعة والفنون الصحيحة وثقيف الأخلاق بتغذيتها بالأخلاق الشرعية والآداب الدينية الدنيوية» الخ رسالته رحمهما الله جميعاً.

البحث التربوي الإصلاحي في الدعاء النبوي

كما يتصدر المصطفى (صلى الله عليه وسلم) لتبليغ الرسالة والإرشاد، يجلس بنفس الهمة يعلم المسلمين والمسلمات - فرادى وجماعات - بماذا وكيف يبتهلون إلى ربهم تعالى، في الصبح والعشية، وحين يضطجعون وحين يصبحون، كان (صلى الله عليه وسلم) يفتتح الفرض - كلما سنحت - للتدريب على أدعية شاملة لكل مناهي الحياة ومنازل دار القرار، ذلك لأن تضرع الخلق إلى خالقهم - عز علاه - يدم فيهم عقيدة التوحيد، ويشيع في نفوسهم طمأنينة وأمنة، ويزكيهم فيقربهم إلى مناجاة الجبار حيث فتح - بفضل - أبواب رحمته لكل ساجد مقترب، لم لا والرسول (صلى الله عليه وسلم) قد قال:

(الدعاء هو العبادة) [١]:

ومن ثمة جاءت ابتهاجات النبي (صلى الله عليه وسلم) مسبوكة الصياغة، ثرية المضمون، فائضة الدلالات، مديدة الأبعاد، فسيحة الأفاق، متخشعة موقظة مؤثرة، كيف لا وهي من جوامع الكلم الحبية - إلى النفس، المشنقة للآلئ، المدخعة لأنباط الفؤاد؟ وانها لتقوت القلب، وتمز الكيان هزاً، فتتشمع الأبدان القهقرا، وترتجف الأبواب ارتجافاً، وتجنح الأرواح متلونة حلوة العفى، ويرد رحمة الرحمن، متقوية معزة بالعزیز القوي سبحانه ۱۰

وللدعاء النبوي وظائف أخرى:

من التعسف الجائر على الحديث النبوي قصر الأدعية منه على هذا المقصد النبيل، دون تطلع إلى استفادات أخرى زاكية، إذ يتبين أن الوظيفة تتعدى هذا التضييق إلى مقاصد رائقة أخرى، وامتدادات بليغة لها أبعاد تهنيئية في الاجتماع والسياسة والاقتصاد... معنى ذلك أن أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يمكن فصلها - بأي حال من الأحوال - عن الحياة، فهي وإن كانت ثورا يقود الروح إلى الزكي، هي كذلك منارة مضيئة لترشيد المسلم سلوكيا وحضاريا، والتضرعات منها على وجه الخصوص، ليست قوالب مركبة للتعبد وكفى، بل - ولتبليغ ذاك المستوى - ضروري إدراك مفاهيمها، ومعطياتها

المنهل

٦٤

الربيع ١٤٢٢ هـ - مايو / يونيو ٢٠٠١ م

الاعتقادية والتهنيئية والمدنية... واليكم مثالا واحدا من

بحر:

استعادة من أربعة قواصم:

استجار الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مهلكات أربعة، تقصم الظهر، وتخدش العرض، وتقني المال، وتسود المال، لقد تعود رسول الله من غلبتين، ومن فتنتين، قال (صلى الله عليه وسلم) (اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو، ومن يوار الأيـم، ومن فتنة المسيح الدجال) [٢].

(أ) غلبة الدين: لنن تواضع الناس على أن الدين هو الإقراض أو الإسلاف إلى أجل معين، فإن حقيقتة تشير إلى شمولية أوسع:



بقلم: مصطفى بو هلال - تونس

أ - في الخوف مجازة كبيرة وحرص شديد وتنبية الى حتمية الوفاء - كل الوفاء وان في أشد الأحوال ضيقاً - بالالتزامات المالية ومراعاة حقوق الغير .

ب - كبح جماح الشهوات التي لاتصدق كني لا يتساهل المرء في الاقتراض للحصول على أشياء هي من الكماليات الاستهلاكية .

ج - مع الغلبة تحصل أضرار ومأس: فقدان الثقة . . نشوب خصومات . إثارة بلبلة . . وجنوح الى التدليس والكتب والاستيلاء على أموال الغير أحياناً . أخبرت عائشة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يدعو في الصلاة ويقول: «اللهم اني أعوذ بك من المأثم والمغرم» فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيز يارسول الله من المغرم؟ قال إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف[٤] .

د - إن لم يقع التحرز منها بعد معرفة خطورتها ومغية نهايتها، قد يمتدأ أحدهم على حث الخطي والفكر نحو التحايل مكرًا وغدراً، ولذا سبق القرآن الكريم الى الإيحاء بالإشهاد أو كتابة عقود تداين، وجاء الإنذار النبوي من هاته الغلبة قويا، ومفاده: (أيما رجل استدان ديناً لا يريد أن يؤدي الى صاحبه حقه - خذعه حتى أخذ ماله - فمات ولم يؤد دينه لقي الله وهو سارق) - رواه الطبراني .

ولذا ، كما ورد بحديث آخر، لا عذر لمن غلبه الدين إلا لداعي الاضطرار الملح من أجل أزمة خانقة يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إن الدين يقتض من صاحبه يوم القيامة إذا مات إلا من تداين في ثلاث خلال: الرجل تضعف قوته في سبيل الله فيستدين

- جانب مادي: مال، ثياب، منقولات طعام . . - جانب معنوي: الوعد (وعد الحردين)، رد التحية، الاعتراف بالجميل، وقضاء الفرائض الفائتة . . وكما أخرج البخاري فإن امرأة جاءت الى النبي (صلى الله عليه وسلم) تستفتيه أتج من أمها التي نذرت الحج لكنها ماتت، قال: (أرأيت لو كان على أمك دين أكتت قاضيته؟ أقضوا الله ، فإله أحق بالوفاء)[٢] .

أمّا عن ظاهرة التداين - محور هذا الدعاء - كممارسة اقتصادية، فيقرها الشرع لأنها من أكبر لوازم تيسير رواج المعاملات والإنشاءات التنموية، فلو الخبرة على تنمية الأموال وتوفير الإنتاج، أو صاحب المواد الخام، التي لا يقدر بإمكانياته المالية المحدودة على تصنيعها أو استثمارها، قد يشتد افتقارهما الى رأسمال كاف . والمال قوام الأعمال - لذا فالاضطرار الى الانتفاع بالمواهب عن طريق التداين، ونفع المجتمع بها صناعياً أو فلاحياً أو تجارياً سلوك مشروع بحد ذاته، ولقد أفادت آية الدين من سورة البقرة تشريعا آخر هو التوثيق للدين بالكتابة والإشهاد . قال الله تبارك وتعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يئس كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا) (البقرة/٢٨٢) .

وما غلبة الدين؟

إسهاماً في محاولة للإجابة أطرح تساؤلاً: لماذا الخوف - والخوف الشديد - من غلبة الدين التي استعاذ منها النبي (صلى الله عليه وسلم)؟ .

* الدعاء هو العبادة.

* الدعاء تأمين روهي ومادي للمسلم.

القيامة - رواه ابن ماجة - .

هـ - في انسياق المتدائين الى التدائين بلا حدود وبدون موازنة بين مستوى دخله وحجم الدين: وقوع مشين في السّفْه والمأنية على حساب القيم والاتزان والقناعة..!

ولما سبق - ولأعذار لاحقة هنا - تعددت صيغ استعانة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] من غلبة الدين، فقد أورد - مثلاً - النسائي والحاكم وأحمد والطبراني تفصّر الرسول [صلى الله عليه وسلم]: «اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو، وشماعة الأعداء».

والآن: ما غلبة الدين؟

إصابة الغلبة:

غلبة الدين تصيب الدائن والمدين، ومن منكرات الأخلاق التي قد تعلق بالذائق: البطر والأثانية المفرطة، والتسلط الضبّيث، والانتهازية الفادرة لتنفيذ هواجس شيطانية تمس من كرامة المدين وشرفه، وهاته نوافذ جهنمية منها يهب شر مستطير سرعان ما يعصف بصرح الأخوة، ولتعديل الموقف حتّت الشريعة على إنظار المعسر والتجاوز في الاقتضاء. قال [صلى الله عليه وسلم]: «تلتق الملائكة روح رجل ممن قبلكم،

فقالوا: عملت من الخير شيئاً؟ فقال: لا، قالوا: تنكر قال: كنت أداين الناس فأمر فتياي أن يتظلموا المعسر، ويتجاوزوا عن المعسر. قال: قال الله تجاوزوا عنه» [هـ].

وتتكامل أجزاء البشري - يزم الجزء - لمثل هذا المداين، على النحو الذي بهذا الحديث الذي أخرجه مسلم وأحمد عن أبي قتادة: «من نفّس عن غريمه، أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة».

ذلك لأن الإصرار من أكرّب كرب الدنيا، لذا اعتبر الإمهال والتفريج بالتمديد في أجل الدفع أو بتأخير المطالبة عند وجود العذر - أو بالإبراء من الدين: من أفضل الفضل وأحسن الإحسان.

ومن أدواء غلبة الدين التي قد يصاب بها المدين: المماطلة، أي منع قضاء ما استحق أدائه مع القدرة، وعدّ هذا من الظلم، إذ قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] «مطل الغني ظلم» [٦].

كيف تحصل الغلبة؟

تتجمع أسباب الغلبة بكيفيتين، أو - إن شئت - في مرحلتين:

أ - قبل التدّين: حيث تحصل مصارعة بين النفس والشئ - موضوع الدين - تنتهي في أسوأ الأحوال بسقوط النفس تحت سيطرة هذا الشئ المرغوب في امتلاكه بإقراض، أو تحت ضغوطات الاستتكاك والاضلال، بمعنى سقطت النفس في مهواة (الزوم) لا يلزم) فإما أن تتكالب على التدّين دون اعتبار لميزان الدخل والربح والصرف، وإمّا أن تتكاسل عن أداء الحقوق والفرائض.

ورغم الترحيب بالتيسير التجاري الذي لا تنكر فوائده - في عصرنا - فإن تسارع الحث على التدّين

السجن) [٧]، ويبقى الحل الوقائي والمضلل العلاجي، بين تشاريع الإسلام وآدابه.

شمولية الدائن والمدين للجماعات:

الدائن والمستدين قد يكونان فردين أو مؤسسة وفرداً ودولة... ولقد انتقل الحوار - في الوقت الحاضر - من ديون الأفراد الى ديون الدول، ولا يصح استبعاد أي من الفرعين من نقاشنا هذا، ذلك أنه (تزايدت المديونية الخارجية للدول النامية... حتى غدت - في وقتنا الحاضر - تشكل احجاماً كبيرة جداً، وباتت من الظواهر الملقة التي تستقطب اهتمام المجتمع الدولي، بسبب عجز عدد من الدول المقترضة عن تسديد الفوائد والأقساط المستحقة في أوقاتها، واضطرارها الى «جدولة الديون» واللجوء الى المزيد من القروض الخارجية الجديدة لتسديد التزامات الديون القديمة، واستخدام القروض في نفقات غير إنتاجية، أو في مشاريع اقتصادية قليلة الجدوى، وزيادة حدة العجز في موازين المدفوعات، نتيجة قصور السياسات المالية والنقدية الحكيمة، أو غيابها في بعض تلك الدول) [٨]، وكما قيل :

**إذا خشيتم الدين بالدين لم يكن
قضاء ولكن ذلك حرم على شرم**

هذا وقد استدان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لتأمين الغذاء لجماعة مسلمة أصابها القحط عام اسلامها من العبر اليهودي الثري [٩]؛ زيد بن سبعة، ولئن اعتصم (صلى الله عليه وسلم) بالله تعالى فلم يصب بغلبة هذا الدين، حيث اتخذ الأسباب الكفيلة بالأداء الحسن في الموعد المضروب، وحيث بقي على حلمه الواسع، رغم تزايد جهل ذلك الخبير المتناول

بما يستحق: «التسهيلات في الدفع» أو «الشراء بالأقساط» وإن كان يخفف من وطأة ذلك الصراع المباشر إليه، لا جفر من الاعتراف بأنه يزيد في معضلة (التضخم) ويفتح الباب غريضا أمام شركات التأمين الربوية والبنوك!!

ب- ومن أجل الدائنين: قد تحدث ظروف صعبة ومفاجآت قاسية تمنع من الأداء في الإبان، وهذا وإن عُدَّ عذراً قاهراً فإنه يجلب حيرة مرةً وانشغالا مُضْماً عند ذوي النفوس الكبيرة - غير أنه قد تلهب بنفوس أخرى وسوسة بالتسويف وتغالل متعمد عن جدولة الديون... وهذا أفدح الشرور.

وعليه، فالاستعانة النبوية من غلبة الدين تحوي الكيفيتين: التلهف أو الركوب العشوائي الى الاستدانة وهذا تصاحبه مرارة وارتماء نحو التعامل الربوي المقيت؛ وأيضا التقاصر والقصور عن القضاء مما يسبب حرجا وتمللا مريرين... وجميع ذلك غرم ثقيل تمقت كل ذات حرّة أبية، وفي الاستعانة إشعار دائم، بخطورة التوجه والالتجاء السريع الى الاقتراض، فهو وإن كان ضرورة أحيانا فهو فتنة مخيفة، وامتحان عسير، وسلاح ذو حدين.

وتمر بأذهاننا أصداء تلك الضجة التي قامت في عام ١٩٨٦م ببريطانيا حول مشكلة نعتوها (عظمى) وهي (ديون الأفراد) التي كان معظمها غير قابل للخلاص عاجلا وأجلا على أن أسباب نتوئها عديدة، وأظهرها تسافل المستهلكين أكثر من قدراتهم المالية، وتيسيرات المصارف ومحلات البيع بكيفيات مفرطة.

والحق - كما قيل في هاته الظاهرة - (أن مشكلة بهذا الحجم لا يحلها القانون، فلو قرر كل دائن - من المؤسسات - له دين على أفراد قلوا أو كثروا أن يرفع دعوى ضدهم لدخل نصف الشعب البريطاني في

انطوت على كبرس بالغ الأهمية لدور العالم الثالث، وهو أنه يستحيل تحقيق التحرر الاقتصادي وبناء التنمية المستقلة ورفع مستوى المعيشة من خلال تزايد التبعية للخارج، وأن عبودية الدين شأنها تماماً شأن عبودية الاستعمار، كلاهما يفقد البلد حريته وسيطرته على موارده وعلى مستقبله، وهو درس بالغ الأهمية والدلالة حقاً (١٠٠) [١١].

ذلك أن خطورة الاقتراض الخارجي تزداد حثتها كلما وصلت الديون إلى مستويات مرتفعة وتراكمت الأعباء بكيفية تعجز معها الموارد الوطنية على خدمة هاته الديون بدفع الفوائد المترتبة والأقساط؛ وتؤدي الوضع (سيفتح للدول والمؤسسات المالية الأجنبية حق التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان المدينة وفرض ما تراه مناسباً، اقتصادياً كان ذلك أم سياسياً، وستزداد احتمالية ذلك، وبخاصة إذا فشلت البلدان النامية في محاصرة نمو ديونها الخارجية ومنع تزايدها) [١٢].

ولا يغيب عنا وجه آخر لغلبة الاقتراض الخارجي، فكثيراً ما يسجل (عدم قدرة البلد المقترض على استخدام قروضه بفعالية وكفاءة عالية، فالدول المقرضة عند بيعها للسلع والمعدات وقطع الغيار والصيانة قد تفرض أسعاراً أعلى مما هي عليه في الأسواق العالمية المنافسة إضافة إلى أن نوعية السلع المباعة قد تكون رديئة وذات إنتاجية ضعيفة) [١٣].

إلى هنا بات من المهم الحذر من التعمم والانفعاع نحو (التدين) وصحيح أن معاناة القصور في الموارد والمخزونات المحلية تدفع إلى الاقتراض وتسوغه لتغطية هذا القصور قصد انجاز أهداف طموحة لزيادة معدلات نمو اقتصادي مرموق، غير أن هذا التوجه ينبغي ترشيده باعتقاداً على الموارد الذاتية [١٤]، والتكامل الاقتصادي الإسلامي [١٥]، واجمالياً يبقى

قريباً من موعد الانقضاء، تحيطاً منه بدينه لجلب منحة وغلبة بفعل ما كان يمهّد له من كيد وإيقاع قبل إسلامه!

إن الاستعادة النبوية من غلبة الدين لإفاعة عظمى وتوعية كبرى من إمكان التورط في أخطار جفة، وأشدّها خطورة: استحلال الربابة بتعميق أقرارها في كل مجالات التعامل الاقتصادي، والتبعية المقيّنة سواء في ميدان السياسات الثقافية أو العسكرية أو الإعلامية والتعليمية، وما أشنع غلبة الديون الخارجية على كثير من بلاد المسلمين، وما أقدر هاتيك الهيمنة النقدية!

(وإن نهب واستغلال الشمال للموارد الجنوب لم يتوقف مطلقاً منذ بدأ الغزو الإستعماري قبل ٤٠٠ سنة فاستنزاف ثروات الجنوب مازال قائماً ومستمرّاً بأشكال متنوعة واضحة أحياناً ومتسترة أحياناً أخرى، وما أغراق الجنوب بالديون الخارجية سوى شكل واحد من أشكال الاستغلال الاستعماري، بيد أنه حتماً ليس بالشكل الوحيد، فبالإضافة إلى آليات الديون التي تصورت مؤخرًا إلى إحدى أهم القضايا الدولية المعاصرة، فإنه (١٠٠) [١٠] قد سرت سموم هاته الغلبة - وهي فتاكة أعنف ما يكون الفتك - إلى التحكم في مسيرة دعوة الإسلام نفسها، فشرط (الغاليون) - ضمنيًا أو علناً - خلق حركة بث الوعي الإسلامي ووأد الصبوة، وأطلق مسيرة علمنة مناهج التعليم، وتقريب أساليب التربية وشؤون المعاملة والتواصل... ومن هنا بدت حتمية التعاون الداخلي العاجل: (مسلمون - مسلمون)، وبوطنان المسلمين خير وقيصر، وكتون بركو!! بهذا أشاد أهل الاطلاع والمران: بل لقد توالى الإبلاغ ضد القبرع وأطلق صرخة القزع، ولا من مستقبل! (إن الأزمة الراهنة للدين الخارجية قد

* الدعاء الخالص لتحقيق

لمبودية المعبود.

* الدين في كل توجهاته

وصنونه، هم وإذلال.

قدر الثلاثمائة ألف ريال، في خفارة أولاد رضوان من الهامة، ويحث البايع للتعرض لها نحو خمسين فارساً من المخازنية، خشية الأيدي الفارغة من جياح العربان.

ولما وصلت تفرقت في ربا أموال القرض [١٧].

٢- غلبة العدو :

استعادة معطوفة، وكان غلبة الدين وغلبة العدو من بعض، لما تجسره الأولى من عداوات وحزانات وشماتة ونكال، وكأنهما من جهة المقارنة سواسية!! وتعني غلبة العدو قهره وتسليطه وتوجيهه المنحرف ومرادفته الثقيلة، وحقده الحارق، وتحكمه المضر بالقيم والمثل العليا وتعديه الفاجر على العرض والنفس والمال.. وفي هذا أفدح التضيق على الحرية الإنسانية والكرامة والعزة إذ هو احتقار وتلويث واسترقاق من أخذت ألوان الحسد والأناثية والمبودية.

وما العدو؟ أعداء وأعداء هو العدو:

أ - النفس الأمارة بالسوء، هي عيو بين جنبيك.
قال الله تعالى على لسان يوسف: [وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي] (سورة يوسف/ ٥٣).

ب - الشيطان وحزبه من عصاة ولصوص، وجسدة

نصيح الخبراء قائماً، ألا وهو: (إعادة النظر في سياسة الاقتراض الخارجي) [١٦].

وأختم بمشهد مسوي حدث أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر يمثل منحدر الاقتراض الوبي: (في الشهر رجب ١٢٨٤هـ/ نوفمبر ١٨٦٧م) تعينت كواهي لخلاص الأعشار القديمة والجباية الجديدة، والصال أن الناس يموتون في الطرقات والغياقي بالجوع، وتفرقت العربان من قبائلهم أيدي سبياً، في ابتغاء سد الرق، وتعذر على المأمورين الخلاص، وجاء بعضهم إلى البايع.. شاكياً من تعذر الخلاص وقال له: «لم أجد قوتاً لنفسي ولا علفاً لدايتي» فانتهره واغتافل، وقال له: «من يأتيني شاكياً بتعذر الخلاص نُسِيعه عند باب ياردو» كناية عن قطع رأسه، ثم قال للوزير بأعلى صوت ليسمع الحاضرين من العمال: «أنا حكمت بالفص على الخلاص، وعلى الخديم الاجتهاد في تنفيذ الأمر، وهؤلاء رعيتي، وهل ثم أحد يسألني في رعيتي؟».

.. ومع هذه الشددة في طلب الحال، رجع المتعينون بخفي حنين. وفي رمضان السنة ١٢٨٤ (ديسمبر - يناير ١٨٦٧م) أتى البايع لدار القصة على العادة، وغص محله بالإفترنج في كل يوم، وهم الغرما والسامسة، ويموت من الفقر والجوع والبرد في كل يوم أكثر من مائة نفس، ولم تكف النعوش لهملم (ذا بالعاصمة فقط) قصاروا يحملونهم على ظهور الحماليين، ويحملون الثلاثة في نعش واحد كل ذلك يمرأى منه وتسمع، ولم يظهر في وجهه تأثر، كان هؤلاء الموتى من أعدائه لا من رعيتي التي لا يسألها فيها أحد».

وفي السادس عشر من شوال السنة ١٢٨٤ (الاثني عشر فيراير ١٨٧٨م) بعث رجل الجريد وعامله

إفافة المسلمين - حار الإفافة - حتى يحتاطوا، ويتأهبوا، ويتجهوا، ويتقوا من السقوط في المهاري الجالية للقلب عليهم وابتلاعهم، وإلا انصافت لسعير السقوط المخزي مرارة الشماتة الحنظل!١٠

٣- ومن بوار الأيم :

الأيم - والجمع الأيما - هي من لا زوج لها بكر! كانت أم ثيبا، وبعض أئمة اللغة يجعل الأيم لفظا مشتركا للمرأة والرجل، لكنه بالأنثى ألصق. أما بوارها فإن لا يرغب فيها أحد للاقتران فتعنس.

قضية البواري قضية اجتماعية إنسانية، معالجتها من المسائل الجوهرية الداعمة للأمان والسلامة. ولقد عالجه القرآن العظيم في أزيد من موضع، من ذلك قول الله عز وجل: (وانكحوا الأيما منكم والصالحين من عباكم وأمائكم إن يكونوا فقراء يفهم الله من فضله، والله واسع عليم) (سورة النور/ ٣٢).

إن تحقق الصلاح لا يحمل أحدا على إهمال الزوج والتزويج، وفي الزواج الأمان من اقتتراف الفاحشة، وعليه فالتزويج رحمة بهم وشفقة، وتحسين من مشقة العنوسة الآتية معها بعقد نفسية كاوية.

أسباب البوار :

دوافع العضلة عديدة ومتشابهة، منها ما هو ذاتي داخلي، ومنها ما هو مدني بيئي، هذا ولا يدخل في استقصائنا تلك الملامح الطبيعية في الخلقة أو الجاذبة، مما يعد إعاقة غير قاصدة في البشرية إلا من حيث رجاء عدم الابتلاء بها فينا وفي الولد. وإني لمعجل بتجميع أبرز الأسباب:

١ - التشبث على غير المنهج السليم إسلاميا، وعلى

وجلساء السوء ومناققين ووشاة وكائدين. قال تعالى: (قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس).

ج - العدو من الأهل: زوجة أو ولد. يقول الله جل جلاله (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فانظروهم) (سورة التغابن/ ١٤).

إن من أهل القرابة أقباء يغرون بما يضر ويهدم المصلحة الحق، ويخدش التهذيب والصلاح، ويطيح بالاستقامة، فيقبل وشائج القرى الولد يعظم تأثيرهم، فإن جانب الاعتدال والتقوى حلت آثار العداوة، وإن لم تكن العداوة ظاهرة ولا بيئة، ومن ثمة يعظم الخطر إن لم يتيقظ المؤمن فيحذر من الانقياد الأعشى، والانسحاق العاطفي كل الانسحاق لهتك الأستار واقتتراف المحرمات.

د - أعداء دين الله تعالى، من منافقين وملاحدة، في دار الإسلام وفي أوكار الكفر، وما أشأم رؤوس الردة اليوم بيننا في كل مجال ومكان يتحينون الفرص ويسجون الكائد ضد التحرك الإسلامي، ويتصدون لكل داعية حق، ويضمرون العداة الخفي المشحون بالمكر والخداع وتزييف الحقائق. إن غلبة العدو لاستعمار مقيت مباشر وغير مباشر، إنها لاقتداء ذلي، وتبعية زنيمة، جوهرها مسخ ذليل وإنسلاخ حجير، وانبطاح فاسق، لما أن (المفلولين) اعتزوا بغير الله، وشرفوا بمن يحاربون الله تبارك وتعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، إذن فقد ذلوا، وتقلعت بينهم الأسناب، أسباب القوة والتوحد والتعارف والاعتصام بحبل التشديد القوي!

لقد استعاض الرسول (صلى الله عليه وسلم) من غلبة العدو أي ومن أسباب الوقوع فيها أولا، وفي هذا

* كثير من الأفراد والشركات والمؤسسات أطاع بها وبأهلها الدين * كثير من الدول عدت رهيبة ديونها *

هذا أدنى مبالغة، لأن ذاك غائض في كل المجتمعات، د - تنطع بعض فتيات اليوم - وما أكثرهن - من المقيمات أو المهاجرات مع أسرهن للعمل في أوروبا وأمريكا، هن يتصرفن تصرفاً انبثاتياً متكرراً لتقاليد العاقلة السليمة والبيئة الأولى، في محاولة فاشلة لاتباع المرأة الأوروبية في الصالح والطالح من مسالك الحياة، والتفكير، فيرمين البوار - بهذا - على أنفسهن. ١٠

هـ - عامل الهجرة، وأخص هجرة اليد العاملة إلى الغرب: الذكور منهم من يتزوج أجنبية، وهذا على حساب مسلمة!!، أما الفتيات المهاجرات مع الأهل، فممنهن كثيرات يتأيمن بأثرات لسبب بقائهن بالخارج، فلا الإسلام يبيع لهن الزواج بغير مسلم، ولا شباب الوطن يعرفهن لعزوفهن عن العودة النهائية، ورفض التأقلم مع العيش في الوطن الأم، ومنهن - إزاء هذا - من يرتبطن بأجنبي وهاتيك هي الطامة. ١٠

زد إلى هذا أن من الأوطان ما منع قانونها التزوج بثانية. ١٠

ومن الأضرار :

أ - جلي أن البوار مهما كانت مسبباته هو مخالف للسنّة، إذ الزوجية من سن الله تعالى في الخلق والتكوين، قال جل وعلا: (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تتقون) (سورة الذاريات/ ٤٩).

غير الآداب والإرشادات المجمّدة، بدواعي التعرّب والتمدين المبالغ فيهما على حساب الأصالة، أو بنّازع الحرية الإباحية والمساواة المشبوه فيها، والتي هي التسيّب والتحريض على التّحام المخالطة بين الجنسين... ومثل هذا أن يخلف غير الانحلال البفيض والفحش البذيء والاستقالة من القيام بمهام الزوجية فتلقى هنا امرأة ترحلت، وهناك رجل تأنث، أي أن تجد الرباط المقدس إلا متهرئاً وأهياً مسموماً بل قل أن تجده إلا ممزقاً إرباً إرباً، وبذلك تتضخم قائمة العنوسة في حالة قائمة من المشكلات المزعومة لكيان الجماعة.

وهاته إشارة دالة من صحيفة شغلتهما المعضلة المتفاعلة:

(لقد بدأت مشكلة العنوسة في ٠٠٠ كما في بقية العالم العربي شيئاً فشيئاً في السنوات العشرين الماضية تتفاقم، ولعل أكثرها انتشاراً هي عنوسة صاحبات الشهادات، وهناك عديد الأسباب لتفشي هذه الظاهرة، التي تهدد كيان المجتمع، منها ما يعود إلى الجامعيات أنفسهن، ومنها ما يتعلق بعقليات الرجال التي ما تزال تقليدية، إضافة إلى عوامل أخرى اجتماعية تساهم في تعقيد هذه المشكلة... (شرح صيدلي مستجوب) «الجامعة تعمل على تسميع أفكار فتياتنا حيث يمارسن حرياتهن بطريقة سلبية تجعل الرجال يهرب منهم» [و] بعض الفتيات... يرون أن الزواج هو بمثابة القيد الذي يحرمها من حريتها» [١٨].

ب - قتلاء المهور الفاحش، وتهافت على المركز السلطوي - المادي، مع إغفال الدين.

ج - غمز ولز خادشين لأعراض البرينات الغافلات، ونفث شيز من الحاسدات الماكرات في العقد، وقذف ماكر يمحو التراكن ويسوء إلى السمعة... وليس في

وأبناء وبنات تؤنسها، فحضنتها أرغى الاحتضان، وأكلتها أحرص المأكلة، وأضجعتها معها الفراش الوثير الثمين، وأقامت لها التماثيل في أفخم الساحات... وليس يبعد عن الذاكرة، تلك الخصومة الحامية بين رئيس دولة سابق وزوجته التي أعادت غرفة الزوجية - بعد إقصاء البعل - لاستقبال ما سئل كلبتها من جراء... وتلاحق مشاهد الاندهاش حين تنصر جلسات محكمة القضاء الأمريكية هاتيكم الزوجة الرفيعة والكلبة المحظوظة على رجل البيت إلى أن تنتهي فترة المخاض والنفاس والإرضاع...!

٤- ومن فتنة المسيح الدجال :

من أشرار الساعة ظهور الفتنة العظمى: يطلع مسيح دجال، يبث مفاسد وضلالا، وله قدرات فائقة بها يؤثر على ضعاف الإيمان وفاقيده فيصدقون ادعاهم الألوهية، ويعم الأرض بلاء كبير وفساد مستطير.

وإذا كان المسلمون مرعوبين من ظهور الدجال وهم أحياء فإن رسولهم (صلى الله عليه وسلم) يضم - في تحذيره - إلى هاته الفتنة فتنا أخرى لا تنقيد بتوقيف أو موضع، لا تقل خطورة عنها.

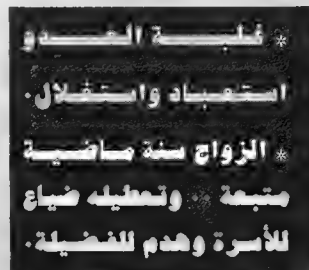
وللحديث النبوي أفاق رحبة، كان التطلع إليها ليس تعسفا أو تزيدا، أو تطويحا إلى امتدادات لا يطبقها النص المدروس هذا، بل العكس هو التضييق من المجال الدلالي والبت من المقصد الإصلاحى... فتلكم استعادة رسولنا الكريم من قوارع مشيبتات، أولاهما غلبة الدين وأخرها فتنة المسيح الدجال، ولهول غلبة الدين وغلبة العدو ويوار الأيم - لكونها قد تصاحب أجيالا - صنر بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) تضرعه، وصديق حين قال من حديث طويل: (غير الدجال أخوفني عليكم) [٢٠] وما كانت استعاذته عليه

لذا فالتبتل كفعل النصارى مناف لسماحة الإسلام: قال (صلى الله عليه وسلم): (أما والله إنني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) [١٩].

ب - البوار يعني إبقاء الغريزة ملتهبة حيث لم تجد لها مجالا للتصريف، فيكون الاضطراب والصراع والوسواس القهري والتشاؤم والتطلع إلى الحرام، خصوصا إن نشأ البوار - أو صاحبه - ظلم اجتماعي وإحباط فتحل النعمة ويحل الانتقام إلا من عصم ربك...!

ج - الضمان من غريزة الأمومة، وعاطفة العطف والحنان، وهي فضائل تعلي انسانية الإنسان، وتشعره ببهجة الحياة وتحسسه بمتعة التذوق والإحساس بالوجود، وتكفيه - إن كان مرحوما بها - التحرق إلى البئز زينة الحياة الدنيا.

هذا وحين سفلت الحضارة الغربية بالمرأة إلى حضيض البوار الذي اختارته لنفسها، افتقدت هاته أثمن ما في الأنوثة وهو الرحمة والمودة والرفقة والحنو، غير أنها لم تهتد إلى الحق فجعلت لها بديلا لقيطا عن الإنسان الزوج والابن - اتخذت لها الكلاب كصداقة



ص ٣١ سبتمبر ١٩٨٧م وانظر: التبعية الاقتصادية: ملحق الاستدانة في العالم الثالث من المنظور التاريخي - جورج كرم، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٢م.

(٩) عد إلى الطبراني وابن ماجة والنسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم... وانظر مجلة الوعي الإسلامي ع ٢٧٧ ص ٨٢ د/ محمود محمد عمارة.

(١٠) العالم المعاصر والصراعات الدولية - د/ عبد الخالق عبد الله - سلسلة عالم المعرفة ١٣٣ عام ١٩٨٩م ص ١٩٣.

(١١) إلغاء دين العالم الثالث أو الكارثة د/ رمزي زكي مجلة العربي ٣٦٣ ص ٢٢ فبراير ١٩٨٩م وانظر له أيضا بالعربي ٣٧٢ نوفمبر ١٩٨٩م ص ٢٣: إلغاء دين العالم الثالث: ضرورة وليس اختياراً. وانظر كتابه: أزمة الدين الخارجية: رؤية من العالم الثالث. القاهرة ١٩٧٨م.

(١٢) الاقتصاد العربي وأعباء الدين الخارجية - رياض المومني - مجلة المستقبل العربي ع ١٢٤ في ١٩٨٩/٨ ص ٧٦.

(١٣) نفسه ص ٨٢.

(١٤) يعرض رياض المومني لائحة توصيات في هذا الخصوص يبحث أعلاه بعد إليه.

(١٥) انظر: أثر الديونية الخارجية على التنمية في البلاد العربية. منير حمادة - مجلة الوحدة الاقتصادية العربية ص ٢ ع ٣ يولية ١٩٨٦م ص ١٧ والتبعية الاقتصادية: ملحق الاستدانة في العالم الثالث من المنظور التاريخي / جورج كرم.

(١٦) الاقتصاد العربي، ص ٩٤.

(١٧) إتصاف أهل الزمان بخصبار ملوك تونس وعهد الأمان ج ٦ ص ١٠٦ - أحمد بن أبي الضياف، ط ١ - الدار التونسية للنشر.

(١٨) صحيفة الصدى - الثلاثاء ٩٠/٣/٨ ص ١٦ تحقيق الصحفية آمال بن رجب.

(١٩) صحيح البخاري بشرح السندي - مجلد ٢ ص ٢٣٧ - مسلم نكاح ٥ وأبو داود: تطوع، ص ٣٥٠، والدارمي: صوم، نكاح.

(٢٠) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٦٤ دار أحياء التراث العربي بيروت.

الصلاة والسلام - إلا تحذيراً من الاقتراب من ضرور الفتى الأربع والارتقاء في حماتها، فهلا أشفق المسلمون على أنفسهم والفتيات تترى عليهم الواحدة تلو الأخرى! هلا أعان المسلمون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على أنفسهم واليوار والفتى يتواليان بينهم في ترداد؟

الهوامش:

(١) أخرجه أحمد وابن ماجة والنسائي والبيهقي والحاكم وغيرهم. انظر فيض القدير للمناوي، ج ٢ ص ٥٤٠.

(٢) أخرجه الدارقطني والطبراني والنسائي. مجلد ٤ ج ٨ ص ٣٦٥ واللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماعة الأعداء كما رواه الترمذي وأحمد والملك. وجاء بالنسائي - نفسه - ٥٥٥ - ضلع الدين، وبالبخاري إيضاح ص ١٥٢ بشرح السندي.

(٣) هذا ميح أبدأ فيه المجتهدون أحكاماً، ومنهم الإمام مالك الذي قال: (إنما يحج منه إذا أوصى) وإن تكون الوصية بالهجرة دين في لمة الموصى إليه... انظر - مثلاً - فقه السنة مجلد ١ ص ٦٣٦ وقد نسب البخاري، وهو بالدارمي مجلد ٢ ص ٢٤ وص ١٨٢ والنسائي مجلد ٣ ج ٥ ص ١١٦ وفي ص ١١٨: (.. فدين الله أحق).

(٤) صحيح البخاري بشرح السندي مجلد ٢ ص ٥٧ والمغرب: الغرم = الدين - والفريم: الذي عليه الدين.

(٥) الدارمي ج ٢ ص ٢٤٩ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٢٢٤.

(٦) الموطأ وابن ماجة والنسائي والبيهقي وأبو نعيم ومسلم والبخاري. ويقتت: (فلذا أتبع أحدكم على مليء فليتبم).

(٧) أوراق صيف - د/ محمد الرميحي - مجلة العربي ع ٣٦٩ آب عام ١٩٨٩م ص ١٠.

(٨) الاقتراض الخارجي: أزمة الديونية في العالم الثالث. د/ نعمان إبراهيم عبود، مجلة العربي ع ٢٤٦

رسول الرحمة

أتيت إلى الأكوان والليل جاثم
فشدت رقت في الأيام وهي مضم
وحلت على الأقدام أسس هداية
لتش ررق جنات وتزمو ملاحم
ويعلو زمم الحق في كل موكب
وتهدى جموع العرب ، بل والأعاجم
فإنك (أي الله) تسمو بخلقه
ولولاك ما كانت لهم تي العظامم
لك الآن معنى فوق كل بلاغة
تخر إليسه بالفشوع المعاجم
فني لسان قد يوافي رسولنا
مقاماً ، وكل الشعر قزم وظالم؟
فلو كان وصفك يكفي قصيدة
فإن لكتاب شعراً يلائم
أتيت بأي الله تحكي قصصاً
محال توافقنا سواها القمامم
محال !! ألفت رقصان مثل بذى الدنيا؟
أتطوى شمسوس الحق يوماً مزاعم؟
سامت رسول الله تاجاً لعزنا
فمنذ ابتليت الحق شدت معاصم
لتعلو بتي الله في كل مريع
وتسفو إلى العليا . جموع صلائم

فَلَمَنْ يَرِدُ الْوَرْدَ الْعَلِيَّ لَهُ الْعَمَلُ
وَأِنْ وَقَفْتُ بَيْنَ الْوَرْدِ الْخَمْسِ رَاغِمٌ
مَشَيْتُ بِدَرْبِ الْحَقِّ لِلنَّاسِ مَرَشِدًا
وَتَحْتَ الْخَطَا كَمْ تُسْتَمْتَعُ الْمَلَايِمُ
وَأَوْصَيْتُ كُلَّ النَّاسِ بِرَأْيِ عَمَلِهِمْ
لِيَسْهَرُوا بِكُلِّ الْأَرْضِ نَوْمًا تَرَاهُمْ
وَشِعَاعُ بَيْتِكَ اللَّهُ نُورٌ وَرَحْمَةٌ
وَعَدْلٌ وَقِسْطٌ لَتَزْهوَ الْعَالَمُ
وَقُلْتُ أَطْلُبُوا الْعِلْمَ الَّذِي زَانَ أَهْلَهُ
وَصُنُّوهُنَا عِلْمَ الْأَخْلَاقِ يَنْحَى اللَّوْثُ
عَنْهَا نَافِعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَالْخَيْرِ أَمْرًا
وَيَنْوَرُ عَلَى نَسْرِ إِلَيْكَ يَزَاهِمُ
فَضْلُكَ الَّذِي أَوْصَاهُ بِالْحَقِّ رَيْثًا
جَلِيلًا وَعَمَّا هَدَاكَ فِيهِ نَدَاؤُكُمْ
فَنَحْنُ أَتْبَعْنَا الْحَقَّ فِي كُلِّ خَطْوَةٍ
سَلَكْتَ ، لَتَسْعَلُوهُ فِي الدُّرُوبِ الْعِزَّاتِ
وَوَحَّدْتَ فِي اللَّيَالِي وَالسَّلَامِ جَمْعَنَا
وَأُولَى بِجَنْدِ اللَّهِ أَنْ يَتَلَاوَمُوا
لَنْ يَبْتَغَى حَرِيًّا حَشِنَا صَفْوَ قَنَا
وَمَنْ يَبْتَغِي سَلَامًا تَرَانَا نُسَالِمُ
فَمَنْ نَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ هَذَا مَقَامَكُمْ
جَلِيلٌ وَشِعْرِي قَاصِرٌ بَلِّغْهُ وَظَالِمُ
وَأَنْتَ بِتَقَاتِ الْمَعَالِي مُشْتَبِّهُ
وَجَمْعُكُمْ بِهِ نَزْهَوُ وَتَزْهَوُ الْعَالَمُ

الشعر في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

بل أيضاً لأنهم كانوا يصدون عن سبيل الله، فقال
للأنصار «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله
بسلاحهم أن ينصروه بأنسنتهم؟ فقال حسان بن
ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، وقال: والله ما
يسرني به مقولُ بين بصرى وصنعاء» [١] وانضم إليه
كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فاحتدم الهجاء
بينهم وبين شعراء مكة.

ويثبت ابن سلام لأبي سفيان بن الحارث
قصيدة كافية ناقض بها في يوم أحد كافية، كان قد
نظمها حسان بعد وقعة بدر [٢]، وقد أثبت لابن
الزيعري قصيدته التي قالها في نفس اليوم [٣] والتي
يقول فيها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

خسِر الخنزِر من وقع الأسل [٤]

حين ألق بقباء بركها

واستحر القتلُ في عبد الأسل [٥]

وأيضاً فإنه أثبت لأبي عزة ميمية يحرّض فيها
بني كنانة [٦]، وقال عن هبيرة بن أبي وهب: إنه كان

معروف أن قريشاً عابت الله، ورسوله حين بُعث
مما اضطره إلى الهجرة من مكة إلى المدينة،
وسرعان ما نشبت بين البلدين معركة حامية
الوطيس، تقف فيها قريش ومن يعينها من العرب في
جانب، ويقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن
هاجروا معه من مكة ومن اتفوا حوله في المدينة في
جانب آخر، وبمجرد أن اشتكت السيوف أخذ
الشعراء في الجانبين المتناقضين يسلون أنسنتهم،
ولم تكن مكة في الجاهلية تعرف بشعر إلا بعض
مقطوعات تنسب لورقة بن نوفل وغيره من المتحنفين
ومقطوعات أخرى تنسب لبعض فتيانها مثل بُنية
ومسافر اللذين ترجم لهما أبو الفرج في أغانيه.

فلما نشبت الحرب بينها وبين الرسول (صلى
الله عليه وسلم) لمعت فيها أسماء شعراء كثيرين مثل
أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن الزيعري وضرار
بن الخطاب الفهري وأبي عزة الجمحي... وقد أخذوا
يتبدلون سهام أشعارهم إلى الرسول (صلى الله
عليه وسلم) وأصحابه من المهاجرين وأنصاره من
المدينة. وعز ذلك عليه لا لأنهم كانوا يهجون فحسب،

اعتراف : لله عبدالرحمن

- مصر -

ووقف ابن سلام عند ابن راحة وتحدث عن
حسن إسلامه وأنه كان أحد الأمراء الثلاثة الذين
قتلوا يوم مؤتة وأثبت له من هجائه لقريش قوله [١٢]:
نجاهد الناس عن عرض فنفسهم
فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بقا ليس غالينا
حي من الناس إن عزوا وإن كشروا
يا هاشم الخير إن الله فضلكم
على البرية فضلا ما له غير.

وفي الاغاني أن حسناً وكعباً «كانا يعارضان
شعراء قريش يمثل قولهم بالوقائع والأيام والمثّر
ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن راحة يعيرهم
بالكفر، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول
حسان وكعب وأمون القول عليهم قول ابن راحة،
فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم
قول ابن راحة» [١٣].

ومن المؤكد أن حسناً وكعباً كانا يرميان قريشاً
عن بصيرة حين غلبت على هجائها صورة الهجاء
القديمة، لأنها هي التي كانت تؤذي نفوس القرشيين
المكيين ولو أنهما رمياهم بالشرك وعبادة الأوثان لما
نالا منهم، إذ كانت تلك عقيدتهم وكانوا يمتزون بها،

شديد العداوة لله ولرسوله، وهو الذي يقول في يوم
أحد [٧]:

قربنا كنانة من أكناف ذي يمن
عرض البلاد على ما كان يزجيها [٨]

وكان في الطرف المقابل حسان وكعب وابن
رواحة، وحسان أشعر الثلاثة، يقول ابن سلام: «وهو
كثير الشعر جيده»، ويقال إن أول ما جرى به لسانه
حين سلّه على قريش هذه الأبيات يتحدّى بها أبا
سفیان بن الحارث [٩]

هجو محمد فاجبت عنه
وعند الله في ذاك الجوزاء
فلن أبي والدة وعرضي
لمرض محمد منكم ولاء
اتهمجوه ولست له بكفه
فشركما أخيركما الفداء

ويقول ابن سلام: «وكعب شاعر مجيد، قال يوم
أحد في كلمة:

فجئنا إلى مروج من البحر ووسطه
أحاييش منهم حاسر ومقنع [١٠]
ثلاثة آلاف ونحن نصيبة
ثلاث مئتين إن كثرتنا وأريع [١١]

ومن ثم اتجه حسان وكعب هذه الوجهة، فطعنا في الأحساب والأنساب، وعيّرنا ساداتهم وفرسانهم بالفرار من الحرب وتوعداهم بالبلاء المستطير. وطبيعي لذلك أن لا نجد عندهما تائراً واضحاً بمثالية القرآن الكريم في ذم المشركين، إذ نراه خالياً من الشتم والسباب والطعن في الأعراض والأحساب، وأيضاً فإنه لا يتوعد المشركين بحرب مبيدة تأتي على الشيب والشبان، إنما يتوعدهم بالنار، ومع ذلك يفتح الأبواب واسعة لرحمة الله وغفرانه وتوبته على المشركين الذين يشيرون إلى عقولهم ويدخلون في دينه الحنيف.

وكان يشرك شعراء قريش في التآليب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنصاره وأصحابه نفر من شعراء اليهود نكثوا ما عاهدوه من الموارعة وحقوق الجوار [١٤] وأخذوا يهجونهم والمسلمين ويخذلون عنه قريشاً والعرب، يريدون أن يطفنوا نور الله بأقواهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. وكان من رعونتهم في هذا الفساد كعب بن الأشرف [١٥]، وقد بلغ من سوء فعله أن كان يُشَبِّبُ نِسَاءَ الرسول ونساء المسلمين، مما جعل محمد بن مسلمة يقتله في رهط من الأنصار [١٦]. غير أن اليهود لم يرتدعوا وأخذوا يعملون سراً وجهاً على تقويض الدعوة المحمدية، فاضطر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى إعلانهم عن المدينة حتى إذا انتهينا إلى خلافة عمر رأيتاه

ببصيرته النافذة يأمر بإجلائهم عن الجزيرة العربية، وكان كثير من شعراء العرب يقفون مع قريش باكين قتالهم ومحرضين لها على كفاحها ضد الرسول مثل أمية بن أبي الصلت، ورتاؤه لقتلي بدر مشهور [١٧]، ومثل الأسود بن يفر الذي أشاد بانتصارها في يوم أحد [١٨]، وقد ماتا في أثناء هذا الصراع. وكان يقف هذا الموقف نفر من شعراء القبائل التي لم تدخل في الاسلام. وكان يرد عليهم جميعا شعراء المدينة متوعدين مهددين على شاكله قول كعب بن مالك يهدد ثقيفاً بعد انتصار الرسول (صلى الله عليه وسلم) على يهود خيبر.

قضيئنا من تهامة كل وتر

وخيبر ثم أحجمنا السيوف

نخيرهما ولو نطق لقال

قواطعهن: رؤساً أو ثقيفاً

وتفتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، ولكن تظل للصراع بقية في شعراء هذيل، على نحو ما يمثلهم أبو خراش الهذلي في بكائه لدبية حين قتله خالد بن الوليد [١٩].

وكان كثير من الشعراء المسلمين يمتدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهديه الكريم، يتقدمهم في ذلك شعراء المدينة وتنسب إلي الأعشى قصيدة في مديحه [٢٠] لا شك أنها منجولة، وتنسب لأبي طالب قصيدة منحه بها يقول فيها:

الاسل: الرماح.

(٥) قباء: موضع بغسواحي المدينة. ألفت الحرب

بركها: حمى وعليسها. استمر القتل: اشتد وكثر.

(٦) ابن سلام ص ٢١٢.

(٧) ابن سلام ص ٢١٥.

(٨) الاكتاف: النواحي. نو يمن: موضع قريب من

مكة. يزجي: يسوق ويدفع.

(٩) أغاني ١٣٩/٤ والاستيعاب لابن عبد البر

ص ١٢٩.

(١٠) أحابيش قريش: حلف منهم تحالفوا عند جبل

يسمى حبشياً. العاسر: الذي لا بيضة له عكس

المقنع.

(١١) النصية: الخيار والأشراف.

(١٢) ابن سلام ص ١٨٨.

(١٣) أغاني ١٣٨/٤.

(١٤) السيرة النبوية (طبع الحلبي) ١٤٧/٢.

(١٥) أغاني (طبعة الساسي) ١٠٦/١٩.

(١٦) ابن سلام ص ٢٣٨ والسيرة النبوية ٥٤/٣ وما

بعدها.

(١٧) ابن سلام ص ٢٢١ والسيرة النبوية ٢١/٣.

(١٨) ابن سلام ص ١٢٣.

(١٩) ديوان الهنليين (طبعة دار الكتب) ١٤٨/٢

وانظر الأصنام لابن الكلبي ص ٢٤ وما بعدها.

(٢٠) أغاني (طبعة دار الكتب) ١٢٥/٩.

(٢١) ديوان حسان (طبعة هرشفيلد) ص ٥٨.

وأبيض يستسقى الفمام بوجهه

ربيع أيتامى عصمة للأرامل

وَنُظِمَ كَثِيرٌ مِّنَ المَرَاتِي فِي قَتْلِ المَسْلَمِينَ

والمشركين، وروثاء قتيلة لأبيها النضر بن الحارث ذائع

مشهور، ولما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى بكاه

الشعراء بكاه حاراً، ومن أرق مارثي به قصيدة

حسان بقوله [٢١]:

ما بال عيني لا تنام كلما

كحلت مقلبيها بكحل الأرامد

ومما سبق يتضح لنا أن الشعر في حياة الرسول

(صلى الله عليه وسلم) كان يجري على كل لسان،

ويكفي أن نرجع إلى سيرة ابن هشام فسنرى سيولة

تتدفق من كل جانب، وحقاً فيها شعر موضوع كثير،

ولكن حينما يُصَفَى وحين نقابل عليه ما ارتضاه ابن

سلام وغيره من الرواة الموثوق بهم تجدنا إزاء ملحمة

ضخمة تعاون في صنعها عشرات من الشعراء

والشاعرات.

الهوامش :

(١) أغاني ١٣٧/٤.

(٢) ابن سلام ص ٢٠٧ وما بعدها.

(٣) ابن سلام ص ١٩٨ وما بعدها.

(٤) أشياخه ببدر: من قتلوا بها من مشركي قريش.

إلى امبراطور الروم هرقل

رسالة جليلة حمل فيها رسول الله هذا الإنسان الكبير مسؤوليته، تجاه نفسه وشعبه والإنسانية عامة، ولم يسجل المؤرخون الرومان رد فعل الإمبراطور على الرسالة الكريمة، والمصادر العربية تذكر أنه رد عليها ردا حسنا.

وكانت تلك الرسالة أول لقاء سياسي بين الإسلام وامبراطورية الروم القوية الواسعة الأرجاء آنذاك.

إن من هذه الرسالة النبوية ثلاث نسخ خطية:

الأولى: وثيقة محفوظة في صندوق ذهبي في متحف طوب كاي سراي باستانبول.

الثانية: وثيقة دخلت في ملك وزير خارجية لبنان الأسبق الهادي لكثار الناصرة د/هنري فرعون حيث اشتراها من هاو لبناني بأكثر من مليون دولار، ولم يؤكد الفحص العلمي صحة نسبة هاتين الوثيقتين إلى عصر الرسالة المحمدية.

الثالثة: محفوظة اليوم في قصر رئيس دولة الإمارات العربية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وهي الوثيقة الحقيقية التي أكد البحث العلمي صحتها وأنها هي التي تسلمها هرقل من جيعوث الرسول الأكرم حجة الكلي، حيث ظلت متواردة في أسرة هرقل، وكان منهم حكام في الأندلس، وكان آخر العهد بها وبوجودها في ملك أمير طليطلة

هرقل (هيراكليوس - هيراكليس) ينتصر على كسرى فارس انتصارا ساحقا، يسترد به البلاد التي أخذتها منه فارس، ويسير هرقل بعد الفتح في طريقه إلى بيت المقدس عام ٦٢٩م حتى يبلغ حمص، وفي هذه الأيام الحافلة بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) برسائله إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الدخول في دين الله، وكان حجة بن خليفة الكلي هو الذي حمل رسالة النبي الكريم إلى امبراطور الروم هرقل. وأسلم حجة الرسالة إلى عامل الإمبراطور على الشام في بصرى في رواية، فبعث بها العامل إلى هرقل في حمص، وفي رواية أخرى أن حجة قدم إليه الكتاب بنفسه، وفي رواية ثالثة أن الرسالة قدمت إليه في بيت المقدس نفسه.

وقرئت الرسالة على هرقل مترجمة، ونصها: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم - سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أنبئك بدعاية الإسلام: أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين* - أي عامة طبقات الشعب - ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بنا مسلمون) الظهري ٢١٩/٢.



يقلم: أ.د. محمد عبد المنعم خفاجي

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

١ - الرسالة صحيحة، أو هي على الأقل نسخة صحيحة من الأصل، حيث كانت الرسالة النبوية يحتفظ بنسخ منها في ديوان الخليفة عمر بن الخطاب.

٢ - عمر الرسالة يزيد على ألف عام، وهو أقصى مدى يمكن للمعامل الحديثة الوصول لمعرفة.

وأخيرا وفي عام ١٩٧٥م اشترى هذه الوثيقة - المكتوبة على جلد غزال، والمؤلفة من ثمانية سطور - الشيخ زايد بن سلطان أمير دولة الإمارات وحاكم أبوظبي بمبلغ اثنين ونصف مليون دولار، لتستقر في المركز الثقافي الجديد، الذي أقامه في قصره، ثم أهداها أخيرا إلى ملك الأردن الملك حسين ويحفظ الله العلي العظيم، استقرت هذه الوثيقة الصحيحة في خزينة أمير عربي جليل، ويدافع من إنسانيته أهداها إلى ملك الأردن الملك حسين الملك العربي المسلم لتستقر في عاصمته عمان، بعد عمر طويل بلغ مداه ١٣٧٠ عاما ميلاديا أو ١٤١٢ عاما هجريا، لتذكر المسلمين بعظمة دينهم ورسولهم الصادق الأمين، (صلى الله عليه وسلم) إلى يوم الدين.

* ورثت كلمة الأريسيين في مؤلف تراثي قديم للراهب إثناسيوس عضو مجمع نيقية (٣٢٥م) وعنوانه (الرد على الأريسيين) وهذا المؤلف هو الركيزة لكل ما كتبه جميع اللاعوتين.

(العاصمة الأندلسية القديمة) (الأنفونش). ثم انقطعت أخبارها بعد ذلك، إلى أن ظهرت في حوزة الأخير (الملك) عبد الله ملك الأردن، وأوصى بها زوجته الملكة «نهجة» بعد وفاته، ولما توفي الملك عبد الله حفظتها زوجته في إحدى الخزائن في بنوك سويسرا، وحين احتاجت إلى المال سحبتها من الخزانة بنفسها وعرضتها للبيع في لندن.

وأخذ الخبراء في فحصها فحصا علميا دقيقا، حتى لا يكون هناك شبهة من أي نوع في أنها الوثيقة التاريخية الصحيحة، التي لم يشهها تزوير بأي لون من الألوان واستقرت عملية الفحص هذه عاما كاملا بمعرفة خبراء من العلماء الإسلاميين والأوربيين، منهم:

- العالم الهندي محمد عبد الله الاستاذ بالسوريون.

- الدكتور هنري فرعون.

- المؤرخ د. عز الدين ابراهيم.

- خبيرة متحف «طوب كاي سراي».

وجرى الفحص الميكروسكوبي بالأشعة فوق البنفسجية وبواسطة الامكانات المتاحة لدى المتحف البريطاني بلندن، ومختبرات جامعة لينز البريطانية، وكانت النتيجة ترجيح صحة هذه الوثيقة ونسبتها إلى الرسول الأعظم، باعتبارها الرسالة الحقيقية التي سلمت إلى هرقل من مبعوث الرسول الكريم؛ وخضعت أفعال الفحص إلى النتائج التالية:

تعريب المصطلحات في المملكة العربية السعودية

المفردات الأجنبية في اللغة العربية سواء كانت علمية أو تقنية أو طبية أو غير ذلك.

ومن أهداف التعريب في المملكة التأكيد على استخدام اللغة العربية في الخطب الرسمية، وتشجيع البحوث في الأدب العربي، وبذل الدعم المادي والمعنوي لبرامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها سواء داخل المملكة أو في البلدان الأخرى مثل أمريكا وبريطانيا (حجازي ١٩٩٢م).

وكما أشرنا سابقاً فإن التعريب يخدم هدفا قوميا عربيا هو المحافظة على الوحدة الثقافية العربية، حيث إن اللغة العربية إلى جانب الإسلام هي أهم مرتكزات تلك الوحدة، وكما يشير فيشمان (١٩٩٧ Fishman) الوحدة اللغوية هي أهم العناصر التي تحدد مسار برامج التخطيط اللغوي، ومن شأنها تأصيل الروابط التاريخية والثقافية وروابط الدم والقربى، وذلك من أجل تكوين وحدة وطنية كبرى تنوب فيها الإقليمية وتجمع شمل المجموعات البدوية والحضرية لخلق مجتمع قوي متماسك (المولودي ١٩٨٦م).

ويعد التعريب من أهم وسائل التنمية على جميع المستويات. فعلى المستوى الثقافي يقوم التعريب بربط الأمة بماضيها الفكري (القاسمي ١٩٨٧م)، وعلى المستوى الاقتصادي فإن التعريب وسيلة اقتصادية مناسبة لرفع مستوى الوعي الاجتماعي، إذ أن نشر الوعي الاجتماعي عبر اللغة التي يعرفها كل أبناء المجتمع أسهل وأيسر من استخدام لغة دخيلة أو مفردات دخيلة لا يفهمها عامة الناس (القاسمي ١٩٨٧م). أما على المستوى التربوي فإن الدراسات تؤكد أن استيعاب المعلومات والمعارف يتم بصورة

*** في الحلقة السابقة من هذا الموضوع (المنشورة في عدد ذي الحجة ١٤٢١هـ تحدث الكاتب عن العناصر التي تقوم عليها نظرية التخطيط اللغوي، وحصرها في أربعة عناصر هي:**

- تحديد الوضع اللغوي القائم.
- وضع السياسة اللغوية التي تهدف إلى إصلاح الوضع اللغوي.

- شمولية السياسة اللغوية على كل المؤثرات في اللغة.

- ثم تأتي مرحلة التنفيذ، وهذه لها مقوماتها.

يعد التعريب من أهم وسائل الحفاظ على سلامة اللغة العربية، وهو من الواجبات الأساسية التي يجب على الدول العربية عامة القيام بها، والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة، كونها موطن اللغة العربية ومنبع الإسلام (المطعمي ١٩٩٩م) ويرى كابلان وبلدوف ١٩٩٧م أن «القوى الإسلامية لعبت دورا هاما في انتشار اللغة العربية، انطلاقا من مبدأ أن كلام الله يجب أن ينتشر باللغة التي أنزله الله بها على نبيه [صلى الله عليه وسلم]».

والتعريب من الأهداف الوطنية الهامة في المملكة العربية السعودية، وذلك انطلاقا من دورها في خدمة الإسلام من خلال نشر اللغة العربية والمحافظة على سلامتها، وتهدف استراتيجية التعريب في المملكة إلى المحافظة على اللغة العربية في الإعلام والتعليم، وببذل في هذا الإطار تطوير واستثمار كل السبل التي من شأنها جعل اللغة العربية قادرة على التعبير عن المصطلحات العلمية الحديثة، والحد من انتشار



بقلم : د. هادي التماني مدير مركز اللغة الانجليزية بمعهد الادارة العامة بالرياض

٢ - يجب على كل الدول العربية إقامة مؤسسات

تعنى بما يلي:

١ - ترجمة الكتب العلمية والطبية والتقنية،
والدوريات العلمية، والموسوعات إلى العربية.

ب - ترجمة الأدب العالمي إلى العربية.

٤ - يجب على كل الحكومات العربية التأكيد على
استخدام اللغة العربية الفصحى في وسائل الإعلام.

٥ - يجب على كل الدول العربية المحافظة على
استخدام الحرف العربي في الكتابة.

٦ - يوصي المؤتمر بإعادة المفردات الشائعة في
بعض اللهجات إلى أصولها العربية الفصحى، وجمعها
في معجم موحد لكي يتم تعميمها على كل الدول
العربية مما سيساعد على تقارب اللهجات العربية.

٧ - يوصي المؤتمر بتوحيد منهجية التعريب،
واستخدام الكلمات المعربة بدلا من المصطلحات
الوافدة.

٨ - يجب زيادة حصص تدريس اللغة العربية في
المدارس في كل الدول العربية.

٩ - يجب أن يكون هناك برامج تطويرية لمدرسي
اللغة العربية، وذلك من أجل رفع مستوى

المدرسين، كما يجب وضع برامج

تدريبية لمقدمي البرامج في

وسائل الإعلام المسموعة

والمرئية.

١٠ - يجب أن يكون

هناك قانون يلزم أصحاب

المصالح التجارية

بضرورة المحافظة على

وضع اللوحات واللافتات

باللغة العربية، والتأكد من

سلامة العبارات المستخدمة

في تلك اللوحات.

١١ - يجب حث الشخصيات

أفضل عندما تستخدم اللغة الأصلية للمتعلم. ولذلك
فإن من يتعلم بغير لغته يجد صعوبة كبيرة في فهم
دقائق العلوم ذلك الفهم الذي يَكُنُّ صاحبه من
الإضافة والإبداع وليس التلقي فقط (القاسمي
١٩٨٧م).

وأخيرا فإن التعريب والمحافظة على اللغة العربية
يكفل الحفاظ على الحضارة الإسلامية التي نقلت
وكتبت باللغة العربية، إذ أن الحفاظ على اللغة من أهم
وسائل الحفاظ على الهوية الحضارية.

ولقد اهتمت المملكة العربية السعودية بالتعريب منذ
البدء، حيث كان أول محاولة لتوحيد المصطلحات الطبية
المعربة في عام ١٩٤٠م حينما كتبت المملكة إلى نقابة
الاطباء المصرية بهدف وضع منهجية للتعريب في
العالم العربي منذ ذلك الحين. وهذا يعكس مدى
اهتمام الحكومة السعودية بقضية التعريب. وقد توالى
الجهود بعد ذلك، حيث عقدت المؤتمرات وأنشئت مراكز
تعنى بالتعريب، وتوالت التعليمات بضرورة تطبيق
التوصيات التي تصدر من المجامع اللغوية في
الجامعات، مثل توصيات مجمع اللغة العربية في
القاهرة. ومن التوصيات التي تم تعميمها

على جامعات المملكة ما صدر عن

مجمع القاهرة في مؤتمر عام

١٩٩٢م. ومن هذه التوصيات

ما يلي:

١ - يجب على التلاميذ

في المراحل الأولية حفظ

ثلاثة أجزاء من القرآن

الكریم، وذلك من أجل تقوية

الملكة اللغوية لديهم.

٢ - يجب أن تكون اللغة

العربية هي لغة التدريس في

الجامعات في الدول العربية،

وكذلك في الدراسات العليا.

*** استراتيجيات**
التعريب تهدف للمحافظة
على اللغة العربية.
*** التعريب أحد أهم**
وسائل التنمية.

موضوع التعريب في مناسبات عدة، ومن خلال نشر المقالات في الصحف، وكذلك عقد المؤتمرات والندوات. وقد أثر هذا الإصلاح بعض المشروعات القائمة الآن. وبادرت بعض الجامعات بعقد اللقاءات والمنتديات حول إمكانية تعريب التعليم الجامعي في الكليات العلمية فيها، والنظر إلى جهود بعض المؤسسات الأكاديمية في هذا المجال، واستطلاع آراء المهتمين، وأعضاء مجمع القاهرة من السعوديين حول الموضوع. وفيما يلي نعرض بعضاً من هذه الجهود.

أولاً: مشروع البنك الآلي السعودي للمصطلحات «باسم».

نبعت فكرة (باسم) بتوثيق جميع المصطلحات التي تم تعريبها سواء من قبل المجمع اللغوي، أو من قبل المؤسسات التعليمية، أو حتى الفردية في معجم الكتروني موحد، وذلك في أواخر عام ١٩٨٢م. وكان رائد هذه الفكرة الأستاذ الدكتور/

محمود بن اسماعيل صالح، أستاذ اللغويات في جامعة الملك سعود بالرياض.

(باسم) عبارة عن بنك آلي «قاموس الكتروني» جمع فيه حتى الآن ما يقارب ٣٥٠.٠٠٠ مصطلح. وتم جمع مادة (باسم) من مصادر متعددة كما ذكرنا آنفاً. ويشير الدكتور/ محمود صالح (مؤسس باسم) إلى أن المشروع يهدف إلى:

- ١ - جمع مخزون كبير من المصطلحات العلمية في معجم الكتروني، يمكن استرجاع مكوناته بسرعة وكفاءة، وذلك للاستفادة من قبل المترجمين في الحقول العلمية، والنواحي الإعلامية، والقاموس رباعي اللغة: عربي، إنجليزي، فرنسي، ألماني.
- ٢ - تجهيز مخزون من المصطلحات يمكن الاعتماد عليه في تطوير برامج الترجمة الآلية من وإلى العربية.
- ٣ - محاولة توفير المصطلحات

الزسمية على استخدام اللغة العربية الفصحى في الخطب العامة.

وقد قامت وزارة التعليم العالي بتعميم هذه التوصيات على جميع الجامعات في المملكة، وذلك انطلاقاً من اهتمام الدولة بقضية التعريب، ولكن هذا التعميم لم يصاحبه آلية واضحة للتطبيق. ولذلك فإن مثل هذه التوصيات لم يكن لها الأثر المطلوب. وفي الواقع إن التعريب يعاني من عدم وجود آلية (أو خطة عمل) للتطبيق في معظم الدول العربية.

وسياسة التعليم في المملكة تؤكد على أن اللغة العربية يجب أن تكون لغة التدريس في كل مراحل الدراسة الجامعية، وهذا بالطبع يحتم تعريب المصطلحات الأجنبية في التخصصات العلمية، والمادة الحادية عشرة من سياسة التعليم في المملكة توضح ذلك:

«يجب أن تكون اللغة العربية هي لغة التدريس في الجامعات، ويمكن استخدام لغة أجنبية عند الضرورة، ويتم ذلك بقرار من مجلس الجامعة» نظام التعليم العالي، الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.

فكما تشير المادة، اللغة العربية هي الأساس، واللغة الأجنبية هي الاستثناء، أي عند الضرورة فقط، وفي أضيق الحدود، غير أن اللغة الإنجليزية هي اللغة المستخدمة في الكليات العلمية في معظم الجامعات السعودية، ومعظم الأبحاث والدراسات العلمية تكتب وتنتشر باللغة الإنجليزية وغالباً في دوريات أجنبية مما لا يتيح المجال للاستفادة منها في الداخل، خصوصاً لمن لا يتقن اللغة الإنجليزية. وعلى هذا الأساس فإن التعريب يظل ذا أثر محدود في المسار الأكاديمي في المملكة.

ولقد بذل مباحثو التعريب في المملكة جهوداً متواصلة في إثارة

*** الهدف القومي للتعريب الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية.**
*** مشروع البنك الآلي السعودي للمصطلحات خطوة جريئة ومفيدة في الطريق الصحيح.**
*** (باسم) مشروع يبدأ بجمع المصطلحات.**

الآن الإعداد لوضع (باسم) على الشبكة العالمية (The Internet) لكي تتم الاستفادة منه، بشكل مباشر. وفي الواقع فإنه قد بدأ التشغيل التجريبي لـ (باسم) على شبكة المدينة الداخلية.

والحقيقة أنه لا يوجد هناك تنسيق مباشر على المستوى الرسمي بين (باسم) والمؤسسات التي تعنى بالتعريب في العالم العربي، إذ إن الأمر يتوقف عن أخذ المصطلحات من المعاجم، ولا يتعداه إلى تنسيق آليات العمل أو عقد لقاءات مع المختصين بشكل دائم. كما أنه لا يوجد مجال محدد للتعاون مع أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة من السعوديين، ولقد فوجئت أن أحد هؤلاء الأعضاء لا يعلم بوجود (باسم)، وذلك أثناء مقابلاتي له عام ١٩٩٩م.

والتصور الموجود لدى القائمين على (باسم) أن المشروع لا يتناول عملية التعريب نفسها، بل يبدأ بعد ذلك، أي أنه يقتصر على جمع المصطلحات التي تم تعريبها. وهذا ما جعل (باسم) يقع في مزالق الترادف حيث إنه يتم إدخال المصطلح أكثر من مرة بصيغ مختلفة، حسب المصادر المتعددة التي يأخذ منها، فمثلاً كلمة «التلفون» تدخل مرة على أنها «هاتف» ومرة على أنها «تلفون» ومرة على أنها «حاكي»، وهكذا. وبالتالي فإن المستخدم سيقع في حيرة أيها يستخدم والأمثلة على هذا كثيرة جداً. ومشكلة أخرى يعاني منها (باسم) وهي التكرار، حيث يتم إدخال المصطلح مرة تحت تصنيف الكيمياء، ومرة تحت تصنيف الفيزياء، ومرة تحت العلوم الطبيعية، ومثال ذلك كلمة «التقنية» حيث تجدها مكررة في كل حقل من هذه الحقول.

ويؤمل القائمون على (باسم) في تطويره في المستقبل بما يكفل سرعة ومرونة الأداء، كما أن هناك توجهاً لإضافة برامج حاسوبية يمكنها عرض المدخلات والصور المصاحبة لها كما يطمح القائمون على المشروع في تطوير استخداماته في برامج الترجمة الآلية، وما شابه ذلك. وفي الحلقة القادمة سنتحدث عن التعريب في مؤسسات أخرى مثل: الهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس (SASO)، ومركز التعريب في جامعة الملك عبد العزيز، وأخيراً جهود جامعة الملك سعود في مجال التعريب.

المعربة للباحثين، والكتاب، وجميع فئات المجتمع. ٤ - وضع منهجية ذات معايير محددة لتعريب المصطلحات يمكن للهيئات والمؤسسات التي تعنى بالتعريب الاستفادة منها (صالح ١٩٨٦م، ص ١٦٩). ويتبع (باسم) لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (kacst)، وهي مؤسسة حكومية مقرها الرياض. وفيما يلي سنتحدث عن مراحل تطور (باسم):

في عام ١٩٨٣م قدم الدكتور/ محمود اسماعيل صالح استاذ اللغويات بجامعة الملك سعود - أول خطة لإنشاء البنك السعودي الآلي. ويهذه يعتبر الدكتور صالح المؤسس الحقيقي للبنك وذلك بعد أن قام بزيارة عدد من بنوك المعلومات كالمنظمة العالمية للمواصفات والمقاييس (ISO) في جنيف، وكذلك (Infoterm) في فيينا، ويعد ذلك تمت الموافقة على الخطة.

خلال عام ١٩٨٣م أيضاً بدأ قسم الحاسب الآلي بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بجمع المصطلحات من المعاجم وقوائم المصطلحات حيث تم إدخال أول ٦٠٠ مصطلح كما أشار مدير المشروع/ عبد الرحمن الفاضل (١٩٩٩م).

وتم كذلك إدخال معلومات حول كل مصطلح، ومن هذه المعلومات:

«اسم المصطلح كاملاً - مصادر المصطلح - تاريخ المصطلح - مستوى دقة المصطلح - المعلومات النحوية - تعريف المصطلح (أنظر الفهارس)».

ويعتمد تقييم المصطلح من حيث الدقة والجودة على المصدر الذي تم أخذه منه، فمثلاً المصطلحات المأخوذة من المعاجم التي تصدرها الجامعات اللغوية تحتل المركز الأول، ثم المعاجم التي تصدرها المؤسسات الأخرى، ثم أخيراً المعاجم التي يصدرها أفراد. وتشمل المعلومات النحوية لكل مصطلح على نوع المصطلح: اسم، فعل، صفة، الخ، وهل المصطلح مذكر أم مؤنث، وأخيراً العدد: مفرد، مثنى، جمع. غير أن المتصفح لـ (باسم) يجد أن هذه المعلومات لم يتم إدخالها إلا لعدد محدود جداً من المصطلحات.

وقد بلغ عدد مدخلات (باسم) ٣٥٠٠٠ مصطلح، وذلك بنهاية شهر نوفمبر ١٩٩٩م ويجري

ذكرنا في الحلقة التي مضت بعض الأسباب والعوامل التي أدت إلى ذبوع فكر التكفير وانتشاره ونحن نذكر هنا بعون الله عز وجل طرفاً من العوامل التي تعصم من ذلك الفكر وتعين من درج في سلكه على النجاة بنفسه منه، فمن ذلك:

الضحية والورع:

إذ إن التسرع في إصدار الأحكام والفتاوى بالتكفير ثمرته بشعة وعاقبته وخيمة، وهذه الخطورة مبناهما على أمور:

أحدهما: أن التسرع في تكفير المسلم فيه افتراء الكذب على الله

عز وجل فإن الحاكم بالتكفير مخبر عن الله عز وجل أن فلانا من الناس كافر في حكم الله عز وجل، وذلك الأمر من الخطورة بمكان، فينبغي التأني في ذلك وعدم التسرع والعجلة.

والثاني: أن في ذلك ظلم عظيم للمحكوم عليه بالكفر إن كان سالماً من ذلك، إذ أن الحكم على المعين بالكفر تنبئ عليه أحكام عظيمة وأمور جسيمة منها: استباحة دمه وفراق زوجته وأنه لا يرثه أبناؤه وعشيرته وأنه لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، فلأجل هذه الأحكام الشديدة المترتبة على الحكم بالكفر لابد من التأني في ذلك.

يقول الإمام الفزالي - رحمه الله - في «الاقتصاد في الاعتقاد» ص ٢٦٩ «والذي ينبغي الاحتراز منه التكفير ما وجد اليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك الف كافر في الصياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلم».

والثالث: الوقوع في الوعيد الشديد الوارد في حق من كفر من ليس بكافر، يقول الإمام الشوكاني رحمه الله في «السييل الجرار» (٤/٥٧٨): [إن الحكم على الرجل المسلم بخروجه عن دين الإسلام، ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم

كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما» [١] وفي رواية «إن كان كما قال وإلا رجعت عليه»، وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي [صلى الله عليه وسلم] «من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه».

وبعد ألا فليتنق أقوام اتخذوا دماء المسلمين مرتعاً لهم فسارعوا في تكفيرهم واستباحوا دماهم وأموالهم وليخشوا يوماً يجمع فيه الله الخلق في صعيد واحد حفاة عراة غرلا بهما فيقتص للمظلوم ممن ظلمه.

العلم بأن التكفير حكم شرعي وثمرة ذلك تتمثل في أمرين:

أحدهما: أن التكفير كفيره من الأحكام الشرعية يتوقف فيه على الدليل الشرعي من كتاب أو سنة أو إجماع يقول حافظ المغرب الإمام أبو عمر بن عبد البر - رحمه الله - في «التمهيد» (٢١/١٧) «وقد اتفق أهل السنة والجماعة - وهم أهل الفقه والأثر - علي أن أحداً لا يخرج من ذنبه - وإن عظم - من الإسلام، وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر ألا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره أو قام على تكفيره دليل لا مرفق له (من) كتاب أو سنة».

الأخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار، فانه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»، هكذا في الصحيح وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما: «من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه» أي رجع، وفي لفظ في الصحيح «فقد كفر أحدهما» ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ من التسرع في التكفير.

يقول الشيخ العلامة ابن العثيمين - رحمه الله - في «القواعد المثلى» ص ٥٥ [الأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء اسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيره لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم وعلي المحكوم عليه في الوصف الذي نبذ به.

الثاني: الوقوع فيما نبذ به أخاه إن كان سالماً منه. ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال: «إذا

وبذلك نعلم أن التكفير سمعي محض:

فلا مدخل فيه للعقول وآرائها واستحساناتها كحال كثير من الناس الذين يقولون مثلاً: لو كان فلان مسلماً لما أكل أموال الناس بالباطل فهو كافر وليس بمسلم، فمثل هذا القول خطأ كبير وغلط جسيم لأنه تكفير بمجرد العقل من غير استناد إلى دليل من كتاب أو سنة يقول القرافي المالكي في «تهذيب الفروق» (١٥٨/٤) «كون أمر ما كفر، أي أمر كان، ليس من الأمور العقلية، بل هو من الأمور الشرعية فإذا قال الشارع في أمر ما هو كفر فهو كفر».

ولا مدخل فيه للعواطف الجامحة والحماسات الطاغية.

ولا يحمل عليه ظلم ظالم أو معاملة بمثل، فلو أن أحداً ما كفر أحداً ما ظلماً وعدواناً فليس للمظلوم أن يرد الظلم بمثل فيكفر من كفره، ولأجل ذلك انتقد العلماء مقولة الشيخ أبي إسحاق الأسفراييني - رحمه الله - التي نقلها عنه الفخر الرازي في «نهاية العقول» حيث قال الأسفراييني «أكفر من يكفرك، وكل مخالف يكفرنا فنحن نكفره، وإلا فلا»، يقول شيخ الإسلام وعلم الأعلام ابن تيمية الحراني - رحمه الله - راداً على ذلك في كتابه «مناهج السنة النبوية» (٢٤٤/٥) «... وهذا خلاف ما كان يقوله بعض الناس كآبي إسحاق الأسفراييني ومن اتبعه،

يقولون: لا نكفر إلا من كفرنا - فإن الكفر ليس حقاً لهم، بل هو حق الله وليس للإنسان أن يكذب على من يكذب عليه، ولا يفعل الفاحشة بأهل من فعل الفاحشة بأهله، بل لو استكرهه رجل على اللواط لم يكن له أن يستكرهه على ذلك... لأن هذا حرام لحق الله تعالى، ولو سب النصاري نبينا لم يكن لنا أن نسب المسيح، والرافضة إذا كفروا أبا بكر وعمر، فليس لنا أن نكفر علياً» [٢].

ولا مدخل لتقليد محض في التكفير وقد سجل لنا التاريخ في صفحاته بمداد من نور الرسالة التي سطرها العلامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي - رحمه الله - إلى صاحبه في المذهب شيخ حران وفقهائها العلامة فخر الدين ابن تيمية [٣]، وأصل القصة أن العلامة فخر الدين ابن تيمية - رحمه الله - أفتى بتكفير القائلين بخلق القرآن وجزم بخلودهم في النار واعتمد في ذلك على مصنفات علماء مذهب من الحنابلة فقلدهم في ذلك فرد عليه العلامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي الحنبلي - رحمه الله - برسالة نقلها صاحب «الذيل على طبقات الحنابلة» (١٥٤/٢) وكان مما جاء فيها: «فأما قوله - أي فخر الدين - إن كتب الأصحاب القديمة والحديثة فيها القول بتكفير القائل بخلق القرآن، فهذا متضمن أن قول الأصحاب هو الحجة القاطعة، وهذا عجب! أتري لو أجمع الأصحاب على مسألة فروعية أكان يقتنع ويكتفي

وتوقف فيها أهل الرأي والنظر والعلم والأثر، وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله تعالى - في «فتح الباري» أن إمام الحرمين أبي المعالي الجويني - رحمه الله - سئل عن مسألة تكفير الخوارج فاعتذر عن ذلك وقال «الغلط فيها يصعب لأن ادخال الكافر في الملة وإخراج المسلم منها عظيم» [هـ] - ألا فليح ذلك الجهلة الأغرار والصبية الأغمار الذين رفعوا راية التفكير في المدائن والأمصار - فإننا لله وإنا إليه راجعون.

- للبحث صلة -

الهوامش :

(١) أحاديث الوعيد الشديد في حق من كفر من ليس بكافر كثيرة ومعناها أن من فعل ذلك يقع عليه الالتم الشديد وليس معناها أنه كافر خارج عن ملة الاسلام كما أشار الى ذلك الامام ابن حزم في «الفصل» (٢٩٢/٣) والحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٤٨١/١٠).

(٢) انظر «الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير» للعنبري.

(٣) هو أحد اعمام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٤) بواسطة «إحكام التقرير» لمрад شكري.

(٥) فتح الباري (٣٠٠/١٢).

بذكرها؟ فإن كان فخر الدين يرى هذا فلا يحتاج في تصنيفه الى ذكر دليل سوى قول الأصحاب، وإن كان لا يرى ذلك حجة في الفروع فكيف جعله حجة في الأصول؟.

وهب أنا عذرنا العامة في تقليدهم للشيخ أبي الفرج وغيره من غير نظر في دليل، فكيف يعذر من هو إمام يرجع إليه في أنواع العلوم، ثم قال له كلاماً جدير بكل متسرع في اطلاق احكام التكفير أن يعقله ويعيه ويتأمل معانيه. قال له: «واعلم أيها الأخ الناصح أنك قادم على ربك ومسئول عن مقالتك هذه، فانظر من السائل وانظر ما أنت له قائل، فأعد للمسألة جواباً، وأدرع للاعتذار جلياباً، ولا تظن أنه يقتنع منك في الجواب بتقليد بعض الأصحاب، ولا يكتفى منك بالحوالة على الشيخ أبي الفرج وابن الزاغوني وأبي الخطاب، ولا يخلصك الاعتذار بأن الأصحاب اتفقوا على أنهم من جملة الكفار، ولازم ذلك الخلود في النار، فإن هذا الكلام مسخول، وجواب غير مقبول» [٤].

والثاني: أنه إذا علم أن التكفير حكم شرعي فمن لوازم ذلك أن الحكم به مرده الى أهل العلم من أئمة الدين والعلماء المجتهدين وأن مما يندى له الجبين في هذا العصر الأليم أنه دخل في هذا الأمر الخطير أقوام ليسوا من العلم في ورد ولا صدر فتصلبوا لأمر تنكبها أكابر العلماء وتجنبها الأئمة الفقهاء



المخدرات طريقك الى الملاك

مع تصيات **دار المنهل** مجلة العرب الأدبية

تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي جدة وهز بريدي ٢١٤٦١ ص ب ٢٩٢٥ ت ٢٤٢٢٩٢٤ فاكس ٢٤٢٨٨٥٢

في البلدان والعمدان في التقاليد
والأعراف في ثقافة المجتمع
الناس، الساعات يسكن في
الطامسة ويملكهم اللوحة



الدنمارك تكريات ومعالج

الساعات

العدد (١٢٧)



الدنمارك .. ذكريات ومعالم

صافحتني بحارة .. اسمها «فرح» إيرانية الأصل والموالد، عرفتي بزوجها الشاب «البرت» دنماركي الأصل، مسلم، مبرس بالجامعة، يدرس الدكتوراه في الهندسة الميكانيكية وسبب تعارفهما هو قرب منزل عائلته وعائلتها منذ قدوم أسرتها الى الدنمارك أثناء الحرب الإيرانية العراقية، كانت صغيرة تعلمت في مدارس الدنمارك، درست التاريخ بجامعة، محافظة على تعاليم دينها الإسلامي الحنيف فأعجب بها «البرت» ويسلوها فاقبل على زواجها دون تردد بعد أن أعطى إسلامه عن اقتناع تام فهو يحب الاستقرار والجو الأسرى وإنجاب الأطفال، فناء الدنمارك يختلف في عاداته وتقاليدهن، فمنذ عام ١٩٦٠م ارتفع عدد المطلقات من النسوة وانخفض عدد المتزوجين وارتفع سن زواج الفتاة إلى ٢٠ عاماً بعد أن كان ٢٥ عاماً، وسن زواج الفتى ارتفع إلى سن ٢٢ عاماً بعد أن كان ٢٧ عاماً، فالمرأة الدنماركية تحب أن تعيش بمفردها حتى تبعد عن قيود الزوجية وتتفرغ لعملها باعتبارها متساوية مع الرجل في الحقوق والواجبات. ولفت انتباهي معرفتي بأن عدد الرجال هناك يبلغ نحو ٢٠٠.٦٢٦ مليون يزيد قليلاً عن عدد النساء البالغ عددهن ٢٠٠.٥٤٩ مليون فهم تقريباً متساوون في الكم والكيف.

في أسوان كانت لنا جلسات ومناقشات طويلة ولم أترك الفرصة تفوتني لاسترجع ذكرياتي عن

لم تكن رحلتي إلى مملكة الدنمارك حديثة عهد قريب، إنما ترجع إلى سنين عديدة مضت كان آخرها عام ١٩٨٧م، كما كانت العاصمة كوبنهاجن بالنسبة لي هي همزة الوصل بين القاهرة والدول الاسكندنافية، ورغم مضي تلك السنين الطوال لآخر زيارة لها إلا أن صورة الدنمارك وعاصمتها مازالت متطبعة في مخيلتي كأمّة في وجداني أتابع أخبارها من وقت لآخر فهناك من يمدني بكل ما يستجد فيها من أمور وما يقع من أحداث ممن يزورون بلادى من الدنماركيين يأتون في مجموعات سياحية منظمة فهي فرصة لي أن أجيد ذكرياتي لتلك البلاد والأصقاع البعيدة مضيئاً ليها حصيلتي من القرامة والاطلاع فكانت الثمرة هي تلك الرحلة البعيدة القريبة التي تهم كل من يعشق السفر والرحلات ومعرفة البلدان.

في مطار أسوان كتبت في استقبال مجموعة دنماركية صغيرة عدد أفرادها أربعة أشخاص وهم عائلتان إحداهما زوج وزوجته يبلغان من العمر ستين عاماً فيهما حيوية الشباب ونشاطه .. دائما الحركة في صالة الاستقبال أثناء جمع حقائبهما وأسئلتهما الكثيرة المفيدة والتقاطعها للصور التذكارية في كل مكان يذهبان إليه، والعائلة الثانية شاب وسيم طويل بشرته بيضاء شعره أصفر، مسترسل ذو عينان زرقاوان صافيتان فيه كل أوصاف أهل الدنمارك، أبناً زوجته فهي دون الثلاثين بأربع سنوات في



نموذج لقرية دنماركية

جزيرتي جرين لاند القريبة من القطب الشمالي وجزيرة «الفرو» تكون مساحتها الكلية ٢٢ مليون كم٢.

أهم المدن الدنماركية وأكبرها (كوبنهاجن) العاصمة، وهي العاصمة السياسية للبلاد وبها جامعة وعدد كبير من المعارض والمكتبات والمسارح، وأهم الموانئ ميناء «أورهوس» وفيه جامعة شهيرة، أما مدينة «أولبورج» فيها مصنع للأسمت وميناء وبها أكبر المعارض الاسكتندنافية وكذلك جامعة. ويبلغ عدد الجامعات في الدنمارك خمس جامعات، ومدينة «روشيلد» وبها بعض المصانع ومدينة «لينجي» التي تبعد عن كوبنهاجن نحو ١٠ كم وهي تعتبر من المدن السياحية الكبرى بعد العاصمة كوبنهاجن وبها مركز للصناعات اليدوية ومحطة

الدنمارك وأهلها وأعرف ما يستجد بها من أمور... كان اصطحابي لهذه المجموعة الصغيرة مريحاً... فقد عدت بنكريات رحلاتي إلى بلادهم... غصت فيها عبر المكان والزمان.

الدنمارك تقع في شمال غرب أوروبا على مدخل بحر البلطيق ونهاية بحر الشمال، وتتكون أرضها في هذه البقعة من شبه جزيرة «جيتلند» أكبر الجزر هناك وعدد من الجزر الملاصقة لها وأهمها جزيرتي «زيلاند» و«فونين»، وجزيرة «جيتلند» هي الأم لأراضي الدنمارك وتقع عليها العاصمة «كوبنهاجن» والدنمارك دولة صغيرة إذا ما قيست بباقي الدول المجاورة لها، مساحتها ٤٣.١٧ كم٢ وعدد سكانها حسب إحصاء عام ١٩٩٣م (١٩٨٠-١٩٩٤) مليون نسمة، ولكن إذا ما أُنْصِف إلى أرضها الأصلية



يختلف قليلا عن باقي الدول الاسكندنافية المجاورة لها، والأمطار تسقط معظم شهور السنة ودرجة الحرارة لا تزيد عن ٨ درجات في فصل الصيف وتصل أحيانا إلى ٢٠° خلال شهر يوليو، أما الشتاء فهو بارد معتم في شهري ديسمبر ويناير وتصل درجة الحرارة إلى ٢٠°، وينتشر الصقيع في معظم الأرجاء وتتعرض الدنمارك لرياح عكسية ممطرة طوال العام تقريبا ورياح شتوية باردة تهب عليها من داخل القارة الأوروبية، ولهذا يمثل مناخ الدنمارك منطقة انتقال بين مناخى شمال غرب أوروبا ووسطها.

والدنمارك بلد زراعي قديم، ففي عهد الفايكنج كانت الزراعة هي المصدر الرئيسي لهم وكذلك الثروة الحيوانية من أغنام وماعز وأبقار وخنازير وخيول، ورغم تقدم الدنمارك في مجال الصناعة تجد أنها لم تهمل الزراعة باعتبارها من أهم مقومات الصناعة والنهوض باقتصاد البلاد، ولهذا أزيلت معظم أشجار الغابات النفضية وحلت محلها الزراعة فزرعت مساحات شاسعة من الشوفان والشعير

والبنجر والبطاطس وكذلك العشب الذى تقوم عليه تربية الحيوانات لإنتاج وتصنيع المنتجات القائمة على الألبان واللحم.

وبفضل إنشاء الجمعيات التعاونية واستخدام التقنية الحديثة والميكنة الزراعية أصبحت الدنمارك من أوائل الدول التي تصدر المواد الغذائية في العالم.

لتوليد الكهرباء وطواحين الهواء وفي المدينة منتزه جميل تمارس فيه رياضة ركوب الدراجات وبها سوق تجارى كبير يقصده كل الدنماركيين، وقصور ومبان قديمة ترجع إلى العصور الوسطى، وتمتاز الأراضي الدنماركية الواقعة على بحرى البلطيق والشمال بأن سهولها منبسطة ومستوية قليلة الارتفاع فأعلى موقع بها لا يزيد ارتفاعه عن ٧٢ مترا فوق سطح البحر، ومعظم الأراضي هناك خضراء.

وتتمو الزراعة في السهول المسطحة حيث تقل الانحدارات وتبلغ الأراضي الزراعية نحو ثلثي المساحة الكلية هناك، أما الغابات فتمثل ١٠٪ بينما تمثل الأرض البور ١٠٪ من المساحة المتبقية التي يسكن فيها أهل الدنمارك ويتركز معظم السكان في المدن الكبيرة خاصة العاصمة كوبنهاجن التي يعيش فيها أكثر من ١٤٠٠ مليون نسمة وتبلغ الكثافة السكانية على أرض الدنمارك نحو ١١٩ في كل متر مربع.

ومناخ الدنمارك ساحلى معتدل وهو في ذلك



نموذج من المنازل القمية

أشعر بعدى المرونة وسهولة إجراءات السفر دون تعقيدات أو روتين وكنت دائماً وبسرعة ما أُنزل همومي وراء ظهري مع طبقات النوج التي كانت تغطي سماء وأرض المطار، وأعود إلى رشدي ورتفع معنوياتي مع قلبى الذى هبط مع هبوط الطائرة على أرض المطار، وبمجرد انطلاق السيارة في شوارع المدينة أرى كل شيء كأنه جديد، وأمتع نظري بجمال المدينة ونظافتها واتساع شوارعها واستقامتها وتنظيم مبانيها وتنسيقها الذى قل أن تجده في أي مدينة أخرى مما دفعنى أن أكتب خواطرى الكثيرة عن تلك البلاد.

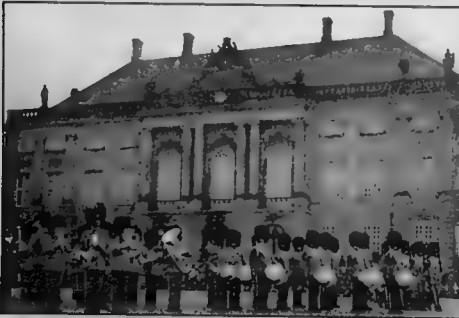
ومن خلال زيارتى المتعددة وجولاتي الكثيرة سواء في العاصمة أو في المدن الأخرى عرفت أن الدنمارك ليست بلداً صناعياً متقدماً فقط في شمال أوروبا ولكنها بلد سياحي من الدرجة الأولى وتعتبر السياحة من الدخول الأساسية للاقتصاد الدنماركي حيث يزورها سنوياً حوالي ١٠ مليون سائح لمشاهدة طبيعتها الجميلة وزيارة الأماكن الأثرية بها،

ومن أهم الصناعات التي تقدمت بها الدنمارك الصناعات البلاستيكية ذات الشهرة العالية وصناعة النسيج والملابس، والصناعات القائمة على الأسماك التي تمتلك الدنمارك منها ثروة هائلة فأنفتحت السوق الدنماركية على العالم سواء أكان تصديراً أم استيراداً.

وأهم ما يميز السوق الدنماركية أنه لا يعتمد على وكيل أو وسيط تجارى والسبب بسيط هو أن الشعب الدنماركي لا يعرف في عملية البيع والشراء أسلوب المساومة والفضال، كما أن الحكومة تتخذ أسلوب المرونة في قبولها للتحويلات الأجنبية رغم أن الدنمارك لها عملتها الخاصة هي «الكرون» الدنماركي.

استجمعت من الذاكرة معلوماتي وما كنت قد سجلته في كراسي أثناء زيارتي للدنمارك فنول ما انطبع في ذهني الديمقراطية التي يحتاجها كل محب للحرية والحياد الذي جعل البلد في تقدم ونمو مستمر، والشعب هناك مسالم اجتماعي يحب الضيوف، وهم سريعو

الصركة حتى كبار السن ونوى المعاشات فهم دائماً ما يقضون أوقات فراغهم في كل ما هو مفيد كل في هوايته المفضلة قراءة .. نزهة .. رياضة يجسدون نشاطهم وشبابهم، يغلب على طابعهم الانتماء والمرح يسمعون دائماً وراء المعركة، وفي كل مرة تملأ فيها قديماي مطار «كاستروب» في العاصمة كوبنهاجن كنت



تغير الحرس الملكي في ميدان أملمن بوجر أحد أشهر الميادين وأجملها



وعضوان لجزيرة «الفيرون» والبرلمان الدنماركي **Falking** هو ممثل الشعب وهو قديم يرجع تاريخ إنشائه إلى عام ١٨٤٨م، يقوم الشعب بانتخاب أعضائه كل أربع سنوات، فمثلاً في مجموعة الأحزاب البالغ عددها ١٨ حزبا أكبرها وأهمها الحزب الديمقراطي اليميني، وحزب الشعب الذي تمثل المرآة فيه «٢٠٪ من عدد أعضائه»، وتحفل الدنمارك بعيدها القومي في ٥ يونيو كل عام وهو يوم الدستور.

ومنذ عام ١٩٥٢م نص الدستور الدنماركي على أن يكون هناك مزيد من الديمقراطية فأعضاءه مطالبون بالنهوض بالبلاد ونشر الديمقراطية، والشعب هو صاحب الكلمة العليا في البلاد عن طريق البرلمان، ففي يوم ١٩٩٢/٦/٢م رفض الشعب الدنماركي الاستفتاء الذي أجرته الحكومة على اتفاقية «ماستريخت» الخاصة بالوحدة الأوروبية وطالب الشعب بإجراء بعض التعديلات الخاصة بالاتفاقية، وعندما تم ذلك وافق الشعب على الاتفاقية في مايو ١٩٩٢م.

والدنمارك عضو قديم في الأمم المتحدة منذ إنشائها عام ١٩٤٥م وهي عضو في حلف الأطلسي «الناتو» وانضمت إلى السوق الأوروبية المشتركة عام ١٩٧٢م كما أنها عضو في مجلس دول الشمال الاسكندنافي الخمس.

والعائلة الملكية هي رئيس الدولة في الدنمارك من الناحية التشريعية أما الوزارة برئاسة رئيس الوزراء فهي المختصة بشؤون البلاد. وملكة الدنمارك الحالية هي الملكة مارجريت الثانية من مواليد ١٩٤٠م تولت الحكم عام ١٩٧٢م بعد وفاة والدها الملك فريدريك الخامس وتزوجت من الأمير «هنريك» في ٦ أكتوبر عام ١٩٦٧م.

فالطبيعة فيها متنوعة باختلاف مناخها: خضرة وتلالا ومرتفعات ورمالا وأحجاراً رملية وأخرى طباشيرية، ففي العاصمة كوبنهاجن كان قد اكتشف نوع من الصلصال السمكى الذى يرجع الى العصور الطباشيرية القديمة والتي تعتبر من أطول العصور الجيولوجية فعثر هناك على أسماك متحجرة وعثروا على مادة «البريديوم» والتي يحاول العلماء معرفة سبب انقراض بعض الحيوانات القديمة كالديناصورات، كما أن السائح هناك يستمتع بالجو الساحلى البديع فمياه البحار تحوطها من جميع الاتجاهات، والسواحل ممتدة ونظيفة خاصة في منطقة «نورث زيلاند» وكذلك مجموعة الجزر الكبيرة والصغيرة، كما يشاهد السائح القصور الفخمة التي ترجع الى فترة العصور الوسطى.

والدنمارك غنية بفنادقها ومطاعمها المتعددة، وشبكة مواصلات متطورة ومتقدمة سواء كانت برية أو جوية أو بحرية، وموانئها مهيأة لاستقبال الوافدين إليها.

وتعتبر الدنمارك واحدة من الدول ذات الاقتصاد القوى في أوروبا، وتخصص الحكومة ٤٦٪ من الدخل العام لتحسين الحالة الاجتماعية، إذ تنفق على المعانز والأطفال وأصحاب المعاشات ١٤٪، والتعليم والأبحاث ١٠٪، والصحة ١١٪، وللأعمال التجارية ٤٪ للدفاع ٣٪ للثقافة والكنائس ٢٪ لبناء المساكن ٢٪ للقضايا والمحاكم ٨٪ للتحسين العام.

وتتكون الدنمارك من ١٤ كونت أو محافظة و٢٧٢ بلدية، أما بالنسبة لنظام الحكم هناك فهو دستوري ملكي يحكمها البرلمان بمجلس أحادي يبلغ عدد أعضائه ١٧٩ عضواً ينتخبون بالممثل الشعبي، كما يضم البرلمان عضوين يمثلان جزيرة جرين لاند



الصيد في الدنمارك حيث يفتقر الطفل المروج الخضراء

والشعب الدنماركي مسالم يحب بلده، يعيش في مستوى معيشي مرتفع، والدنمارك علاقات طيبة مع دول العالم خاصة الدول العربية، فتعمل حكومة الدنمارك على نشر السلام في منطقة الشرق الأوسط وحل المشكلة الفلسطينية، كما تقدم الدنمارك مساعدات اقتصادية لدول العالم الثالث والفقيرة فخصصت ما يعادل ١٪ من الدخل العام لمساعدة الشعوب الفقيرة، ومن منطلق الإيمان بأن خروج هذه الدول من أزمتها وديونها يعتبر عملاً كبيراً لتنمية هذه الدول، وقد انفتحت الدنمارك سياحياً على العالم العربي منذ عام ١٩٩٥م.

ويعيش في الدنمارك أقلية إسلامية عددها ١٠ آلاف مسلم يقطن معظمهم في العاصمة كوبنهاجن يمارسون عقيدتهم بحرية في الزوايا والمساجد التي أنشئت هناك فالدنمارك صورة حقيقية للمجتمع الآمن المسالم في العالم.

وللملكة مارجريت الثانية شعبية كبيرة ليس فقط في الدنمارك بل في كل الدول الاسكندنافية فهي محبوبة متعددة الثقافات تقدر العلم والعلماء فانطبع ذلك على شخصيتها فدرست الفلسفة في جامعة كوبنهاجن وحصلت على دبلوم الآثار والتاريخ القديم من جامعة «كامبريدج» وكذلك دبلوم العلوم السياسية من جامعة «أورهاوس» بالدنمارك ودرست الاقتصاد في جامعة لندن فهي موسوعة ثقافية ومتعمسة في الحياة السياسية والاقتصادية وإدارة شؤون الحكم والحياة الاجتماعية، وللملكة هوايات متعددة كالقراءة والاطلاع والفنون ورسم الاسكتشات، تحب السفر ومعرفة البلدان البعيدة والقرية فزارت معظم بلاد العالم وزارت الملكة العربية السعودية عام ١٩٨٤م ومصر عام ١٩٨٦م، عشقت علوم الآثار فلم تقتصر معرفتها على آثار بلادها فحسب بل اهتمت بجميع المناطق الأثرية في العالم وقد ورثت هذه الصفة من جدتها الملكة جوستاف السادسة.

العلامات المميزة للحروف الدنماركية
حرف (O) الذي تجده في اللغة
الدنماركية يكتب (Q) وفي السويدية
يكتب هكذا (ö) مع ملاحظة
اختلاف النطق.

ومن خلال ترددي على المكتبات
العامة وقراءتي المتنوعة عرفت الكثير
عن شخصيات دنماركية أثرت في
الحياة الفكرية والثقافية والأدبية
والعلمية ليس فقط في الدنمارك ولكن
في العالم ومنهم:

١- تيكوبراهما Tycho
Brahe (١٥٦٦ - ١٦٤١م) وهو من
عائلة نبيلة، اهتم بعلم الفلك منذ
صباه، ذهب إلى ألمانيا للتراسة
الكيمياء والصيدلة، ومن أشهر كتبه
Deuouvastella وفي عام
١٥٧٦م كان أميراً على جزيرة
«هوفنسيست» في زيلاند وكان ذلك في
عهد الملك فريدريك الثاني بنى قصوراً
ومنشآت كثيرة، كما أنشأ مرصداً

وتلسكوباً كبيراً لمعرفة الكواكب والنجوم.

٢- نيكولس إينشتين Nicholaesa Sten
(١٦٦٨ - ١٦٨٥م) ولد هذا العالم في مدينة
كوينهاجن ويعتبر من علماء الجولوجيا وأحد روادها
في العالم وواحد من مؤسسيها وفي أواخر أيامه
اهتم بالدراسات الدينية.

٣- أولي رومر Ole Romer (١٦٤٤ -
١٧١٠م) ولد في مدينة اورهوس، تعلم في كوينهاجن
وتخصص في علم الفلك وكانت له محاولات لمعرفة
موقع الأرض من كوكب جوبيتر Jvpiter شغل



طبيعة الدنمارك في فصل الصيف

والدنمارك لغة خاصة بهم هي الدنماركية وهي
محلية، وتنتمي إلى المجموعة الجرمانية وهي من
مجموعة اللغات التي تنتشر في الأقطار المطلة على
بحر البلطيق واللغة الجرمانية مشتقة من اللغات
التيوتونية القديمة التي غزت أوروبا خلال القرون الأولى
للعصر المسيحي وانتقلت جنوباً إلى وسط أوروبا على
أيدى الغزاة الألمان وإلى إيطاليا بواسطة الانجلو
ساكسون ومنها شمالاً إلى السويد والنرويج وعبر
المحيط إلى أيسلندا، فاللغة الدنماركية تشبه تماماً
اللغة السويدية مع الاختلاف في النطق، ومن

Erikson وله تمثال شهير في الدنمارك من الخشب لفتاة تجلس على شاطئ البليط كاتها تنتظر القادمين إلى الدنمارك.

ومن الأبناء والعلماء الذين فازوا بجوائز نوبل:

- في الفيزياء: نيكولس بور عام ١٩٢٢م.

- في الطب والفسيولوجيا: فيسبين ١٩٠٣م.

كروجا Krogh, S.A.S. ١٩٢٠م.

فيبر Fieber, J.A.G. ١٩٢٦م.

دام DAM, H.C.p ١٩٤٣م.

في الأدب: جيلروب Gjellerup, K.A ١٩١٧م. بالاشتراك مع بونتوبيد Pontoppid-ian وهو دنماركي أيضا.

في السلام: باجر Bajer, F بالاشتراك مع السويدي اورنولسون Arnoldson ١٩٠٨م.

وقبل أن نتجول معاً في بقى المدن الدنماركية وخاصة مدينة كوبنهاجن العاصمة علينا أن نتعرف معاً على معنى كلمة دنمارك التي تطلق الآن على تلك المملكة الصغيرة والكبيرة في نفس الوقت، فالكلمة مشتقة في الأصل من كلمة «دانس» Dans وهو اسم لأكبر قبيلة كانت تعيش على أرض جزيرة جتلند أكبر الجزر هناك، وكانت هذه القبيلة من القبائل الهمجية وتكرت هذه القبيلة لأول مرة في وصف الرحالة الاسكندنافي أولف ستين، وكذلك الرحالة أوثر، كما دوت الكلمة في أحد المحاكم الانجليزية في منتصف القرن التاسع الميلادي وكانت هذه القبيلة تعيش في الجنوب من بحر البلطيق وبعد أن تعرفنا على القليل من الكثير عن دولة الدنمارك سوف نتعرف معاً على أهم معالم هذه الدولة وأهم المدن فيها.

• الحديث بقية •

منصب أستاذ بالجامعة أمضى حياته في مراقبة تحرك الكواكب والنجوم.

٤- أورستد H.C Orsted (١٧٧٧-١٨٥١م) تخصص في الكهرباء المغناطيسية ويعتبر من مكتشفها عام ١٨٢٠م درس القانون والفلسفة وشغل منصب رئيس الجامعة العلمية والتكنيكية.

٥- نيكولس بور: ولد بمدينة كوبنهاجن عام ١٨٨٥م حصل على الدرجة العلمية العليا في الكيمياء من جامعة كوبنهاجن، تركزت أبحاثه في الطاقة الذرية والنظريات القائمة عليها، حصل على جائزة نوبل عام ١٩٢٢م وله معهد باسمه أنشئ عام ١٩٢١م.

ومن الشعراء والأبناء المعروفين في الدنمارك:

١- هانز كريستيان اندرسون (Hans Chric-tian Andrsen)، ولد عام ١٨٠٥م وهو شاعر وممثل مسرحي معروف.

٢- ثورن لويندباي Thorn Landbye (١٨١٨-١٨٤٨م).

٣- سكو فيجورد P.C Skovgaard (١٨١٧-١٨٧٥م).

٤- جورن سون Joren Sonne (١٨٠١-١٨٩٠م).

٥- هولجر بورتشمان Holger Droch-mann توفي عام ١٩٠٨م ويعرف باسم شاعر البحر والصيدان.

ومن كتاب المسرح وأشهرهم في الدنمارك والعالم لويدفينج هولبيرري وبعد واحد من كتاب الكوميديا، عاصر هذا الكاتب فترة الحروب الدينية في أوربيا.

وفن النحاتين اينورد إيركسون Eduard

ولاية البلد الأمين

المهاجر من أشراف قريش من بني تيم بن مرة . وقد اختلف في اسمه وكنيته والأرجح المعروف بما ذكره العلامة ابن حجر العسقلاني في الإصابة ثم عزله الفاروق رضي الله عنه وولي عليها من بعده:

- الأمير نافع بن عبد الحارث بن جبالة الخزاعي رضي الله عنه . فلم يزل عليها حتى استشهد أمير المؤمنين الفاروق ، في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة وهو على البلد الأمين فاقره أمير المؤمنين ذو النورين سيدنا عثمان رضي الله عنه على ولايته في صدر خلافته ثم عزله عنها وولاهما:

- الأمير خالد بن العاص بن هشام المخزومي القرشي رضي الله عنه . ولم يزل عليها حتى عزله أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه في صدر خلافته وذكر الإمام تقي الدين الفاسي في شفاء الغرام أنه تولى مكة شرفها الله للمرة الثالثة في خلافة أمير المؤمنين سيدنا معاوية بن أبي سفيان ، ويعد أن عزله الامام علي في صدر خلافته ولأما من بعده:

- الأمير طارق بن المرتفع الكناني رضي الله عنه . وذكر ولايته الإمام الفاسي في شفاء الغرام

هذه الحلقة الرابعة ضمن حلقات أمراء الحرمين الشريفين . . . وقد سبق في الحلقة الماضية أن مكة شرفها الله كانت في أواخر عهدها في الجاهلية في حكم بني أمية فلما فتح الله عز وجل على رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) هذه البلدة المحرمة والبقعة المكرمة ودخلت في دائرة الحكم النبوي المبارك وعادت الامور الى نصابها والمياه الى مجاريها وانتهى (صلى الله عليه وسلم) من ترتيب أمورهما أسند ولايتها الى سيدنا الأمير عتاب بن أسيد الأموي رضي الله عنه فلم يزل عليها حتى توفي في السنة الثالثة عشرة من الهجرة فوليها من بعده:

- الأمير المحرز بن حارثة القرشي رضي الله عنه بتولية من أمير المؤمنين الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب وذلك في شهر رجب الحرام سنة ثلاث عشرة من الهجرة فلم يزل عليها حتى عزله الفاروق رضي الله عنه وولاهما:

- أبا المهاجر قنفذ بن عمير بن جندعان القرشي رضي الله عنه ، أميراً على البلد الحرام كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام وكان الأمير أبو



بقلم : السيد ضياء محمد عطار - المدينة المنورة

وممن تولى مكة شرفها الله في هذه الفترة وفي خلافة ذي النورين .

- الأمير علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى القرشي رضي الله عنه .

في أوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة على خلاف فيمن سبقه ولم يزل عليها نحو سنة واحدة حتى تولاها الأمير :

- عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي رضي الله عنه .

وقد تولاها مرتين . مرة في عهد ذي النورين ، ومرة في خلافة أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنهما وذكر العلامة المعز بن فهد الهاشمي في غاية المرام أنه ممن تولى بمكة شرفها الله من ولاتها ، وممن تولى مكة شرفها الله في زمن أمير المؤمنين ذي النورين سيدنا عثمان بن عفان .

- الأمير عبد الله بن عامر الحضرمي رضي الله عنه .

وكان عليها في سنة خمس وثلاثين من الهجرة المباركة وقد تولى مكة شرفها الله في صدر خلافة أمير المؤمنين الإمام علي كرم الله وجهه (الأمير :

ونذكر الإمام ابن حجر العسقلاني في الإصابة أنه كان عاملاً لأمير المؤمنين الفاروق سيدنا عمر أيضاً واستشهد على صحبته بتأميره له رضي الله عنه وتوليته إياه على البلد الصرام . وممن تولى مكة شرفها الله في خلافة أمير المؤمنين ذي النورين عثمان :

- الأمير الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم المطلب الهاشمي القرشي رضي الله عنه .

علي خلاف فيمن سبقه وفيمن خلفه عليها حيث ذكر الإمام الفاسي في شفاء الغرام ولايته في خلافة أمير المؤمنين الفاروق ، وذكر العلامة ابن قدامة المقدسي في أنساب القرشيين ولايته في خلافة الصديق . وهذا فيه نظر . وقال غيرهما بولايته في زمن الفاروق ثم ذي النورين رضي الله عنهما . وقطع الإشكال الإمام ابن حجر العسقلاني في الإصابة فنذكر أنه تولى بعض أعمال النبي (صلى الله عليه وسلم) بمكة شرفها الله فأقره عليها الصديق ثم الفاروق ثم ذي النورين رضي الله عنهم وهذا يعني أنه لم يكن والياً في كل هذه العهود .

المشهور فيما أعتقد وكان الأمير القثم بن العباس يشبه بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وكان صلى الله عليه وسلم يرفقه أحيانا على راحلته ، وكان والده العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم يضمه إلى صدره ويقول:

حيي قثم شبيه ذي الألف الأشم

نبي ذي النعم برغم من رغم

وقد تولى إمارة المدينة الشريفة أيضا قبل توليه البلد الحرام مكة شرفها الله ، ولم يزل رضي الله عنه على ولاية البلد الأمين حتى استشهد الإمام علي كرم الله وجهه في سنة ٤٠ من الهجرة ، واستمرت ولايته بعد ذلك في خلافة أمير المؤمنين الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما التي استمرت نحوًا من سبعة أشهر علي ما ذكره العلامة أبو عمرو خليفة بن خياط في تاريخه وذكر الإمام الفاسي في شفاء الغرام أن من تولى مكة شرفها الله الأمير:

- معبد بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه -

وذلك في خلافة أمير المؤمنين الإمام علي كرم الله وجهه وكذا قال العلامة أبو محمد ابن حزم في كتابه جمهرة أنساب العرب - ولا أدري متى كانت ولايته على البلد الأمين في خلافة الإمام علي كرم الله

- سيدينا أبي قتادة الحارث بن ربعي الانصاري الخزرجي البدرى رضي الله عنه صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وكان رضي الله عنه من أجلة الانصار وعظماء الصحابة شهد المشاهد كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واختلف في اسمه ، فمن قائل إنه النعمان بن ربعي ومن قائل إنه عمرو بن ربعي والحارث هو المشهور وقد توفي في سنة أربع وخمسين من الهجرة عن سبعين سنة على ما ذكره العلامة ابن كثير القرشي في البداية والنهاية ، وذكر العلامة ابن سعد في طبقاته الكبرى أنه توفي بالكوفة وصلى عليه الإمام علي كرم الله وجهه وعلى هذا وفاته كانت قبل سنة ٤١ من الهجرة وهذا يخالف ما ذكره العلامة ابن كثير القرشي كما سلف .

ومن تولى مكة شرفها الله في خلافة أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب -

- الأمير القثم بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي رضي الله عنه -

في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة الشريفة خلفا للأمير أبي قتادة الانصاري رضي الله عنه علي ما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام - وذكر الإمام ابن حجر العسقلاني في الإصابة بأنه تولاه خلفا للأمير خالد بن العاص المخزومي وهذا خلاف

في أولاد خالد بن العاص بن هشام المخزومي أحمد بن خالد هذا ولكتهما ذكرنا الجارث والله تعالى أعلم بالحقيقة، وممن تولى مكة شرفها الله في خلافة أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه:

- الأمير مروان بن الحكم الأموي جد خلفاء بن

أمية.

وله ولاية أيضا على المدينة الشريفة وقد ضمت له مكة شرفها الله فيما اعتقد، وبعد عزله تولى إمارة البلد الحرام الأمير:

- أبو عثمان سعيد بن العاص الأموي رضي الله عنه بتوليته من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان في سنة ٤٩ من الهجرة وحج بالناس من سنته وذكر الامام أبو جعفر بن جرير الطبري في تاريخه أنه منع توجيه اللعنة الى الامام علي كرم الله وجهه في الخطب. وكان حسن السيرة وظل عليها حتى عزل عنها في سنة ٥٤ من الهجرة لأسباب عديدة:

وكان رضي الله عنه عالما فقيها عاقلا سهلا وودوداً، وكان أشبه الناس لهجة برسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما ترجم له (الامام السخاوي في تحفته اللطيفة، وكانت مدة ولايته للحرمين الشريفين نحواً من خمس سنوات. والله تعالى أعلم.

- الحديث بقية -

وجهه ومن المعلوم أنه توفي بل قتل شهيداً بأقريقية مع جيش عبد الله بن أبي سرح في سنة ٣٥ من الهجرة المباركة. كما ذكره غير واحد من المؤرخين.

وممن تولى مكة شرفها الله في بدايات سنة

٤١هـ.

- الأمير أبو الوليد عتبة بن أبي سفيان الأموي

رضي الله عنه.

ولاه إياها أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، وكان الأمير أبو الوليد خطيباً مفوهاً فصيحاً جازماً وقد اعترض له أعرابي فقال له: أيها الخليفة فقال لست به قال يا أخاه فقال: قل فقد أسمعت فشكى البدوي حاله وفقره فأمر له بالمطاء.

وفي سنة ٤٢ من الهجرة تولى مكة شرفها الله

الأمير.

- أحمد بن خالد بن العاص المخزومي كما ذكر ولايته الامام الفاسي في شفاء الغرام وذكر هذه الولاية لأبيه الامام أبو جعفر بن جرير الطبري في تاريخه وأفاد أنه استمر حتى سنة ٤٦ من الهجرة المباركة. وذكر العلامة خليفة ابن خياط في تاريخه أن الذي تولاه أخوه عبد الرحمن بن خالد بن العاص ثم أردف قائلاً: وقيل أن الذي تولاه الجارث بن خالد بن العاص بينما لم يذكر العلامة أبو المنذر الكلبي ولا العلامة أبو محمد بن حزم في جمهورتهما

سليم عبد الرؤوف

ولا يستطيع الفكاهة منها .

لقد بدأت مسألة إبليس عندما
أتينا بسمر بعض أسماكه الشعر
فتأهت بوليان الضيال جنوده
ولم يلتفت يوما لمسكره النصر
وأصبح يفرونا فتلخنا الفلبي
إلى كهف ليلا وفي صدونا فجر

إن إبليس برغم هذا الوضع المزري الذي هو فيه
كما هووره الشاعر لا يزال يركض علينا بخيله ورجله
ويسلط علينا شياطين الإنس والجن ليلوي أعناقنا
ويصدنا عن مسيرة الخير التي فطرن الله عليها إلى
أغراض دنيوية لا تتحقق إلا عن طريق القوابة
والمعصية والوقوع ضحية سهم من سهام كيوييد:

جنود إبليس لولا أنت ما انتصرت
علي يومها ولا كان الذي كانا
لكنه لعب سهمها قد توارثه
أبناء إبليس شيطاننا فشيطانا
حتى أتاك زعيم الجن يحملة
في ليلة سكرت إثمنا ومولونا
فقال: يروي لنا الآباء من قسم
عن أخبث الخلق إسرازا وإعلازا
بقه قال عن عينيك: أنهما
سيبلفان بنا أقصى خطايانا
فاصدع بما أمر الشيطان عصيته
وهذب الناس إنسانا فيإنسانا
منزلك الحب تمويه وشموذه
تبدي الإمامة للعشاق إحسانا

وإبليس لا يحصر مكانه في العلاقات الإنسانية
في الحب والكره والغش والجبن... بل يتدخل في
السياسة حتى يرى الناس الحق باطلا والباطل حقا،
ويذهل الشجاع عن شجاعته وينسي الرجل مواقف

ولد سليم عبد الرؤوف محمد بدولة البحرين عام
١٩٥٨م وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي حيث
حصل على شهادة الدراسة الثانوية من مدرسة الهداية
الخليفة بالبحرق عام ١٩٧٨م. وظروف خاصة لم
يتابع دراسته الجامعية. إلا أنه عكف على القراءة
والتثقيف الذاتي من خلال المتابعة والقراءة ويعمل الآن
موظفا بوزارة الإعلام بدولة البحرين. وقد صدرت له
مجموعة شعرية بعنوان (مرثية إبليس) عام
١٩٩٢م [١].. قد يستغرب الكثيرون هذا العنوان
فكيف يرثي إبليس الذي كتب له الخلود إلى يوم
القيامة. فيجيب الشاعر:

مات إبليس بقلبي عندما
أشترق الحب به عطرا ونورا
فكأن الشر خيرا عامرا
وثأب الكفر إحسانا غزيرا
وأعاد الفسار للجاني وفا
وأعاد الشوق للمهدي زهورا
إنما محببوه لا يرتجي
كيد شيطان إذا شاء كفورا
قلبه للحن سجن مفزع
وهواه كان للناس سعييرا
ليس مثلي مستعميرا للأي
من سواه والشيطان فقيرا
مات إبليس فطالت حسرتي
يفغر الله لي الذنب الكبير

ولعل القارئ يتساءل ما سر هذا التعاطف الذي
يبديه الشاعر نحو إبليس رغم معرفة البشر لعداوته لهم
وكيده المستمر لإيقاعهم في المعاصي وتحديه لكل يرى
الخير التي أودعها الله في نفوسهم. إن الشاعر يرى
أن كل ذلك التحدي والمكايبة التي أبدأها إبليس ولا
يزال وامتلاكه لناصية الكون يسبح فيه على هواه، إن
كل ذلك هو المسألة الشيطانية التي تورط فيها إبليس



بقلم: عبدالله بن أحمد الشباط - الخبر

ولرب جدة إن جد الفرام بنا
ما حال دونكم يوماً ولا نوني
كانت لك عصا موسى التي ضربت
فانشق في البحر ركب جد مأمون

وأحياناً يكون التعبير عن المشق للوطن... فعثلاً
في مناسبة تستثير كوامن العاطفة بمناسبة تكريم
الشاعر إبراهيم العريض حيث ينطلق لسان سليم عبد
الرؤوف الشاعر:

الحسن يلهمني فنا أغلده
به فاجهل من ذو الفضل بينهما
أنا ورثنا الهوى العزى أجمعه
وثورة المتنبي حينما نقما
للبحر تروى ماضى مازال يطربنا
ولابن زيدون جرح بعد ما التئما

إلى أن يقول:

أنا راح لبنان مزموا بلطفه
وحصد النيل من شوقيه الأما
تاهت أوال بن باري (عريضها)
أهل البيان فكان المفرد العلى
سليمة الغد... لم تتجب حضارتها
إلا النباهة والإلهام والشيعا
تطم النجم شيعنا من تألقها
فصار يزحم في عليائه القمصا

إن سليم عبد الرؤوف محمّد... شاعر مجيد إلا
أنه قليل النشر في وسائل الإعلام رغم كونه ملتصق
بها بحكم وظيفته.

وما يدريك... لعل الأيام القادمة تتحفنا
بمجموعات شعرية أخرى لهذا الشاعر الذي يتربع على
متن الشعر فنام عليه.

(٥) معجم البابطين للشعراء العرب من ١٩٥٨/٥٠٠

رجولته وبدلاً من النجدة يخذل إلى الخنوع والاستسلام
كما صور ذلك الشاعر في قصيدة عن آخر الأنبياء:
خبر الأنبياء التي نقلوها
عن بلادي تقوله: مات أبوها
ولقد آل أمرها لولي
أجنبي ونام عنها بنوها
وقد فر زوجها فاستغاثت
عاشقها فلم يفر عاشقها
ولقد جاء بعضهم يسأل
بسموع الأسي فلم ينفسموها
وإلى الآن حولها كل نذب
من عداها يمينهم حارسوها

وأحب أن ألفتين الشاعر أن الذئاب تمكنت من
قليها واستوطنت في جوفها وبعثت أشلاها وطربت
أبنائها... وفي منحنى آخر يرى الشاعر أن جسر الملك
فهد بين المملكة ونولة البحرين وشيعة عظمى من
وشائج القرى والتواصل المبني على المحبة والتلاحم:
لم يبق للبحر هول هناك يثني
يا ناعس الطرف يا أحلى الرياضين
لنا مزارك يا غصن الرياض فلا
تلك الزمان الذي قد كان يشكيني
قد صبرنا على حكم الهوى زما
فأصبح العمر وملا غير ممنون
كم جاضي البحر في أثواب ذي عذل
يلوم فيك وواش عنك يقصيني
حتى بنى المجد ما بيني وبينكم
جسراً من الحب يديكم وينيني
الجسر أنجدي لما صبوت إلى
نجد وهب صباها العذب يدعوني
والجسر قد روض الأمواج فاحتملت
إلى رياض الأمانتي كل مفتون
فلا المجاز حدود البحر تحجزه
ولا عسير عسير حين يصبيني

تقنية إثارة الابتكار في القراءة

يحب ما يهواه من عادة يكتسبها الإنسان بمرور الأيام تلعب دوراً مهماً في تشكيل ميلوه واتجاهاته ومن ثم قيمه، حتى إذا ما تم تشكيل هذه الميل والاتجاهات والقيم فإن الساعات التي يقضيها الإنسان في القراءة تتحول إلى ساعات من الراحة والمتعة والسعادة والشعور بالرضا والتلذذ وانشراح الأسارير وبشيء من الأطمئنان النفسي. وهكذا يكون الإنسان مرافقاً ومصحباً خير صديق يتسامر معه، ويقضي من عمره ساعات من الهناء وإرضاء النفس بون الشعور بالوحدة والانفراد والعزلة، قراءة ما لا يحبه المرء وما لا يهواه قراءة مفروضة عليه من قبل الغير أو حتى من قبل النفس بون الشعور بالرضا أو بون أن يكون هناك ميل صادر من هوى النفس.

قد يفرض هذا النوع من القراءة على الفرد من قبل الوالدين أو القائمين بالتعليم أو حتى السلطات القائمة، قد يبدو للفرد من أول وهلة أن مثل هذه القراءة غير ناعمة، طالما أنها مفروضة عليه من قبل الغير، على أن الحقيقة ليست بمثل هذه البساطة، ذلك لأن هذه القراءة قد تكون مسبقة للقراءة الأولى قبل أن يشعر الإنسان بمتعة القراءة، وقد تكون هذه القراءة بهدف تزويد الفرد بالضروريات المشتركة من الثقافة العامة، على أن الإنسان يستطيع أن يفرض على نفسه قراءة شيء لا يحبه ولا يهواه، بهدف البحث عن علاقات يمكن أن تقام بين اختصاصه من ناحية وبين ما يقرأه بدون رغبة من ناحية أخرى. وفي هذا الصدد يقترح أبنستين

في الحلقة السابقة من موهج (تقنية إثارة الابتكار في القراءة) والمنشورة في العدد السابق تناول فيها الدكتور/ أنور طاهر بعضاً الإجابة عن عدة تساؤلات منها: لماذا نتعلم القراءة؟ وما هو الابتكار؟ وماذا نقرأ؟ والفائدة من قراءة القصص، ثم تعرض إلى أنواع القراءة وأوضح أن منها القراءة الاحتياضية والصامتة والقراءة العارضة والقراءة الاجتماعية وقراءة المرء الواحدة والقراءة للحفظ.. وفي هذه الحلقة يستكمل الدكتور/ طاهر بعضاً ما ابتدأه سابقاً..

- المنهل -

قراءة ما يحبه الإنسان ويهواه وقراءة ما لا يحبه ويهواه: تتبع قراءة ما يحبه المرء من اختيار مواد القراءة بمحض من إرادته وطلب في نفسه، ويتم اختيار ما



** الكتاب

المدرسي تفكير في اتجاه واحد، وينبغي إعادة النظر فيه .

ما هو فيه من استمرارية في التركيز حيث يدأب العلماء على القراءة الفيزيرة المستمرة، وكثيرا ما ينسون أنفسهم وهم يمحثون وقرؤون في جو خاص قد وفروه

لأنفسهم .

وإذا ما استهدف التعمق في مجال من المجالات العلمية فلا بد من قراءة ما كتب في هذا المجال، تضمن القراءة المستمرة البقارة في تراكم المعلومات في ميدان من ميادين العلم، وما لم يتم ذلك فإنه لا محال من تكرار أشياء كثيرة كان قد سبق إليها الغير، وهذا مما يفقدها أهميتها، ويعني إسرافا في الوقت والجهد والمال .

تضمن لنا القراءة الفنية إضافة إلى تراكم المعلومات خلق فرصة تطوير المواد المقروءة، توفر

(Epstien: 1996:78)

على كل فرد أن يشترك مرة واحدة كل سنة على الأقل في دورة لتعلم موضوع يكرهه من أجل تطوير الابتكار لديه .

القراءة المستمرة والقراءة المتقطعة :

القراءة المستمرة هي تلك القراءة التي يتم فيها العمل لساعات طوال بدون توقف، أما القراءة المتقطعة فهي تلك القراءة التي يتم فيها إعطاء فترات من الراحة التي تختلف من شخص إلى آخر، يبدو أن ربع ساعة من الوقت في كل ساعة من الزمن هو المعيار الأمثل للراحة، تساعد هذه الطريقة الذهن على الراحة والتركيز وجمع شتاتة مرة أخرى، تتضمن القراءة المتقطعة أيضا دراسة مواد مختلفة بالتناوب، وفي كلتا الحالتين ترجح القراءة المتقطعة على القراءة المستمرة، إلا إذا كان الأمر عفويا تلقائيا، لا يروم الإنسان قطع

من ناحية، وتعيقه من
ناحية أخرى.

تعكس طريقة

البصيرة (in-

nocence) الشيء

الكثير من الابتكار، تقع

هذه الطريقة في الجهة

المعاكسة لطريقة

خبرات الآخرين، تعتمد

طريقة البصيرة على ما

لدى الأطفال من قابلية

للإبتكار الذي ينبع من

براعتهم بسبب من

النقص في غزارة المعلومات، ذلك لأن غزارة المعلومات

قد ترسم حدودا يصعب اختراقها من قبل البعض.

ومن أجل حل هذا التناقض الموجود بين

الطريقتين، والاستفادة الكاملة من امتيازاتهما معا،

يلجأ إلى طريقة القراءة المنقطعة بدلا من القراءة لأيام

أو حتى لساعات طويلة، وهذا يعني يوقف الفرد

القراءة، ويبدأ بالتفكير فيما قرأه، ثم يقرأ من جديد،

ويفكر مرة أخرى، وهكذا يستمر على هذا المنوال،

ساعة من القراءة تليها ساعة من التفكير فيما قرأ خير

من القراءة لساعتين متتاليتين، ويكون الفرد بذلك قد

طبق بالقراءة طريقة خبرات الآخرين، وطبق بالتفكير

طريقة براءة الأطفال، وتضاف بذلك أفكار جديدة

للمواد المقررة بتطبيق هاتين الطريقتين بالتناوب.

يؤكد دي بونو (De Bono, 1993; 44) أنه

ينبغي استخدام طريقتي براءة الأطفال الكلاسيكية

وخبرات الآخرين معا من أجل الحصول على التراكم

في المعلومات والإتيان بأشياء جديدة تستخدم طريقة

خبرات الآخرين. عندما يراد البحول إلى مجال علمي

جديد لتعلم ما هو موجود في ذلك العلم، على أن طريقة

براءة الأطفال لا تحتاج إلى مثل هذا الإجراء. يبقى



القراءة للشخص من ناحية أخرى فوائد الإطلاع على

الموجود الذي يساعده في النظر إلى الأمور من زوايا

مختلفة، وقد يخطر المرء خطوة أخرى إلى ما بعدها،

قد يفتح الطريق لأفكار جديدة.

على أن القراءة الغزيرة قد تعيق اكتشاف ما هو

جديد إذا ما تمت بطريقة غير صحيحة، ذلك لأن

القارئ قد يبقى تحت تأثير المواد المقررة، فلا

يستطيع أن يتجاوزها، ويصاب بشيء من القنوط

والياس، وقد يفكر بأن كل شيء قد اكتشف في هذا

المجال، وليس هناك من شيء جديد يمكن أن يضاف

إلى ما هو موجود، على أن الأمر معكوس تماما، ذلك

لأن المعرفة إنما تتضاعف بطريقة تشبه الانفجار

تماما، وهذا يعني أنه كلما تضاعفت المعرفة كلما كانت

هناك مجالات اكبر واحتمالات أكثر للتطوير والتوسيع.

يرى دي بونو (De Bono: 1993: 43-45)

أن هناك مصدرين للإبتكار، هما: خبرات الآخرين

وبراءة الأطفال، يطلق على خبرات الآخرين بطريقة

الإبتكار الكلاسيكية، يحاول الفرد بهذه الطريقة امتلاك

شيء كان قد امتلكه أفراد آخرون، على أن هذا

الإمتلاك يطفى عليه التقليد، ويضمن التقليد الشيء

القليل من الإبتكار، تفيد القراءة الغزيرة إذن الإبتكار

** الدراسة

بأسلوب التلق

والتلقيد خطأ

كبير في حق

الاجيال

** تنمية

قدرات الطلاب

تقوم على

حرية التفكير

وسماء

آرائهم

ومناقشتها

بعقلانية حرة

** الابتكار

انطلاقاً على

خبرات

الأخيرة

والافادة منها

في الجديد

المبتكر

يتمخض التركيب والتقييم
الاذان يقامان على المستويات
السابقة عن الكثير من
الابتكار.

القراءة والمعرفة:

يقصد بالمعرفة تذكر
مواد تعلمها المرء في فترة
سابقة، والمعرفة هذه واسعة
المدى تبدأ في أبسط
مستواها بالتعرف على
الحقائق الخاصة بالرموز
اللفظية وغير اللفظية من
تواريخ وحوادث وأشخاص
وأماكن - يعتبر التعرف على
الطرائق والوسائل التي
تتعامل مع الحقائق الخاصة
مستوى متوسطاً من هذا
الصف، تتضمن المعرفة
أيضاً الوسائل التي تعالج
عرض الأفكار والظواهر،
ومعرفة العمليات والاتجاهات
والتغيرات في الظواهر التي
تتعامل مع الزمن، ومعرفة
التصنيفات والتقسيمات
والترتيب في أي علم من
العلوم، ومعرفة المعايير التي
يتم بواسطتها الحكم على
الحقائق والمبادئ، والآراء،
ومعرفة الطرائق التي تتم
فيها الدراسة في حقل معين،
تعتبر معرفة العموميات
والمجردات أعلى مستوى من

المرء بخبرات الآخرين تحت تأثير ما هو موجود في علم
معين إذا ما اكتفى بالقراءة، ولم يستخدم طريقة براءة
الأطفال، أما إذا ما استخدم طريقة خبرات الآخرين
فقط فإن أفكاره إنما تنفق إلى الأصالة، وإذا لم تطبق
هذه الطريقة بالمرء فيكون هناك إسراف في الوقت
والجهد، تكون فرصة الفرد الوحيدة هي التحدي
والتوجه نحو الاتجاه المعاكس لا غير، وهكذا يقرأ كل
شيء من أجل كسب المهارات، أما إذا أريد الابتكار
والأصالة فلا حاجة إلى قراءة كل شيء، ومن أجل حل
هذا الإشكال فإنه ينبغي على المرء أن يقرأ أولاً ما فيه
الكفاية من أجل فهم كنه الميدان الجديد، يتوقف المرء
بعد ذلك عن القراءة ويفكر تفكيراً عميقاً فيما قرأه،
وعندما يصل الأمر بالفرد إلى تطوير بعض الأفكار
التي سبق وأن قرأها يعيد القراءة من جديد، وهكذا
تتناوب عمليات القراءة والتفكير واحدة تلو الأخرى.

القراءة وتصنيف بلوم والابتكار:

لقد كانت المحاولات التي بذلها بلوم لتصنيف
الأهداف التربوية حركة مهمة بدأت في الخمسينيات
من هذا القرن، وتركت أثراً مهماً لازالت تحافظ على
أهميتها - صنف بلوم الأهداف التربوية إلى ذهنية
وعاطفية - قسم الأهداف الذهنية إلى ستة مستويات،
تضمنت المعرفة والاستيعاب والتطبيق والتحليل
والتركيب والتقييم، رتب بلوم الأهداف التربوية ترتيباً
تصاعدياً من السهل إلى الصعب بين المستويات من
ناحية وفي داخل المستوى الواحد من ناحية أخرى،
تتضمن جميع المستويات من التصنيف والابتكار، على
أن المستويات الأدنى منه تتضمن القليل من الابتكار،
ويزداد هذا الابتكار كلما صعدنا نحو المستويات
العليا، يوجد أقل مستوى من الابتكار في التقليد الذي
ينبني على أخذ المعرفة من الآخرين، يزداد الابتكار
بتطوير المعرفة التي جاء بها الآخرون، يتمثل هذا
التطوير في الاستيعاب، ويزداد في التطبيق والتحليل،

**** منهاه**

الدرس عندنا

لم تعد قادرة

على مسايرة

العصر

التعقيد في هذا الصنف، يتضمن هذا الصنف معرفة المبادئ والتعميمات التي تقيد في التفسير والوصف والتنبؤ وتحديد أنسب النشاطات الملائمة التي يجب تبنيها، تتضمن أيضا معرفة النظريات والبنىات التي تشمل هيكل المبادئ والتعميمات مع علاقاتها

المتراصة، التي تعرض وجهة نظر منظمة في ظاهرة أو مشكلة أو حقل معقد.

ومن أجل التوصل إلى اكتشاف جديد في ميدان معين فلا بد من تملك ثروة علمية كافية في هذا الميدان، لا يتوقع من جاهل أن يكتشف شيئا جديدا مهما في يوم من الأيام، ذلك لأنه لا يملك التراكم العلمي الكافي الذي يؤهله لمثل هذا الكشف، ومن دون تملك تراكم علمي كاف يكاد يكون من المستحيل ابتكار شيء جديد، ولهذا السبب لم ت اخترع الطائرة قبل خمسمائة سنة، ذلك لأن التراكمات العلمية إلى حد ذلك اليوم لم تكن كافية بالمرّة، على أن بعض المفكرين والعلماء المبتكرين جدا قد يأتون بأفكار سابقة لأوانها، وقد تكون هذه الأفكار نتيجة ذلك سببا في خلق مشاكل كثيرة لهم، والتأريخ مليء بأمثلة كثيرة من هذا النوع، على أن ديمقراطية هذا العصر وانتشار التكنولوجيا قد قلل من مثل هذه الأزمات، هذا ومن ناحية أخرى فإن هناك نوعا من التطور الذي يحصل في ميدان الاكتشافات.

إن إيجاد المكنة التي تسيّر الجهاز على الأرض على سبيل المثال خطوة مهددة لطيرانه في السماء، يسجل تأريخ المدينة الحديثة اكتشاف العجلة بأنه أهم اكتشاف في التأريخ، ذلك لأن هذا الاكتشاف إنما فتح الطريق لمكتشفات كثيرة بحيث لا يمكن عدّها أو حصرها تماما.

المنتهل

١١٠

الربيعان ١٤٢٢ هـ - مايو / يونيو ٢٠٠١ م

لا تؤدي قراءة المعرفة الإنسانية وحدها إلى الابتكار، على أنها تشكل القاعدة الأساسية التي يبنى عليها الابتكار، فلا يمكن إقامة البناء ولا يمكن أن يتوقع الابتكار بدون وضع هذه القاعدة، فاهمية القراءة للابتكار هنا كاهمية تحضير التربة للنبات الجديدة، تشكل المواد المقروءة من ناحية أخرى مثيرات لأفكار جديدة، ولولاها لما ولدت هذه الأفكار الجديدة، وما كانت في حيز الوجود.

تسجل الملاحظات التي تؤخذ نتيجة القراءة في أوقات متباعدة بشكل منتظم في سجل أو بآلة الأقوال تزول وتلاشي وتذهب هباء إذا لم يتم تسجيلها بطريقة ما، والذين يعتمدون على ذاكرتهم يصابون بخيبة أمل في كثير من الأحيان، والأفكار تنير الذهن بسرعة البرق ثم تزول وتلاشي وتدخل في تعداد النسيان، وقد لا تخطر بالبال مرة أخرى، لا يمكن الاعتماد على الذاكرة في هذه المجالات، ذلك لأنها لا تسعف الإنسان بالمطلوب في حينه أو حتى بعده، وقد قيل إن الذاكرة خيانة، وهذا الأمر صحيح حتى بالنسبة لكبار العلماء منهم، فتسبب عند ذاك في إصابة صاحبها بخيبة أمل كبيرة، ويندم حيث لا ينفع الندم شيئا، أما الباقي فهو المدون على شيء والسجل بطريقة أو بأخرى، كما أنه يمكن تسجيل الأفكار والأقوال على الورق يمكن تسجيلها أيضا على آلة التسجيل الصوتي أو الكمبيوتر، وإذا ما احتفظ بكل هذه المواد فإنها تشكل بمرور الأيام المواد الخام للابتكار والإبداع والكشف والاختراع.

هذا ومن ناحية أخرى فإن الأفكار المتباعدة التي ترد في الخواطر أثناء القراءة ينبغي أن تسجل لكي لا يفقد عن البال غيابا تاما، يطلق أبستين (Epstien) (1993:75) على هذه الطريقة اسم القبط (cap-turing). تقفّر فكرة جديدة من اللاشعور إلى الشعور، كما تنير ومضة معينة الذهن بسرعة خاطفة كالبرق، إن الحركة السريعة لهذه الومضات إنما تولد

الطرائق التي تؤدي إلى الابتكار، تسجل معلومات كافية عن المصادر بتفاصيلها التي تغني من العودة إليها مرة أخرى، يتضمن تلخيص المواد المقروءة قبل اكبر من الابتكار الموجود في المعرفة، ويتضمن التلخيص تمييز الأفكار الأساسية وغير الأساسية من بعضها البعض، وتثبيت الأفكار الأساسية، وترك غير الأساسية منها، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل تصاغ المواد المقروءة بشكل يؤكد فيه على المعنى أكثر مما يؤكد فيه على الفاظ الكاتب، إلا إذا كانت مصطلحات خاصة، تكتب المواد المقروءة بتعبير القارئ الخاص مع الاحتفاظ بالمعنى الموجود في المضمون، تفسر أفكاراً معينة تتطلب التفسير أو توضح بناءً على خبرات القارئ الخاصة، تعاد صياغة المادة من جديد.

القراءة والتطبيق:

يتضمن التطبيق القدرة على استخدام المجلات التي تعلمها المرء سابقاً في مواقف جديدة مادية وخاصة، قد تتضمن المجلات أفكاراً عامة وتعليمات الطرائق أو طرائق معمة، وقد تكون مبادئ تقنية وأفكاراً ونظريات لابد من تذكرها وتطبيقها.

إن التطبيق العملي للقراءة هو تنظيم ملفات خاصة لما يقرأه الفرد، تحقق هذه الملفات فوائد كبيرة للشخص، ومع تقادم الزمن تتجمع خزانة معلومات كثيرة في هذا الملف، لها قيمة كبيرة لا تقاس بمال، يوضع في هذا الملف مما يقرأ من كل شيء تقريباً وعجيب مما يجب الانتباه، تتضمن محتويات هذه الملفات أيضاً آراء الشخص نفسه وآراء الآخرين، تُجمع أيضاً أفكار ومقالات ويحوت وصور ورسوم وإعلانات وصور هزلية (كاريكاتورات) وأشياء حقيقية، تكون هذه المعلومات مهمة في إثارة الابتكار لدى الفرد، يلقي الفرد بين فترة وأخرى النظر إلى محتويات هذه الملفات، ويحاول بذلك فيما بعد أن يوجد علاقة بين

صعوبة في الاحتفاظ بها وهذا السبب فإن الأفكار المبتكرة كهذه والتي لا تسجل إنما تفتقد عن البال سريعاً، ولا يمكن إنقاذها من طي النسيان مرة أخرى، ولكل شخص طريقة خاصة في أخذ الملاحظات، على أن هذه الطرائق يمكن أن تطور نحو الأحسن، ومهما تكن هذه الطرائق فإن المهم أنها تحافظ على الأفكار وتخلصها من النسيان، يذكر في تاريخ الاكتشافات أن أوتو لوي (Otto Loewi) العالم البيولوجي الذي كان يجري تجارب مضنية مستمرة على الخلية الحيوانية لسنوات طويلة لا يستطيع حل المشكلة التي كانت تشغل ذهنه منذ بضعة سنين، واستطاع أخيراً أن يحل هذه المشكلة في حلمه، فالتاق من نومه، وسجل ملاحظاته في الظلام ثم نام مرة أخرى، على أنه لم يستطيع أن يقرأ خط يده بعد أن نهض من نومه في الصباح، وهكذا فقد نسي الحل الذي انتظره بصبر لسنوات طويلة، على أن هذا العالم كان محظوظاً جداً، فقد رأى الحلم نفسه في الليلة التالية، وما أن أفاق من نومه في هذا المرة حتى أشعل المصابيح، وعجل بالذهاب إلى مختبره، وسجل حلمه كاملاً دون أن يدع أي مجال للنسيان، لقد حصل هذا العالم نتيجة أعماله هذه على جائزة نوبل العالمية الشهيرة.

القراءة والاستيعاب:

يعرف الاستيعاب بأنه القدرة على إدراك معنى المادة، يتضمن الاستيعاب ثلاثة مستويات، يحقق المستوى الأول تحويل مادة من شكل إلى آخر أو بترجمة مضمون من لغة إلى لغة أخرى، يتضمن المستوى الثاني التفسير والتلخيص اللذين يشملان نوعاً من إعادة التنظيم، يتضمن المستوى الأخير توسيع المواد بتحديد تطبيقاتها ونتائجها وملحقاتها وآثارها التي تتفق مع الشروط التي حددت في الأصل.

تلخيص المواد المقروءة وتسجيلها طريقة جيدة من

* مناهة

التعليم ينبغي

أن تقدم

عصرها

وزماتها.

هذه المواد من ناحية والقضايا التي تشغل فكره، وتتطلب حلا لها من ناحية أخرى، وهكذا تلعب محتويات هذه الملفات دورا كبيرا كمثيرات لأفكار جديدة.

القراءة والتحليل :

التحليل هو القدرة على تجزئة كل واحد مترابط إلى عناصره الأولية بهدف توضيح هذه العناصر وفهمها، يتضمن التحليل أيضا توضيح الترابط والتفاعل والعلاقة الموجودة بين هذه العناصر والبنية التنظيمية التي تكون الكل. فتحليل الكل إلى عناصره يمثل المستوى الأول، وتحليل العلاقات يمثل المستوى الثاني منه، بينما يمثل تحليل المبادئ التنظيمية المستوى الثالث منه.

يعتبر تحليل المواد المقروءة إلى عناصرها الأولية مهما جدا من زاوية الابتكار، تستخدم هنا طريقة الابتكار التي يطلق عليها بطريقة التعويض، يحاول الفرد حسب هذه الطريقة أن يغير بعض هذه العناصر ويعوضها بعناصر أخرى من صنع تفكيره وخياله، ويظل يفعل ذلك إلى أن ترجع كفة عناصره التي هي من صلب أفكاره على كفة الأفكار المتبقية في الكل الذي تتكون منه المادة المقروءة، وكلما زادت أعداد العناصر التي يغيرها في المواد المقروءة كلما أضحت المادة الجديدة شيئا خاصا به، لقد كانت الانطلاقة الأساسية من أفكار الآخرين، بينما أمست النهاية فكرة جديدة مبتكرة بالشخص.

القراءة والتكريب :

التكريب هو عكس التحليل، إلا أنه أصعب منه ويتضمن القدرة على وضع مجموعة من العناصر والأجزاء في كل جديد مترابط لم يكن موجودا سابقا، على أن الأمر ليس فقط جمعا بسيطا للعناصر، وإنما

هو عبارة عن تفاعل تام بين هذه العناصر لتكوين كل جديد، فالعلاقات موجودة في التحليل، أوجدها صاحب الفكرة، وما يطلب من القارئ تحديد العناصر والعلاقات، تتمخض صعوبة التركيب من حيث أن القارئ هو الذي يوجد هذه العلاقات، يتضمن التركيب في المستوى الواطي إنتاج علاقات فريدة من الأفكار والمشاعر والخبرات، يتضمن في المستوى المتوسط منه إنتاج خطة من مجموعة من العمليات المقترحة، يتضمن في المستوى العالي منه اشتقاق مجموعة من العلاقات المجردة، يتطلب التركيب تأكيداً على السلوك المبتكر الخلاق، وذلك بتكوين أنماط أو بنيات جديدة.

تتجمع لدى الفرد بمرور الأيام عناصر كثيرة من قراءاته المختلفة، سواء منها التي احتفظت في الذاكرة أو الملخصات التي كتبت أو تلك التي دونت على شكل ملاحظات مكتوبة حول المواد المقروءة أو الأفكار التي راودت الفرد خلال القراءة أو مواد أخرى جمعت من هنا وهناك، إلقاء النظرة على هذه المواد بين فترة وأخرى مهم جدا من حيث أنه يفيد في تبصر علاقات وروابط جديدة وتشكيل كل جديد لم يكن موجودا سابقا.

قد يكون الكل الجديد، الذي ابتكر نتيجة التركيب، قصة أو شعرا، رسما أو نحتا، قطعة موسيقية أو لحنا، مقالة أو بحثا، كتابا أو مخترعا جديدا، وأصالة الشيء الجديد ترفع من قيمته، وتكامل جوانبه المختلفة يضيف هو الآخر أهمية أخرى للفكرة الجديدة، تعتبر الفكرة متكاملة إذا تضمنت تفاصيل دقيقة تشمل جوانبه المختلفة، أي أن الكل يكون عاما وشاملا للموضوع الذي هو بصدده، تكون جوانب الموضوع مترابطة ترابطا عضويا، فيشكل كل عنصر عضوا أساسيا مهما، يضيف إلى الكل شيئا ما ويدهمه، وإذا ما جذف أي عنصر من الكل فإنه يسبب تخطيلا في هذا الكل، يسهل تحديد انتماء كل عنصر إلى الكل، تكون هناك علاقة بين أي عنصر وعنصر آخر، وبين أي عنصر منه والكل.

القراءة والتقييم :

يقصد بالتقييم القدرة على الحكم في قيمة مادة معينة. قد تكون قراراً أو شعراً أو رواية أو مقالة أو بحثاً أو كتاباً أو مختراعاً. يكون الحكم كميّاً أو كيفيّاً، إيجابياً وسلبياً، حول ما إذا كانت المادة تخضع لمعيار معين من صنع الفرد، أو يزود به عندما يطلب منه الحكم. تكون الأحكام على نوعين، يتضمن النوع الأول إصدار أحكام بناء على الأدلة الداخلية كالقلفة والترابط والاتساق، يتضمن النوع الثاني إصدار أحكام بناء على الأدلة الخارجية التي يتم بمقتضاها مقارنة المادة بمثيلاتها، ويحدد بناء على ذلك موقعها من تلك المواد.

ينبغي أن يكون القارئ مقتنعاً بأن كل فكرة أو نظرية أو رأي أو قول أو كتاب أو بحث أو مكتشف أو ما إلى ذلك، مهما كان صاحبه، قد صيغ في ظروف خاصة به وبكاتبه، وفي زمان ومكان معينين، إن هذه السميات ليست نهائية أبداً، وإن تكون كذلك في يوم من الأيام، وهي إنما تمثل وجهة نظر هذا الكاتب الشخصية، والكاتب قبل كل شيء إنسان، والإنسان معرض للخطأ، وكما أن الإنسان يصيب أحياناً فهو إنما يخطئ أحياناً أخرى.

إن كل شخص، من ضمنهم العلماء، إنما هم أناس يخطئون كما يخطئ غيرهم. بل تكون هذه الأخطاء أحياناً أفصح عندما ننظر إلى أفكارهم بمنظار دقيق، بما وفره لنا العلم والتكنولوجيا من جديد في حاضر الأيام، ينظر كل إنسان إلى الأمور بمنظار خاص ومن زاوية متباينة، كما أن هناك جوانب مشتركة بين الأفراد، فإن هناك فروقاً فريدة شاسعة جداً فيما بينهم، والنظرة الخاصة بشخص ما، من ضمنه القارئ، مهمة جداً، لأنها تمثل وجهة نظره الشخصية، تزداد أهمية هذه النظرة عندما تكون فريدة بهذا الشخص المعين، أي عندما يستطيع هذا الشخص أن يرى ما لا يراه الآخرون، وهذا هو الابتكار بعينه.

هذه القناعة إذاً ما رسخت في القارئ فإنه يتشجع لتقييم أعمال الآخرين، من تلك التي يقرأها هنا وهناك، واستخدام معيار من صنع الفرد في التقييم

أفضل من استخدام معيار من صنع الآخرين، ذلك لأن وضع المعايير فيه هو الآخر ابتكار جديد، يقع بعض الأفراد أسيراً لخبراتهم السابقة، فيصدرون أحكاماً مسبقة متحيزة لشخص أو لفكرة، العودة إلى آراء من لهم صلة بالموضوع والأطفال الصغار طريقة للتخلص من تأثير هذه الأحكام المسبقة.

توصيات :

وإنطلاقاً مما سبق عرضه يمكن درج التوصيات

التالية:

- يستطيع كل إنسان أن يكون مبتكراً، إذا خصص وقتاً كافياً لهذا الغرض - إن الوقت المصروف في هذا المجال هو رأسمال المبتكر - ورغم أن استثمار رأسمال معين في التجارة لا يضمن ربحاً أكيداً، فإن استثمار رأسمال الوقت المصروف من أجل الابتكار لا يضمن بالضرورة الحصول على الأفكار المبتكرة، كما أنه لا يمكن الحصول على الربح بدون استثمار المال، فلا يمكن الحصول على أفكار مبتكرة بدون استخدام رأسمال الوقت، يكون الوقت بذلك قد استثمر في هذه المرة خير استثمار.

التدريب على تقنيات طرائق الابتكار مهم جداً، وطرائق الابتكار كثيرة، تتضمن ما تتضمن القراءة المبتكرة والتوقف المبتكر، ينبغي أن يكون كل شيء موجهاً ومنظماً، ولا يترك المجال للصدف أبداً، والشخص عندما يتعلم تقنيات طرائق الابتكار، ويطبقها، إنما يستطيع أن يضاعف ابتكاراته أضعاافاً مضاعفاً.

- إننا إنما نعيش في عصر معلومات متراكمة هائلة تضاعف نفسها كل بضعة من السنين، والساعات المدرسية محدودة، وليس لدينا من الوقت الكافي بحيث نزود أطفالنا في المدارس كل شيء، وهو في واقع الأمر مستحيل، وهكذا فإن ما تدرسه المدارس في أي مجال من مجالات العلوم تظل شيئاً ضئيلاً بالنسبة لذلك العلم، تكاد تشكل قطرات ماء حائرة في بحر لحي مترامي الأطراف، ولهذا السبب ينبغي التسرع في

المدارس الابتدائية والمتوسطة والبالغين والعاملين في مؤسسة معينة - يستطيع الآباء وأولياء الأمور والإدريون أن يرقعوا من ابتكارات من يعملون معهم بتدريهم على تمارين بسيطة في تسجيل الملاحظات واستخدام المواد المناسبة.

- يجب تشجيع الأطفال على القراءة الغزيرة منذ نعومة أظفارهم، وعندما يشجع الأطفال إلى القراءة الكثيرة فلابد لهم أن يدربوا إضافة إلى المواد التي يقرأونها كيف يجب عليهم أن يقرأوا، ينبغي على الأطفال تجنب القراءة السلبية بأي حال من الأحوال، القراءة السلبية هي تلك القراءة التي تتم بدون تركيز تام على المادة المقروءة، ويكون الفكر خلالها مشتتاً نسبياً، تختلف هذه النسبة من شخص إلى آخر، ومن قراءة إلى أخرى، يلتزم الأفراد بدلا من ذلك بالقراءة المبكرة، إن أمر تدريب الأفراد على القراءة المبكرة ضروري جدا ضرورة القراءة نفسها، الأساس في القراءة المبكرة أنها لن تكون من أجل قضاء وقت الفراغ، بل تكون من أجل تطوير الأفكار المعروضة في المادة المقروءة، فيحتاج الأمر إلى تركيز تام وتفكير وتامل وتمحيص وتخيل، ينبغي التوقف على المادة المقروءة توقفاً مبكراً، ويتم بناء على ذلك تحديد الجوانب المختلفة لهذه المادة لما تتضمنها من أفكار، وتحليل هذه الأفكار، وتطويرها، وتوسيعها للتوصل إلى أفكار بناء جديدة نتيجة لذلك، ينبغي تحليل الصور المرافقة لهذه المواد إضافة إلى تحليل المواد المكتوبة، ينبغي على المدارس العمل على كسب التلاميذ بالعادات الدراسية الجيدة، وأن يدربوا بشكل خاص على تقنية القراءة السريعة، تعليم التلاميذ على كيفية استخدام المكتبة منشط مهم آخر من المناشط الضرورية، وحسب هذا المنشط فإن التلاميذ يتعلمون طرائق تصنيف الكتب ومحل وجود الكتب والمجلات والجرائد والقواميس وبنوات المعارف والاطروحات والرسائل وكيفية الوصول إلى هذه المراجع المختلفة.

- ينبغي على المعلمين قراءة الكثير من القصص، ذلك لأن توصية شيء إنما تتطلب خبرة في ذلك الشيء، وقيل إن يوصوا بطلانهم على قراءة قصص

الوصول إلى مصادر المعلومات أينما كانت والاختيار الصحيح المناسب من هذه المعلومات، على أن المدرسة وحدها لا يستطيع أن تفعل كل شيء، ولهذا ينبغي الاستفادة من مصادر المعلومات الموجودة في المجتمع، ومن بين هذه المصادر الكتب والمجلات والجرائد والأشخاص والراديو والتلفزيون والمعارض والسفرات والمتاحف والمكتبات ومراكز التقنيات التربوية.

- تؤكد التقنيات التربوية أنه لابد من تعليم الطلبة طرائق التعلم بدلا من تقديم العلم إليهم كلقمة جاهزة، لقد وفرت التقنيات التربوية الحديثة ما كان يستحيل على الإنسان الوصول إليه قبل عقد أو عقدين من الزمان، لقد سهلت هذه التقنيات الوصول إلى مصادر المعلومات تسهила منقطع النظير - يحقق الكمبيوتر الوصول إلى أغزر مصادر المعلومات عن طريق الشبكات الضوئية - وبناء على ذلك يجب أن يدرب الطلبة على كيفية الاستفادة من هذه الأجهزة - وينبغي أن يتضمن مثل هذا التدريب كيفية استخدام الأنترنت.

- ينبغي أن يواجه المعلمون وأولياء الأمور الأسئلة والأفكار والظواهر التي تطرح من قبل التلاميذ، والتي قد تبدو غريبة منذ الوهلة الأولى، بكثير من التفهم والاحترام، ينبغي مكافأة أفكار التلاميذ المبكرة، يجب أن يؤكد دائما على أن أفكار التلاميذ الشخصية مهمة جدا بقدر أهمية ما يقرأونها في الكتب والمراجع الأخرى، ينبغي على المعلمين إفساح المجال للتلاميذ لتعلم ما فيه الكفاية والتفكير والكشف من دون تهديدهم بالتقييم والقياس.

- لا يمكن معرفة زمان ومكان الأفكار التي تخطف سريعة في الذهن، لذا ينبغي على كل فرد أن يحمل قلما وأوراقا معه في كل وقت وحين، فتسجيل الأفكار بسرعة لا يعطى فيها أي مجال للتسنيان. لقد ذكر الأجانب أن الأفكار المبكرة إنما تراود المرء كثيرا في ثلاثة أماكن خاصة هي الحمام والسرير والباس - لذا ينبغي توفير مستلزمات التسجيل في هذه الأماكن أيضا -

- يمكن تعليم مهارة تسجيل الملاحظات لتلاميذ

غيرهم، ينبغي زيادة مثل هذه الفعاليات وفتحها لجميع أفراد المجتمع ونقلها من قبل وسائل الإتصال المختلفة.

- تعتمد التربية التقليدية على نظام الكتاب المدرسي المقرر الواحد في الموضوع الدراسي الواحد المقرر من التطبيق - ذلك لأن خطورة هذا النظام تكمن من حيث أنه يربي كتلة إنسانية تفكر في اتجاه واحد فقط - ينبغي تنوع المقررات الدراسية وترك أمر اختيار المناسب منها الى الطلبة وأولياء أمور الطلبة، إن تنوع الأفكار يولد الفنى والثراء ويزيد بين الناس التسامح والصنف الجميل، ولهذا السبب فقد أشار النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] إلى أن في اختلاف أمته رحمة - وهو أيضا من الخطوات الضرورية لتشنة جيل يؤمن بالديمقراطية ويحترم آراء الآخرين، لا يمكن تطوير الابتكار والابداع إلا في جو يسوده مثل هذا الجو الديمقراطي.

المصادر العربية:

- * رضا، أنور طاهر (١٩٨٢) «الأهداف التربوية: نقطة البداية في العملية التربوية» مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة قاريونس، ١٢، ٧٧، ١١٢.
- * رضا، أنور طاهر (٢٠٠٠) التربية في القرن الحادي والعشرين - جاهز للطبع.

المصادر الأجنبية:

- De Bono, E. (1993) Serious Creativity: Using the Power of Lateral Thinking to Create New Ideas. London: Harper Collins.
- Epstein R. (1996) Capturing Creativity. Psycholog Today, 29 (4), 36-40.
- Papanek, V. (1978) Design for the Real World, London: Granada.
- Riza, E.T. (1999) Yaraticiligi Gelistirme Teknikleri. Izmir: Anadolu Mat.

بمعينة فلا بد أن يكونوا بأنفسهم قد قرؤوا هذه القصص، إن قراءة المعلمين لقصص كثيرة توفر لهم الفوائد التي تحققها هذه القصص بالنسبة للطلبة، وهكذا تكمل النواقص الموجودة لدى المعلمين، ويكونون في الوقت ذاته على إطلاع بهذه القصص، وهكذا يستطيعون إجابة أسئلة الطلبة المختلفة بدون تردد واضح.

- تعتبر قراءة قصص الأطفال مجالا خصباً ومناسبا لتحقيق الابتكار لدى الطلبة، تعتبر القصص أثارا مناسبة جدا يكتسب بها العادات الدراسية الحسنة، ولهذا السبب فإن المعلمين يجب أن يشجعوا طلبتهم على قراءة القصص لا في أوقات فراغهم فحسب، بل حتى في الساعات المخصصة لدروس اللغة العربية، فنباطل القصة والحوادث التي تجري في القصص إنما تجذب انتباه التلاميذ، تنمي كثرة قراءة القصص الثروة اللغوية لدى الأطفال، تضمن ذلك التعبير عن أفكارهم بطريقة منظمة وبشكل سليم، وهذا ما يساعدهم على نقل أفكارهم الى الغير بطريقة صحيحة وفعالة، تشكل قراءة القصص من ناحية أخرى الأساس الذي تتبنى عليه كتابة القصص، ينبغي أن يطلب المعلمون من طلبتهم تلخيص القصص التي يقرؤونها بالفاظهم الخاصة، وأن يلقوا هذه الملخصات أمام زملائهم في الصف، ويستفيد بذلك جميع الطلبة، ويشجعون على قراءة هذه القصص، تحفظ هذه الملخصات في ملفات خاصة وتقرأ بين فترة وأخرى، وهكذا توضع اللجنة الأساسية لكتابة الطلبة مثل هذه القصص بأنفسهم.

- تستطيع الجامعات والكليات أن تكون مراكز لتنوع الثقافة العامة - تنظيم دورات تدريبية للطلبة وأفراد المجتمع الآخرين في مواضيع مختلفة من السنة - تعطي هذه الدورات مردودات جيدة من زاوية الابتكار والإبداع - توسع هذه الدورات على الأقل آفاق تفكير المشتركين فيها، إن المناقشات والمؤتمرات والندوات التي تقام في الجامعات تفتي وتنوع الثقافة العامة للمشاركين ممن هم من أهل الاختصاص أو من

في أصول الأدب

تأليف

الأستاذ أحمد حسن الزيات

المنهل

١١٦

الربيعان ١٤٢٢ هـ - مايو / يونيو ٢٠٠١ م

الكتاب

في أصول الأدب
أحمد حسن الزيات

طبعة ثانية
مكتبة

١٩٧٠ - ١٩٧١

غلاف الكتاب



أحمد حسن الزيات

تخيرت أن أتحدث عن هذا الكتاب، لأن أحد الناقدين قام بحملة ظالمة عليه، لم يتجه فيها إلى نقد أفكاره، فهذا من حق كل ناقد. ولكنه اتجه إلى نقد أسلوبه، حيث يرى أن الزيات كتب كتابه بأسلوب الأديب المحتفل بالعبارة، وكأنه يكتب مقالة ذاتية من مقالات وحي الرسالة، وهذا عيب كبير في نظر الناقد وأنا أعجب لهذا التطاول حين يجيء في غير موضعه، لأن أسلوب الزيات البياني قد زاد الحقائق العلمية التي تعرض إليها في محاضراته الأدبية ومقالاته العلمية المجموعة في هذا الكتاب وضوحاً وإشراقاً، ودفع بالقارئ إلى الإلمام به في غير عسر، وقد منيت الدراسات الأدبية بنفر من الباحثين، يظنون البحث مجرد نقول وتعقيبات، نقول تحتشد وتتزاحم مع مباحة بتعدد المراجع، وولع بتسطيرها، وأرقام صفحاتها، ومرآت طباعتها، والجهد في ذلك عند هؤلاء هو موقع الاهتمام دون نظر إلى هسل العبارة، والطراء الأسلوب، والقارئ الدارس يفضي عن قصورهم ملتصقا لهم أبواب العذر، فإذا جاء أحدهم اليوم ينعي على الزيات إشراق العبارة الأدبية في محاضراته العلمية، فذلك موضع الاستغراب، وهو في الوقت نفسه ينبيء عن مركب نقص يشعر به الناقد ويحاول أن يستره فلا يستطيع.

لقد تحدثت الزيات في كتابه عن موضوعات كان السابِق إليها قبل أن تتوالى البحوث من بعده معتمدة عليه وعلى سواء، لقد كان أول من أرخ لكتاب ألف ليلة وليلة في صفحات متصلة كانت مرجعاً لمن ترجع إليهم من المستشرقين، ولئن جد اليوم من امتد بالبحث إلى نقاط لم يصل إليها الباحث الرائد، فحسبه أنه كان رائداً، ومن يدري لعلنا نجد اليوم من يتهمه بالقصور، حين يوازن بينه وبين من كتب بعده بأربعين عاماً! غافلاً عن مرور الزمان وأثره في نضوج الأفكار، واستقامة القضايا وصواب النتائج! وكثيراً ما نقرأ اليوم بحثاً مشتمرة عن أثر الثقافة العربية في العلم



بقلم: أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

في الاستشهاد بهذه الآثار إفاضة شافية مستوفاة، حتى انتقل إلى التاريخ السياسي العام فقال إن طريقهم في سوقه ملتوية عقيمة، ونظرتهم في حوادثه سطحية كلية، لأنهم غالباً ما يسربون السنين سنة فسنة فيروون ما وقع في كل سنة من الحوادث على تباين الأمكنة، واختلاف الموضوعات فيصبح تاريخ كل سنة مجموعة أفكار مفككة لا صلة بينها ولا رابط.

وهناك طريقة أخرى هي رواية الحوادث على حسب سياقها ما أمكن ذلك، ولكن دون تحليل وتفسير، كما أهملوا في كتابة التاريخ ما يتبعه من علوم متعلل بحقائقه كعلم السجلات وعلم المسكوكات وعلم الآثار وعلم النقد وعلم الاقتصاد وعلم الإحصاء.

وأقول لأستاذنا الزيات إن الرجوع إلى هذه العلوم في كتابة التاريخ لم يبدأ في أوروبا إلا في أوائل القرن الخامس عشر وهو فجر النهضة الأوروبية، فإذا كان

العرب غير ملين بما طرأ من بعد، فهم معذورون، وقد عدّ الزيات ابن خلدون بين من اكتفوا بالسرد وقرنه بالمسعودي وابن الطقطقي وابن العبري، وفي هذا ظلم فادح للمؤرخ العربي الكبير، ومكانة ابن خلدون لا تخفى على باحث بصير كالزيات، ولكنه نظر إلى تاريخه دون مقدمته، ولو رجع إلى المقدمة لعرف أنه خطا خطوات بارعة في ما يريد من التحقيق والدراسة، وعيب ابن خلدون أنه لم يطبق آراء المقدمة في الأجزاء الخاصة بالتاريخ، ولو فعل لبلغ الذروة التي يريدها الأستاذ الزيات، ولكن حسبه أن التفت إلى ما لم يلتفت إليه سواء، وقد قال المؤلف في خاتمة بحثه: إذا كان العرب قد جهلوا الطريقة الصحيحة في التاريخ العام، فلهم عذرهم إذا لم يكتبوا التاريخ الأدبي، واكتفوا بالتراجم الأدبية في كتب الموسوعات.

ولئن جهل العرب كتابة التاريخ على النحو المنشود، وسجل عليهم المؤلف ذلك، فقد عني بإبراز توفيقهم الكبير في نشر الثقافة في العالم جميعه، وما كتبه الزيات تحت عنوان (أثر الثقافة العربية في العلم والعالم) من المضاييح الأولى في هذا الباب حيث

والعالم، وكلها تالية لما أبدعه الزيات في هذا المجال حين حاضِر في هذا الموضوع بالعراق أول الثلاثينيات إذ كان أستاذاً للأدب العربي بدار المعلمين العليا ببغداد وقد شهدت ساحة هذه الدار محاضراته عن «ألف ليلة وليلة» وعن «الأدب العربي وحظ العرب من تاريخه» وعن «العوامل المؤثرة في الأدب»، وكلها مدونة في (أصول الأدب) وقد جاء مؤلفو كتاب «الأدب التوجيهي» من رجال الجامعة فاعتمدوا على محاضرات الزيات، ولم يكادوا يزيدون عنها في شيء إذ كان سابقاً غير مسبوق، وإذا كان أسلوب الزيات من الروعة بحيث جذب الأنظار إلى حقائقه العلمية جذباً قوياً، فمن الخطأ أن نتنكر لهذا الأسلوب ونحن لا نستطيع أن نحذيه، وتبعاً لهذا الاتجاه لا يجب أن نتنكر لمباحث الجاحظ وعبد القاهر وأبي حيان وابن الأثير وكلها ذات أسر بلخ.

بدأ الكتاب بمحاضرة تحت عنوان (الأدب وحظ العرب من تاريخه) فتمرض المحاضر للأدب وصلته بالفرد وأثر القومية في الأدب مقارنة بأثر الاستعمار، وألم بمعنى الكلمة في اللغة والاصطلاح، واختلاف الأنظار في توجيهها، ويمكن أن يكون ذلك مما نرس من قبل، ولكن الجديد في هذا البحث حديث الزيات عن جهل العرب بتاريخ الأدب ومدعاة ذلك، حيث ذهب إلى أن العرب تميزوا في كتابة التاريخ الخاص دون العام، فهم في التاريخ الخاص قد بلغوا غاية الافتتان حين أولعوا بتراجم النابيين في كل فن على تباين أوطانهم وأزمانهم وعلومهم، فجاءت هذه التراجم إما مرتبة على حسب الأسماء أو حسب الأنساب، فمن القسم الأول منهج ابن خلكان في وفيات الأعيان وابن شاذان الكتبي في فوات الوفيات، وصلاح الدين الصفوى في الوافى بالوفيات، ومن الثاني منهج السمعاني في كتاب الأنساب، وهذا كله في التاريخ العام لهؤلاء الرجال، أما الكتب الخاصة بطبقات معينة في علوم معينة كطبقات المفسرين وطبقات النحويين، وتاريخ الحكماء فمما أكثر ما تناولها مؤرخو العرب، وقد أفاض الزيات

تحدث بإشباع عن الأمم التي بلغت رسالات الله،
وفضل العرب عليها جميعها، وهو فصل لم يسطره
الزيات تعجباً واستعلاء، بل إقراراً لحقيقة علمية
تاريخية لا يجزى على إنكارها إلا من يضطلعون على
الاسلام لأموهم يخصونها في صدورهم، وقد أتى الزيات
يرأى رينان المتعصب للأريية على السامية مقارناً بآراء
المتصفين ممن سبجوا للعرب سبقتهم البارز في علوم
الطب والهندسة والصيدلة والطبيعة والكيمياء، كما دفع
دفعاً صارماً الفرية القائلة بأن العرب قد فقدوا
الأصالة الفكرية في بحثهم، إذ كانوا في العلم حميلة
على اليونان وترجمة لأفكارهم دون تجديد أو اختراع!!
دفع ذلك بتسجيل أسماء الكتب العلمية، والمؤلفين من
العرب والمسلمين، وكتب في ذلك صفحات مشرقة
مشرقة يصعب تلخيصها في هذا المجال، ونحمد الله
إذ ظهرت كتب مستقلة تتحدث عن الجهود العلمية
للعرب، ومن هذه الكتب أسفار كتبها المنصفون من
الأوربيين، بل إن جامعات علمية في أوروبا قد خلعت
على مدرجاتها أسماء الرازي وابن الهيثم والبيروني
والخوارزمي وابن النفيس اعترافاً بأثرهم الكبير، ولو
عاش رينان حتى رأى ذلك لغفر فاه دهشاً! وقد ختم
الزيات بحثه راجياً أن تكون ثقافة العرب وهي عصارة
أذهان الشعوب، وخلاصة أديان الشرق حرة أن تبث
في أدياننا القوة، وفي أخلاقنا الفنون وفي مهضمتنا
الحركة والطموح[١٧].

وهذا الإنصاف الدقيق لا يجعلنا نتهم الباحث إذا
أخذ النقد العربي القديم بمنأى جوهرية في مضمونه،
حيث ذهب إلى أن من يطلع على ما أثر عن السلف من
النقد والموازنة يجد الخطأ في الأقيسة والخلل في
الموازنين، لتحكم الذوق الخاص واستبداد الهوى المطلق،
وارسال الحكم الناقد على غير قاعدة مرسومة، ولا
مذهب معين، فربما اكتفوا في تقديم شاعر أو تفضيل
بيت بالعبارة السريعة أو الإشارة المبهمة، وضرب المثل
بأبي منصور الثعالبي إذ أفرد أبواباً طويلة لشعراء
وتبهم ترتيباً زمنياً ثم حكم على كل شاعر بجملة من
جزاف القول لا تحليل فيها، كذلك فعل اللغويون من
أمثال الأصمعي إذ ذكروا عن الشعراء أقوالاً لا غناء
فيها، وأحكاماً لا أسباب لها، أما قدامة فتدور الموازنة
عنده على الأبيات المفردة، وتخرج بنتائج مختلفة عن

مثل الفرزدق وجبريل أو أبي نواس ومسلم أو البحتري
وأبي تمام دون حجج حاسمة، حتى كتاب الموازنة
للأمدي لم يخلص لقضية كلية إنما قامت الموازنة فيه
بين أبيات مفردة بين مطالع أبي تمام مع اختيار ما
يقابلها من مطالع البحتري، ثم يعلق عليها تعليقاتاً
موجزاً لا يتصل بموضوع القصيدة ووجدتها ولا
غرضها ولا سياقها، كأن لم تكن عضواً في جسم ولا
جزءاً من كل، ولذلك تفرغ من الكتاب وأنت لا تدري
أي الشعارين أفضل: وقد فكر الزيات في أسباب هذا
القصور الواضح في نقد الشعر مع تعدد الكتب الأدبية
التي تعرضت للنقد بإسهاب مطيل، فكر الزيات في هذا
القصور، ورجع به إلى خمسة أشياء أوجزها في
سبطرة[٢] اتجاه اللغويين والنصويين على الشعر
التماساً لموضوع الشاهد اللغوي أو النصوي دون نظر
إلى الفن الشعري، وفي الاكتفاء لدى علماء البلاغة
بالببيت الواحد أو المصراع الواحد دون النظر إلى
السياق، وفي أن القصيدة العربية ساعدت على هذه
التجزئة إذ هي عدة أغراض تتفق في الوزن والقافية
وتختلف في الموضوع، كما جدد من يحارب اتصال
الببيت السابق بخفيه اللاحق ويعدّه عيباً، وهذا هو
المشاهد في التراث النقدي فعلاً، وأذكر أنني في كتابي
(أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد) قد فصلت هذا
الإجمال تفصيلاً وافياً، وقلت في التعليق على نقد
الزيات ما ملخصه[٣]، «إن هذه الأسباب مسلمة في
إطارها العام. ولكن ما ذكره الزيات في مقدمة نقده
يحتاج إلى نقاش لأن ما قاله عن الخطأ في الأقيسة
والخلل في الموازنين، وتحكم الذوق الخاص واستبداد
الهوى المطلق، كل ذلك على إطلاقه غير مسلم، لأن نقد
السلف تقلب في طوره؟ النقد الذوقي العام، وبصاحب
الأدب منذ نشأته إلى القرن الثالث، لأن القرن الرابع
حقل بمؤلفات موضوعية لا تعتمد على العبارة السريعة،
ولا يتحكم فيها الهوى المطلق، ومن أظهر هذه المؤلفات
كتاب الأمدي والجرجاني فمع ما فيهما من منأى
نجدهما يعتمدان على الوجهة الموضوعية ذات التحليل
الوافي، وبهما ابتداء النقد المنهجي الصحيح متجاوزاً ما
سلف من النقد الذوقي».

وفي كتاب «في أصول الأدب» فصول رائدة عن
الرواية المسرحية في التاريخ والفن، وعن أنواع الرواية

فتلازم أحياناً، وتتفك أحياناً، ومن أخصر ملاحظاتنا الإبداع والأصالة والخلق، فالرجل العبقري يعطي ويسفل تبعاً لقيام العبقرية به أو انفكاكها عنه. ثم هو في عظام الأمور سبقاً، وفي محاورها متخلف لأن الجليل يوقظ خاطره، ويحفز طبيعته، والحقير الوضيع ينخزل عن مكانه فلا يبلغ موضع التأثير فيه... وأمدت الزيات يفصل هذا الرأي بما يملك من أسباب، ويستشهد من أبيات.

ولا أترك حديثه (في أصول الأدب) غير أن أشير إلى توفير الزيات في دفاعه عن الفصحى باعتبارها لغة راقية في الصوار المسرحي [هـ]، إذ تعجب بعض النقاد إلى ضرورة اتخاذ العامية في الحوار لأنها قريبة من الواقع العملي. وقد حذر الزيات هذا الرأي مشيراً إلى أن القصائص المقترست يستطيع أن يخلق في نطاق الفصحى ما يجعل الحوار لغة الفصحى يؤدي رسالته في إتقان، أما القول بأن الحوار لغة العامة فلا يمنع أن نعبر عن هذه اللغة بالفصحى لتؤدي أداء العامية، ونحن نترجم عن شكسبير وغيره، وننطق بلغة عربية عما قاله باللغة الانجليزية حواراً وسرداً، ولم يقل قائل إن الصوار لابد أن يكون بالانجليزية ليؤدي دوره الصحيح! وما جاء به الزيات من الأدلة يميل برأيه إلى الرجحان لدى من يهتدي إلى الصواب دون لجاج، كما دافع الزيات عن ارتقاء المهارة [و] عن المجون والخلاعة لأن الفكاهة ليس معناها الابتذال والانحطاط، ودعاة هذا التبذل يهبطون بالفن إلى أسفل مهاوله! إن كتاب في أصول الأدب معان في موضوعه والذين عابوه بقوة بيبانه، وجزالة أسلوبه، يعجبون أنفسهم بأنهم لا يرتقون إلى مستوى الأداء البليغ، وعليهم أن يدرسوا العربية من جديد.

الهوامش:

- (١) في أصول الأدب ص ١٥٣ ط ٢.
- (٢) في أصول الأدب ص ٥٠.
- (٣) أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد الدكتور محمد رجب البيهوي ص ٣١٥ ط جامعة الإمام.
- (٤) في أصول الأدب ص ١٧٩.
- (٥) في أصول الأدب ص ٣٢١.
- (٦) في أصول الأدب ص ٣٣١.

من مناسباته وملاهية مع تحليل لأشهر الروايات من التومين، وإهتمام بالفنان الفرنسي موليير، وأشهر ملاهيه كالمشوح والبخيل والنساء عالمات، ويعد ذلك إلهام مفيد للإدراة والمسرحية الغنائية مزلية وجدية، والملمعة طبعية وضناعية، وأشهر الملاحم كالألياذه والأونيسيه منتهياً إلى القول في الملاحم عند العرب ليتحدث عن ملاحم بنى هلال ورسالة الغفران وقصة عنترة.

وفي الباب الثاني وهو باب المقالات آراء فاحصة تنتج وجهة النقد السابق، وأظهرها ما كتبه الزيات عن شوقي وعن حافظ، إذ كتب عن أمير الشعراء فصلاً خاصاً به تضمن الحديث عن شعره التقليدي وشعره التجديدي، ولشوقي مكانة خاصة لدى الزيات ظهرت واضحة في مقدمة حديثه إذ قرر في وثوق أن مروج عبقير قد قام عليها رتاج منيع منذ مات المتنبي فلم يرفع في مبدئ متطاول حتى ظهر شوقي! ولا أدري لماذا نسي الزيات أبا العلاء المعري والشريف الرضي وهما بمكانتهما الشعرية لا يقلان في عصرهما عن أحمد شوقي، وكأنني به يرى أبا العلاء ذا فكر عويس يبعد به عن أجواء الشعر الصافي، ويرى الشريف ذا نزعات توجد لدى غيره، فلا فضل في حجازياته ووجدانياته، وهذا ما لا أمل إليه، ثم أنصف شوقي حين قال: إن معارضاته الشعرية للفحول من أمثال المتنبي والبحترى وأبن زيدون وأبي تمام ليست تقليداً وإنما هي مبارزة لأنه يحاكيهما في الشكل لا في الموضوع، وهذه المحاكاة محتمة لأنه يضيف فيها بدائع خالدة من ابتكاره الذاتي، أما التقليد المعيب حقاً في رأي الزيات فهو افتتاح بعض القصائد السياسية بقزل مصطنع مثل قصيدته التي مطلعها:

أثن عنان القلب وأسلم به

من ريرب الرمل ومن مسريره

وفي مقال آخر وازن المؤلف بين شوقي وحافظ [٤]، فقال إن شوقي شاعر العبقرية، وحافظ شاعر القرينة فاققرينة، ملكة يملك بها صاحبها الإبانة عن نفسه بأبليوب يقره الفن، ويرضاه الذوق ومن خصائصها الوضوح والانساق والأناقة والبساطة والدقة، أما العبقرية فضرر من الإلهام يستمر استمراراً تجديدياً

قصّ أبو المعالي الحظيري [١] قصة فريدة على ندمائه بدار وراقته ببغداد بعد رجوعه من الأندلس محملاً بالهدايا والحلوى والمن والسلوى، قال: لما انتصر أمير المرابطين يوسف بن تاشفين على الإسبان المجرمين في معركة الزلاقة [٢]، ووجد الأندلس، وخلصها من ملوك الطوائف، توافد عليه العلماء والأدباء يهتفون بالفتح المبين، وردع الجائرين الذين جزأوا البلاد، وجعلوا أهلها شيعا، وصدق فيهم القائل:

القلبُ مملكةٌ في غير موضعها
كالهَرِّ يحكي انتفاخا صولة الأسد

تحذير

السليم

من

الأيس

كريم

وقد حمل اليّ البريد بطاقة دعوة من صديقي ابن خفاجة [٣]. الناظم المطبوع الذي شهد بتقديمه الجميع، المتصرف بين أشتات البديع، مالك أعة المحاسن وناهج طريقها، العارف بترصيعها وتنميقها، الناظم لعقودها، الراقم لبرودها، فلبيت الدعوة ورحلتُ إلى الأندلس، فتلقاني بالفاوة والتكرم، وعزّفتني بآبن تاشفين، وأغدق عليّ من المال السمين، ثم اصطحبني من جزيرة شقر في رحلة الى سائر مدن الأندلس فخرجنا الى سرقطة وطليطلة وبلنسية وشاطبة وقرطبة وغرناطة وإشبيلية ومالقة، وابن خفاجة لا يفتأ يشرح ويصف ويترنم، وقد استولى عليّ العجب مما رأيت من رياض سندسية وأنهار فضية، وحداثق مخملية، وقصور وأزهار وثمار وأطيار، وساحات فساح وغوان ملاح فقلت:

ما أجمل أرضكم، وما أطف جوكم، وما أبعد نطقكم يا أبا إسحاق.
فقال:

إن لـلـجـنـة في الأندلس
مُـجـتـلـى حـسـن وريـا نَفـس
فـسـنـا مُـسـبـحـتـها من شَنَب
واجي ظلمتـها من لعس
فلـذا مـا هبـت الريح صـبـا
صـحـت: وا شـوقـي إلى الأندلس [٤]



بقلم : د. أحمد عطية السعودي - الأردن

قال: أليس كريم! قلت: إيش هذا؟ العرب لا تعرف إلا ليس وأيس[٧]!

قال: لهذه الحلوى قصة، أتذكر لما قال المعتمد بن عباد لوزيره ابن عمار وقد تساقط البرد، أجز: نثر الجوع على الأرض برد فأمطال ابن عمار الفكرة، فقالت فتاة على نبع الماء تسمى اعتماد:

أي دُر لنحور لو جمداً

فتعجب المعتمد من حسن ما أتت به، فتزوجها وولدت له أولاده الملوك النجباء
قلت: أذكر ذلك ولا أنساه!

قال: فلان ابن عمار لما عجز أراد أن يعوض عجزه، ويرفع مكانته في نظر المعتمد، فأمر المهرة المذاق بجمع البرد في أكواب صغيرة كهيئة المخروط، وتحليتها بالسكر والنكهة الطيبة، ثم قدمها لمولاه فقال المعتمد: أيش يا كريم؟ قال: هي حلواء. فتناقل الناس الخبر، وظننت الجوارى الإسبانيات أن اسمها أيش كريم فحرقنه فصار: أيس كريم!

قلت: لا أعرف في الثلج والبرد إلا قول جرير:

مطلوعة الريق بعد النوم واضعة

عن ذي مثنان تمج المسك والبانا!

قال: مثلوجة الريق لأنها أكلت البوظة وشربت بعدها القازوزة!

قلت: جفاً وصديقاً لقد أبهجت بصري رؤيتها.
قال:

في أرض أندلس تلتذ نعماء

ولا تفارق فيها القلب سراء

وكيف لا تبهج الأبحار رؤيتها

وكل روض بها في الوشي صنعاء

أنهارها فضة والمسك تريتها

والغز رؤيتها والدر حصباء[ه]

فقلت (مداعباً): ورغم أننا مشينا على حصبائها الدرية وتربتها المسكية إلا أننا تعبنا وجف من أجسامنا ماؤها فأنعمشنا يا أبا إسحاق بعصير الليمون ثم عززته بالفالودج، ثم اجعل ختامه السكاج[٦]، فإنه يعدل المزاج ويفرح الأوداج! فطخطخ ضاحكاً. وقال: أين أنت من الدنيا يا أبا المعالي، لا تعرف إلا الفالودج والهريسة والسكاج والكثافة والقطايف؟

قلت: وما جرى في الدنيا؟

قال: جرى فيها إيدال وإعلال وتغيير في الميزان المصرفي، وحل الاختصاص محل الاشتغال، وسال جامد الحال، وأضيف إليه وحكي بال، فتكون نظير العسل والخل!

قلت: فما الذي تكون؟

قلت: ما أدري والله ما تقول؟ أورد هذا في معاجم العربية؟

قال: تسباني وقد عقد لها ابن دريد فصلا في جمهرته فقال:

«ومن أسماء الأيس كريم: البوظة وهي فارسية، والغلاس فرنسية، والجيلاتي ايطالية، والنون دورمة تركية، وليس لها في العربية اسم لأن الخليل كان يعافها».

قلت: هل هذا الأيس من رحمة البائس يقضم أم يخضم أم يلع أم يجرع؟

قال: بل يلحس ويلاس، ويمص ويتلمظ، وليس كالجلي، والخشاف والزلاية والكركتيل والجاتو [8] التي يقول أكلها: هاتوا هاتوا! وتؤكل صيف شتاء، أما البوظة فلا تؤكل في يوم بلّة عصبص بارد هلّوف!

قلت: فالأولى إذن يا أبا إسحاق، أن نسمي البوظة أو الأيس كريم باسم «الجميدة» [9] لأنها تستحب في أشهر الحر، وترطب جسم المعتز، رغم أنها لا تسمن ولا تضرا!

قال: جميدة على وزن فعيلة مثل: وليمة وهريسة ووكيرة، اسم رائع يالقه الأعراب!

قلت: فاسمعي يا أبا إسحاق ما جاء في الجميدة عن الأعراب:

قال: أبشري يا حظيري: قيل لأعرابي: كيف أنت وقطعة عن جميدة؟ قال: أكلها وأقول هل من مزيد!

وقيل لأخر: ما اسم البوظة عندكم؟ قال: الجميدة، قال: فإذا سخنت، قال: لا ندعها تسخن!

قلت: لعل أبا نواس قد عاب على الفضل بخله بالجميدة فكفى عنها بالخبز والسك فقال:

رأيت الفضل مكتئبا
يُنَافِي الخبز والسك
فقطب حين أبصرني
هنّس رأسه وكى
فلما أن حلفت له
بقي حاتم ضحكا!

قال: هو ما تقول بإجماع النقاد العدول! قلت: وهل يتناول أمير المرابطين شيئا من الجميدة يعينه على مواجهة الفرنجة؟

قال: لو تناولها لتناوشته رماحهم، أتظن أنه ما انتصر في الزلافة إلا بالأيس كريم، والشوكلاته، والمرتدلا، والهامبرغر يا أبا المعالي! إن الأمة التي تروم السيادة لا يعرف أطفالها ناهيك عن رجالها التسالي والمكسرات والكراميل والمثلوجات! قلت: الآن أدركت لم كان الخليل الفراهيدي يعافها فلم يجعل لها اسما في «العربية»! ولكني لم أنقها بعد، فهلا طيبت لساني بمصر رضابها يا أبا إسحاق:

يا فاضلا قد تبدي
كفك الفصحى قدا

الهوامش:

(١) الطبري: أبو المعالي سعد بن علي، أديب شاعر وراق، له «زينة الدهر»، ت ٥٦٨هـ - ١١٧٢م.

(٢) وقعت الزلافة سنة ٤٧٩هـ - ١٠٨٦م وحفظت الأندلس أربعة قرون بعدما (كان سقوط غرناطة ٨٩٧هـ - ١٤٩١م).

(٣) ابن خفاجة: أبو إسحاق إبراهيم، شاعر أندلسي، لقب بصنوبري الأندلس، ولد وتوفي بجزيرة شقر ٤٥٠هـ - ٥٢٣هـ.

(٤) الأبيات لابن خفاجة.

(٥) الأبيات لابن سفر المريني.

(٦) الفالوذج: حلواء من نقيق وماء ومسل، السكاج: لحم مقطع يطبخ مع الخضراوات.

(٧) أي: شيء. أي: خلاف ليس. يقال: انت به من حيث أيس وليس: من حيث يكون ولا يكون.

(٨) الخشاف: شراب من منقوع أو غلي الفاكهة. الزلاية: حلواء من عجينة تلي بالزيت. الكوكتيل والجاتو: معروفان.

(٩) الذي أطلق اسم الجميدة على الأيس كريم هو د. مختار هاشم من سوريا (انظر العربي غند ١٩٨٨/٣ ص ٢٠٢).

(١٠) أصل البيت: قد اشتهى اللحم خرسى فاجلده بالخيز جلداً.

(١١) هو الطبيب الفقيه محمد علي البار عضو المجمع الفقهي الإسلامي، كما ذكر ذلك د. أحمد حسين صقر، وجمع هذه الآراء د. عبد الحليم عويس في كتابه «الرعاية الصحية في الإسلام» (كتاب الشرق الأوسط من ١٠٠ - ١٠٩).

قد اشتهى البوظ خرسى

فاجلده بالبوظ جلدًا [١٠]

قال: علام حنفت تاء البوظة؟

قلت: على الترخيم تفاؤلاً بلحسها ولعقتها على لغة من ينتظراً!

قال: هي عند العلماء محل نظر، وإن طعمتها فسوف تستلب منك الجهد والاجتهاد، والفيرة والفضيلة، وتصيبك بالربو والالتهاب، وتردّ شهادتك لدى القاضي، وتكون كالمجوز والعطار!

قلت: وكيف كان ذلك؟

قال: عجوزٌ تمت أن تكون صبية

وقد نمل الجنيان واحنوب الظهرُ

فما سارت إلى العطار تبغي شبابها

وهل يصلح العطارُ ما أفسد الدهرُ!

قلت: فما قال الأطباء الفقهاء في الجميدة؟!

قال: ذكر الطبيب ابن البار [١١] أن دهن الخنزير يستعمل في تحضير البوظة والكراويل والجيلي والبيتي فور، وأجبان الفرنج وأطعمتهم، وأنه يذهب الفيرة ويجلب السرطان!

قلت: عقوق اللحم، لا مقام لي بعد اليوم في ديار تسلب اللطنة وتمحق البركة، وإن عدت إلى بغداد فسيأمن رسالة يستترشد بها العباد أجمل عنوانها بالخط العريض:

«تجنّب السليم من الأيس كريم»!!

الحلقة المفقودة في التصنيع الخليجي

.. وكيف يمكن للخليجين إيجادها [*

في هذا الموضوع ينبغي أن نحدد، بشكل لا لبس فيه، أموراً في تقنية الصنع التي يهملها الاستحواذ عليها في دول الخليج .. من أجل مستقبلنا ومقدراتنا على التنافس في القرن الحادي والعشرين .. القرن الذي لا يتم فيه التنافس على قدم المساواة، ولا ينال فيه الحق، ولا تنفع فيه المخاطر، ولا تتحقق فيه الغلبة إلا لمن هو قادر عليها .. قادر بموائل لا تقهر الفئدا إلا لغتها، بكل الأسف، حسبما برهنت لنا أحداث القرن العشرين وما قبله من قرون.

لهذا الخوف، الرتب، ترتيباً صحيحاً وسليماً، لأولويات وأهمية الأشياء التي يقوم بها والتي تحفظنا بعد الله، من التآكل في هذا الكون .. التآكل الذي دق ناقوس الخطر على وجوده فينا وحدوثه خروج العرب والمسلمين من الأندلس، وتمكن المستعمرين، على حقب مختلفة، من النفاذ إلى البنية الثقافية والحضارية لكثير من الدول العربية والإسلامية وإفسادهم لها، والتمكن من احتلال فلسطين، ومن يدرى فمأزاً سيئاً بعد فلسطين، وما إلى ذلك من مشاكل لا تخفى على الجميع ولا يمكن حصرها في هذه المناسبة.

الأساس الثالث: والذي نحن بصدد، هو امتلاك حاسم وسريع وبناءً لتقنية صنع المعدات .. امتلاك يحولنا من دول مستوردة ومستعملة ومستهلكة من الدرجة الأولى للمعدات التي تنتجها القواعد الصناعية في العالم الصناعي .. إلى دول يمتلك أبنائها، أكرراً .. يمتلك أبنائها، للقدرة التكنولوجية المتطورة لصنع أهم هذه المعدات، فيتفاعل هذا الأساس مع الأساسين سالفين الذكر لتحقيق القدرة الذاتية التي تشد صلبنا في القرن الحادي والعشرين.

فإذا ماً حددنا هذه الأمور، بات لزاماً علينا أن نقترح حلاً علمياً ويمكن تطبيقه عملياً، في نفس الوقت، تم التوصل إليه عن طريق البحث العلمي، يكفل لنا الاستحواذ الحاسم والسريع والبناء على هذه الوسائل، وخلال مدة قصيرة نسبياً لا تزيد عن عقدين من الزمن .. من البدء الجدي المنظم المستمر في عملية الاستحواذ الحقيقي على تلك الوسائل.

إن أنوات الحل الذي يكفل لنا تحقيق ذلك تستعدي منا أن نناقش أموراً كثيرة، وليست هذه هي مناسبة بحثها، ولهذا فقد أحببت أن أخصها وباختصار في ثلاثة أسس .. هي:

الأساس الأول: نظام سياسي مستقر وأمن مستتب، وفي دول مجلس التعاون، فهذا أمر نحمد الله عليه، ولا نشكو منه، بل وتحسبنا كثير من الدول على ما نحن فيه.

الأساس الثاني: شعور حقيقي بالخوف، تدركه جميع مستويات الأمة، على بيئنا وعروبتنا ولغتنا وتراثنا ومستقبلنا بين الأمم .. شعور يحفزنا للتجدي الإيجابي، ولأن نتوجه باهتماماتنا وأفعالنا توجه المدرك



بقلم : د. هاشم بن حسين مرعي

رئيس مركز الدراسات الاقتصادية والصناعية - السعودية

الرخاء... وكذلك القدرة على إجراء البحث العلمي العميق في شتى المجالات... وهي أيضاً القدرة على تطبيق واستغلال واستثمار نتائج هذه الأبحاث وما تتفجر به عقول العلماء والباحثين من مخترعات ومكتشفات بتحويلها من إنجاز نظري إلى إنجاز ينتجونه بأنفسهم وأيديهم وملكاتهم سواء للاستخدام أو للاستثمار.

هذا هو المعيار الدقيق والصحيح الذي لا يختلف فيه اثنان... وهو الذي يجب أن نستخدمه لقياس القدرة الصناعية لأي بلد...

فالبالد الذي يستطيع أن يفعل قدرأ مهماً مما يشتمل عليه هذا المعيار، هو بلد صناعي، والذي لا يستطيع أن يفعل قدرأ مهماً مما يشتمل عليه المعيار، هو بلد غير صناعي، وهناك من هم بين هذا وذاك.

فإذا استخدمنا هذا المعيار لقياس القدرة التصنيعية في أي بلد صناعي متقدم فإننا نجد أن أبناء ذلك البلد الصناعي إما أنهم ينجزون بالفعل كل ما اشتمل عليه المعيار، أو أنهم يمتلكون القدرة على أن يقوموا بإنجازه أو اردوا... وأن الذين لم يقوموا بإنجازه بشكل كامل فإننا تمنعهم من ذلك عوامل اقتصادية أو عوامل سياسية.

دول الخليج والمعيار :

أما نحن في دول الخليج فحديثو عهد بالتصنيع طبعاً، ولقد قطعنا شوطاً كبيراً في إنجاز العديد من مشاريع البنية الأساسية وقطعنا شوطاً جيداً في اتجاهين صناعيين من ثلاثة اتجاهات صناعية وتنموية كنت قد تحدثت عنها في الفصل الثالث من رسالتي

إن الأمرين الأول والثاني ليسا من اختصاص هذه الورقة... ولا من اختصاص معدها، ولهما رجالهما.

أما الأمر الثالث فهو الموضوع الذي أفنيت عمري فيه بحثاً ونرسياً بارتكاز على خبرة طويلة في إدارة المشاريع الصناعية، ولعلي أوفق في تقديم تفاصيله لكم ملخصة في هذه الورقة.

فنحن سنبحث معاً في الحلقة المفقودة في التصنيع الخليجي، وما سببها، وما علاقة ذلك بمشكلة تطوير التقنية الخليجية. ثم نحدد مكان الحلقة المفقودة في هذا التصنيع ونبين آثار إيجادها على إمكانية تطوير التقني، وعلى استكمال التصنيع الخليجي لأهم فعاليات التطويرية التي تصل به في النهاية إلى القدرة على التطوير الذاتي (Internalisation) في التصنيع. ونقدم ملخصاً كافياً لكيفية الحل، ونترك تفاصيله لمناسبة أخرى.

ما هو المعيار الذي نقيس به التصنيع الفعّال الذاتي التطوير؟

يمكن القول بأن التصنيع، في دولة ما، قد أصبح تصنيعاً فعالاً وذاتياً التطور (Internalised) عندما تكون هناك قدرة يمتلكها أبناء تلك الدولة ويستطيع أي منا أن يزأها بوضوح وينبهر بها... تلك القدرة التي تمكنهم من إدارة وتشغيل واختراع وصنع وإنتاج وتطوير منجزات الصناعة المتكاملة ومنتجاتها المختلفة سواء ما كان منها للاستهلاك أو من معدات الإنتاج لمختلف المنتجات كالسيارات وسفن التجارة وبوارج الحرب ومعدات الأبحاث العلمية والمعدات المخرزة للرخاء والمعدات التي تستخدم في حماية هذا

والعرب الى أين؟»

وفي هذا الاتجاه - كنت توصلت للبررات العلمية وواقعية كثيرة، الى اختيار صناعة النقل البحري الشاملة كصناعة رائدة يمكن تبنيها، في دول الخليج، لتحقيق هذا العرض ولتكون رأس الحربة في إقامة التصنيع الخليجي الفعال والذي سيصبح بواسطتها تصنيعاً ذاتياً في تطوره المستمر ونموه المتلاحق خلال عشرين عاماً من البدء في تنفيذ المشروع المتكامل الجيد الحيك والتنظيم والتنفيذ.

فإذا عدنا الى أهمية المعيار الذي نقيس به مدى التطور الصناعي في بلد ما نجد أنه يفيدنا ذين ليس أو موارية أو محاباة في تحديد الموقف الصناعي في أي بلد كان، ومنها دول الخليج، وبالتالي مدى امتلاكه لعصب القدرة الذاتية.

وإذا أضفنا الى ما للتوجه الطموح في تحقيق تكامل صناعي صحيح ومن آثار على ارتفاع معدل الدخل ومستوى المعيشة للمواطنين وعلى أوطانهم بشكل عام وما له من آثار على تكاثر المشاريع التابعة من قيام هذا التصنيع والتابعة له - فإنه لا يخفى الأثر الكبير لذلك كله على إفراز سليم ومتكامل لقوة اقتصادية وصناعية مستقبلية ومعنوية خليجية هائلة تقوم على عقول وسواعد وملكات أبنائنا الخليجيين وتليق بمكانتنا في هذا الكون المتصارع - كخير أمة أخرجت للناس - وتتناسب مع ما تستطيع موارنا المادية والبشرية الضخمة أن تحققه في هذا المضمار.

وفي نفس الوقت، فإن تطبيق المعيار هو نقلة نوعية هائلة للمفهوم الذي تقوم عليه المشاريع الصناعية العربية، بصفة عامة، القائمة في كافة البلاد العربية والتي هي - وبكل الأسف - الأساس الحالي الهش حقاً للاقتصاد العربي وتصنيعه القائم اللاهث دائماً وراء ما تفرزه الأمم الأقوى في المجال التقني والصناعي - وبالتالي للقدرة الذاتية العربية بصفة عامة - وواقع

للدكتوراه وأنه لا بد من السير فيها جميعاً وتطويرها في آن واحد - وفيما يلي أنقل تحديدا لهذه الاتجاهات الثلاث - كما وردت في الرسالة:

(١) إتجاه يتعلق بإقامة المشاريع التي تركز على استغلال ما نمتلكه من ثروات طبيعية - وقد قطعت دول الخليج في هذا الاتجاه شوطاً كبيراً يتمثل في بعض المشاريع البترولية والمعدنية - كما أنه اتجاه يجري العمل على تطويره باستمرار.

ومع أنه اتجاه ضروري - بل لا بد منه لدول كدول مجلس التعاون الخليجي، لكنه لا يؤدي الى امتلاك الخليجيين لتقنية صنع المعدات بشكل سريع وحاسم - كما يشته الواقع المشاهد.

(٢) إتجاه ثان يتعلق بإقامة المشاريع التي لها ضرورة قومية واقتصادية أو أمنية والتي لا يستطيع البلد أن يستغني عن منتجاتها في حالة الأزمات العالمية. وقد قطعنا فيه شوطاً كبيراً أيضاً يتمثل في المشاريع الزراعية والغذائية وبعض الأدوية وما في حكم ذلك. وهو أيضاً اتجاه ضروري ولكنه لا يؤدي الى امتلاك الخليجيين لتقنية صنع المعدات بشكل سريع وحاسم - كما يشته الواقع المشاهد.

(٣) إتجاه ثالث، وهو هنا نقطة التركيز - فهذا الاتجاه الصناعي لا يقام لضرورته فحسب، وإنما يقام ليكون، في نفس الوقت، رأس الحربة التي تستخدم في عملية اختراق الحاجز التكنولوجي الذي يفصلنا عن غيرنا من الأمم الصناعية، وذلك بسبب إمكانية قيامه بإيجاد وتدريب المهندسين والخبراء الخليجيين التقنيين، الذين بإيجادهم سنتمكن من إنتاج ما يلزمنا من المنجزات والمعدات الصناعية التي اشتمل عليه المعيار الذي سبق لنا ذكره.

وهو الاتجاه الذي ركزت عليه في أبحاثي ومقالاتي ومحاضراتي ومنها كتابي الذي صدر منذ أكثر من عشرين سنوات واسمه «العالم الى أين».

ونائج عملية هذا التضايف والتفاعل بين هاتين القاعدتين هو التصنيع الوطني الفعال الذاتي التطور بكل إنجازاته الصناعية وبكل القدرة والفعالية التقنية التي اشتمل عليها المعيار الذي سلف ذكره والتي نشاهدها في الدول الصناعية صغيرها وكبيرها .
ولابد من وجود كل من هاتين القاعدتين الاساسيتين المتضافرتين المتفاعلتين في أي بلد ليكون لدى ذلك البلد تصنيع فعال ذاتي التطور ينطبق عليه المعيار الذي أوردنا .

(٢) إن مشكلتنا في البلدان العربية عموماً، هي أنه بينما يتوفر لدى أكثرنا جانب مهم من مكونات القاعدة الأولى، كمصروح العلم وبعض مراكز البحث العلمي . . فجميعنا يفتقر بشدة الى أهم الأجزاء التي تتكون منها القاعدة الثانية ذات الأثر الفعال القادرة على تحويل الإنجاز العلمي النظري للقاعدة الأولى الى تقنية وإلى إنجاز صناعي . وذلك على الرغم من وجود الكثير من المشاريع الصناعية سواء في دول الخليج العربي أو في الكثير من البلدان العربية وخاصة الغنية منها .

والسبب في هذا التباين هو خصائص المشاريع التي تختلف عن بعضها . خصائص مشاريعنا الصناعية تختلف عن خصائص المشاريع الصناعية في الدول الصناعية المتقدمة .

والتأكد من ذلك جد بسيط . فما علينا إلا أن ندقق النظر في خصائص المشاريع الصناعية في أي بلد من البلدان الصناعية المتقدمة وأن نقارنها بخصائص المشاريع الصناعية سواء في دول مجلس التعاون الخليجي أو في أي بلد من البلدان العربية الأخرى .

فبينما نجد أن خصائص المشاريع الصناعية في دولة صناعية متقدمة تشتمل، بشكل عام، على أنشطة

أيه هي الحلقة المفقودة في التصنيع الخليجي؟

(١) إن التصنيع المتطور هو في الأساس، نظرية علمية، وتطبيق علمي وعملي النظرية والنظرية مكانها . في العادة - الجامعات ومراكز البحث العلمي - والتطبيق مكانه - في العادة - المصانع المختلفة الكاملة النمو التقني . . التي يستطيع أن يقوم المواطنون، بشكل عام، بكامل أنشطتها من إدارة وتشغيل وصيانة وصنع قطع الغيار وصنع المعدات والاختراع فيها والابتكار . والقدرة على تطبيق النظرية وتحويلها من إنجاز علمي نظري الى إنجاز مصنوع . . هو ما يمكن لنا أن نسميه بالقدرة التكنولوجية .

فالقوة التكنولوجية إذاً هي القدرة على تحويل النظرية المجردة من خرائط على الورق ورسومات الى منتج ملموس أو مترك معد للإستخدام أو الإستثمار . وعلى هذا الأساس . . فقيام التصنيع الذاتي الفعال المتطور في بلد ما يقتضي بالضرورة قيام قاعدتين اساسيتين متضافرتين متفاعلتين . . هما:

القاعدة الأولى:

الجامعات ومراكز البحث العلمي وما الى ذلك مما يمكن أن نسميه بوسائل نقل المعرفة التقليدية . وقد سميت بالتقليدية لأن جميع دول العالم، بما فيها الدول النامية، درجت على الاعتماد عليها، في المجال التقني، دون أن تأخذ في الاعتبار المساهمات التي تختلف في إعطائها لكل نوع من الدول في هذا المجال .

القاعدة الثانية:

المصانع متكاملة النمو التقني التي يمكن أن تطبق فيها المنجزات النظرية لوسائل العلم التقليدية وشبكات . . والتي يقوم المواطنون بكل أنشطتها من إدارة وتشغيل وصيانة وصنع قطع الغيار وصنع كامل المعدات والمحركات والأجهزة والاختراع فيها والابتكار

لتطويرها الى طاقات وقدرات تقنية قادرة على الصنع والإنتاج والابتكار في المعدات والمنجزات الصناعية والأنشطة التي أشتمل عليها المعيار سالف الذكر .

إن هذه المشاريع المتوفرة لدينا .. على الرغم من فوائدها الاقتصادية التتمية العظيمة التي حققتها وستحققها بإذن الله، لا تستطيع أن توفر المناخ التقني الناضج المتكامل الصحيح الذي يمكن طاقات هؤلاء العلماء كي تنمو فيه وتستثمر وتتحوّل من قدرات نظرية الى قدرات تقنية قادرة على الصنع والاختراع والابتكار في المعدات والأجهزة الصناعية .. في الوقت الذي توفر هذا المناخ بكل الكفاءة والكفاية القاعدة الثانية في الدول الصناعية لعلماؤها ومهندسيها وفنييها سواء الذين تفرّزهم القاعدة الأولى أو تفرّزهم هي .

وفيما سبق ذكره .. تكمن الحلقة المفقودة في التصنيع الخليجي .. التي سوف تعيق تطويره من تصنيع يستثمر المعدات المستوردة الى تصنيع ينتج ويصنع ويخترع ويبتكر ويطور في هذه المعدات .

ولعله من المفيد أن نذكر، ونحن لا زلنا في بداية المشوار الطويل البالغ الأهمية، الذي ينتظرنا، أن مشكلة كهذه كانت من أهم الأسباب التي أعاقبت بلداً عربياً أو أكثر من أن تكون له قاعدة صناعية كاملة النمو التقني ومن النوع الذي ينطبق عليه معيار التصنيع الذاتي الفعال الذي أوردنا .. وذلك على الرغم من أنه توفرت لديها الصروح العلمية الحديثة العظيمة الشامخة المكونة للقاعدة الأولى منذ أوائل القرن العشرين .

وهنا تأتي نقطة أخرى، مهمة أيضاً، فعلينا أن نذكر أن الواقع المأموس يثبت أنه حيثما تتوفر وتزدهر القاعدة الأولى دون أن تتوفر المكونات المهمة في القاعدة الثانية، في أي بلد نام سواء أكان عربياً أم غير عربي .. فإن ذلك البلد .. بعد أن يكفي حاجته من الخريجين والعلماء الذين تهيئهم القاعدة الأولى ليشغلوا

الإدارة والتشغيل، والصيانة وإجراء العمرات، وصنع قطع الغيار، والصنع الكامل للمعدات، والإختراع فيها والتطوير والابتكار . (وهذه هي المراحل الخمس التي تتكامل بتدورها توفرها القدرة التقنية لأي شعب من الشعوب .. وتوفرها هكذا يعني أن البلد الصناعي يستخدم ويستثمر ويستهلك معدات اخترعت وصنعت وطورت في ذات ذلك البلد الصناعي وأنه يملك القدرة على استثمار أي اختراع أو اكتشاف علمي سواء تم في ذلك البلد الصناعي نفسه أو أنه مما يمكن الحصول عليه من بلد غير صناعي نام أو أي بلد آخر)، فإن خصائص المشاريع الصناعية في البلدان العربية تقتصر، في الغالب، على إدارة وتشغيل المعدات المستوردة من الخارج .. أي أنه لا تتوفر فيها بقية الخصائص التي تتميز بها مجموعة المشاريع الصناعية في البلدان الصناعية المتقدمة . ولا يمكن إنكار الواقع المشاهد الذي يثبت ذلك .

(٣) وبما أن خصائص مشاريعنا الخليجية لا تختلف عن خصائص المشاريع الصناعية في بقية الدول العربية فإن افتقارها للخصائص الهامة التي تتميز بها المشاريع الصناعية في البلدان الصناعية سيؤدي، كما أدى في البلدان العربية الأخرى، الى قيام حاجز معيق يقف في وجه تطوير وتنمية قدرات العلماء النظريين الخليجيين الذين تفرّزهم القاعدة الأولى المتوفرة لدينا والتي بلغت مدى كبيراً من التقدم .

والسبب هو أن هؤلاء العلماء النظريين لا يمكنهم أن يصلوا في استثمار طاقاتهم النظرية وتطويرها الى نفس مدى التطور التقني الذي تصل اليه طاقات العلماء في الدول الصناعية وذلك لعجز القاعدة الثانية لدينا عن إيجاد المجال الفعال الكافي والمناخ التقني اللازم لاستغلال واستثمار هذه الطاقات والقدرات

تطوير القدرة التقنية تسير بمعدل معين في الدول الصناعية المتقدمة .. فليس من الممكن علميا وليس مما يمكن إثباته علميا أن تسير القدرة على تطوير التصنيع وتطوير القدرة التقنية في الدول الخليجية بمعدل أسرع أو حتى بمعدل مماثل.

ذلك أن تطوير التصنيع وتطوير القدرة التقنية لأبناء أي بلد، وكما ذكرنا من قبل، يعتمد على قاعدتين لابد من توافرها جنباً إلى جنب.

هاتان القاعدتان هما: قاعدة العلم النظري، وقاعدة تطبيقه الصحيح .. وأنه بينما تتوفر هاتان القاعدتان بكامل مكوناتهما وخصائصهما في البلد الصناعي فإن القاعدة الثانية لا تتوفر بنفس الدرجة والفعالية في دول الخليج.

ولابد من التنبيه إلى أنه ما لم نعمل على خلق وتوفير الحلقة المفقودة بإيجاد وتكوين وترسيخ القاعدة الثانية، وبالشكل الصحيح .. بحيث يمكنها أن توفر المناخ التقني الكامل الملزم الذي يمكن استثمار وتطوير قدرات وكفاءات العلماء الخليجيين، فإننا لن نتمكن من إقامة القاعدة الثانية بالخصائص والمكونات التي تجعل من الممكن لها أن تتماشى مع معيار التصنيع الفعال المتكامل.

كما أنه بغض ذلك .. فسيظل التصنيع الخليجي يدور ويدور في حلقة من الخواء التكنولوجي .. وسنظل نطور في قدراتنا التقنية ولكن لا نكتسب أية ندية نفد بها أمام الدول الصناعية بما تستطيع أن تصنع وتنتج وتبتكر وتجاوب به المستقبل من منتجات صناعية وتقنية .. بل نكون مستعملاً ومستثمراً من الدرجة الأولى لما تنتج تلك القواعد الصناعية في الدول الصناعية المتقدمة ومعتمداً على إنتاج هذه القواعد .. التي تتسارع في التجدد والتطور بشكل لا يعطي فرصة لمن لا يمتلك ناضية التقنية للحاق بها.

بكفاءة عظيمة مراكز هامة سواء في الإدارة والتعليم والتجارة والزراعة والطب والعمارة وما إلى ذلك من مهن وأنشطة هامة جداً .. هذا البلد يبدأ يعاني من هجرة أبرز الأنمغة العلمية الوطنية من أبنائه إلى الدول الصناعية المتقدمة حيث تجد في انتظارها المناخ التقني الكامل الملزم الذي تستطيع أن تستثمر وتطور فيه طاقاتها وقدراتها على الإبداع والتصنيع .. وقد تكون مضطرة إلى ذلك لأنها لو بقيت في أوطانها لتجمدت في مستوى نظري أو شبه نظري ولا تستطيع أن تتجاوز .. وهي أمور لا تتناسب، في العادة، مع طموح العلماء، وخاصة الأفاضل منهم .. على الرغم مما يصمم به البعض أحياناً بعدم الشعور بالمسؤولية وضعف الانتماء الوطني وما إلى ذلك.

إن هذه حقائق من واقع حال غيرنا ويجب ألا نقصر بأن العلماء الخليجيين سيهاجرون في المستقبل إذا اصطدموا بالحاجز المعيق لتطوير واستثمار قدراتهم .. ولكن ما هو مصير الزخم الهائل من الجامعيين الذين ستفرزهم، في المستقبل، الجامعات وما في حكم الجامعات؟ إن هذا سؤال مهم ويجب أن يدرس بعناية.

الملاحظة هذه الحلقة المفرغة .. أو حلقة الخواء التكنولوجي :

١ - لعل الإيجاز الذي سبق ذكره يثبت لنا أن الاقتصاد على الأساليب التقليدية في تطوير التصنيع الخليجي وتطوير قدراتنا التقنية لا يمكن له وحده أن يوصل التصنيع الخليجي والقدرة والتقنية الخليجية إلى المستوى الذي تتوفر فيه خصائص التصنيع الفعال المتكامل الذاتي التطور .. ومن مستوى المعيار الذي أوردناه سابقاً.

كما أن من الثابت أيضاً أنه إذا كانت القدرة على

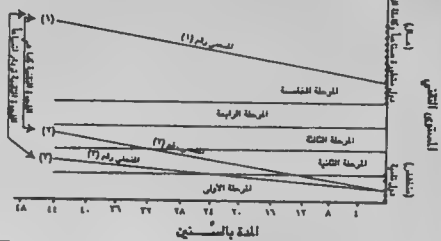
شرح منحنيات التوجة رقم (١)

(١) المعدل التقريبي للنمو التقني لدولة متطورة ومتقدمة صناعياً وتتراوح لديها القاعدتان.

(٢) أقصى معدل للنمو التقني يمكن أن تصل إليه دولة نامية لا تستخدم إلا الوسائل التقليدية لنقل المعرفة فقط. (وهذا المعدل غير حقيقي بسبب نقص القاعدة البحثية).

(٣) المعدل التقريبي (المستوقع أو الحقيقي) للنمو التقني لدولة نامية تستخدم الوسائل التقليدية لنقل المعرفة فقط.

اللوحة رقم (١) الدورة التقنية بين الدول الصناعية والدول النامية والمتقدمة التقني النمو التقني



واللوحة المرفقة رقم (١) ترىنا ذلك.

فالمحنى رقم (١) من اللوحة رقم (١) يمثل معدلاً مفترضاً للتطور التقني في الدول الصناعية من سنة (صفر) إلى سنة (٤٨) . ويلاحظ أن هذا المعدل يركز في مساره المساعد على القاعدتين المتضاهيتين اللتين مردنا بذكرهما والمتوفرتين في الدول الصناعية.

والمحنى رقم (٣) يمثل المعدل الأقرب إلى الصحة للتطور التقني في الدول الخليجية . . . وهو تطور تقني مساعد أيضاً . . . ولكنه أبطأ من معدل التطور التقني في الدول الصناعية المتقدمة . . . وهو بالضرورة كذلك لأنه في تطوره . . . يركز على قاعدة واحدة فقط . . . وهي القاعدة النظرية المتوفرة ولكن بمعزل عن القاعدة الثانية التي لا تتوفر إلا في البلدان الصناعية.

وعلى ذلك فإن التطور التقني في الدول الخليجية، لو استمر بهذا المعدل فإنه لن يتمكن من اللحاق بالتطور التقني في الدول الصناعية مهما طال الزمن . . . بل سيجد أن الفجوة التقنية التي كانت موجودة في بداية المدة بيننا وبين تلك البلدان الصناعية تزداد اتساعاً بعد أي سنة من السنين كما هو ظاهر من المنحنيين رقم (١) ورقم (٣).

كما أننا إذا أردنا أن نأخذ جانب التفاؤل، غير العلمي، وقلنا بأن نمونا التقني يسير بنفس المعدل

الذي يسير به في الدول الصناعية . . . وهو لا يمكن أن يكون أكثر من ذلك . . . وهو ما يمثله المنحنى رقم (٢) فإن هذا المنحنى يسير بشكل متوازن مع المنحنى رقم (١) . . . وبما أنه يسير بشكل متوازن معه فإنها إن يلتقيا . . . فعلى أحسن الفروض ستبقى الفجوة التقنية بيننا وبين الدول الصناعية كما هي طال الزمن أم قصر .

٢ - إن الخروج من الحلقة المفرغة وتطوير التصنيع الخليجي الى تصنيع فعال يقوم المواطنون الخليجيون فيه بكامل انشطته التي اوضحناها فيما سبق . . . يتطلب أن نتبنى أسلوباً غير تقليدي . . . وقد أثبت البحث العلمي جدواه في عملية امتلاك تقنية الصنع المتطورة امتلاكاً حاسماً وسريعاً وبناءً .

وهو الأسلوب الذي يمكننا من أن نسير بهجلاً امتلاك التقنية والتطوير في التصنيع بقدراً أعظم صعوداً مما رأينا في المنحنى رقم (٢) من اللوحة رقم (١) . . . ذلك لأنه يشمل المراحل الخمسة للتطور التقني، التي سبق الإشارة إليها، ويحققها مبدياً في مجال مركز خلال فترة زمنية محددة . . . هي عشرون عاماً .

وهو الأسلوب الذي، إذا قام على خلق مناخ تقني

فيها والابتكار... وهذا العلم بالكيفية تتمثل فيه الخصائص اللازم توفرها في التقنيين العلماء والمهندسين والفنيين القادرين على إقامة التصنيع الذاتي الفعال وتطويره، وهي الخصائص التي نفتقدها، بشكل نزيح، في العلماء والمهندسين والفنيين في أي دولة من دول مجلس التعاون الخليجي.

ومن يقول بخلاف ذلك فعليه أن يربط إنتاج الصناعة المتكاملة للتقنيين العرب، في أي بلد عربي، بشكل نقول بعده أنهم استطاعوا أن يضعوا بصمتهم العربية الخاصة على منتجات ذات أهمية حقيقية من قاعدة تقنية صناعية عربية ذاتية التكامل والتطور وبالشكل الذي أشرنا اليه سابقاً.

وأكثر الصناعات ملاسة لتحقيق الإتجاه الصناعي الثالث الذي أشرت اليه هو أحد ثلاثة اتجاهات صناعية ورد ذكرها أيضاً فيما سبق، هي صناعة النقل البحري الشاملة.

ويجب أن يكتمل شمول ونمو وتطوير تلك الصناعة البحرية الرائدة على مراحل خمس... خلال عشرين عاماً.

وتبدأ هذه المراحل بنواة تتكون من أسطول من الناقلات تتزايد أعدادها على مدى عشر سنين... وأكاديمية بحرية لها أغراض تزيد على أغراض الأكاديميات البحرية التقليدية، ثم تتطور هذه النواة إلى ورش وأحواض للصيانة وإجراء العمرات الأساسية وإنتاج المعدات والمحركات والأجهزة وتنتهي، وليس لتبدأ، بمرحلة بناء السفن بأكملها ومعداتنا وأجهزتها.

(٢) إن هذه الصناعة الشاملة - إذا خطط لها تخطيطاً دقيقاً وتقتل تنفيذاً محكماً - فإنه يمكنها أن توفر الحلقة المفقودة في التصنيع الخليجي.

وإنه يمكن إكمال إنشائها في بعض الدول الخليجية خلال فترة تتراوح بين خمسة عشر سنة وعشرين سنة من البدء بها، وبإكمالها ستساعدنا على التفرع والتشعب في بناء مختلف القواعد الصناعية

ملائم مركزاً سيحتضن العلماء النظريين ويمكنهم من تطوير قدراتهم النظرية إلى قدرات تقنية مستطورة توازي مثيلاتها التي يمتلكها العلماء والمهندسون والخبراء التقنيين في الدول الصناعية المتقدمة.

٣ - ولتحقيق ما ذكر أعلاه فلا بد من خطوتين أو قفزيين في عملية التطوير.

الخطوة الأولى.. يتم فيها تضيق الهوة أو الفجوة التقنية، وهذه خطوة تستغرق مدة عشرين عاماً على أكثر تقدير... ويتم فيها بناء قاعدة صناعية وطنية كاملة النمو التقني مركزاً في صناعة رائدة واحدة شاملة ومتكاملة في جميع أنشطتها.

الخطوة الثانية.. وفي هذه الخطوة الثانية تتضافر الخطوة الأولى ذات الصناعات الناضجة مع وسائل نقل المعرفة التقليدية، المتوفرة أصلاً بشكل متفوق في الدول الخليجية، على إنشاء العديد من القواعد الصناعية المتشعبة والكاملة النمو التقني بما يجعل من الممكن أن تسير بمعدل أكثر رسوخاً وأسرع نمواً وأعظم حسناً نحو غلق الهوة التقنية غلقاً تاماً في كثير من الصناعات الهامة وخلال مدة لا تزيد عن عشرة أعوام أخرى.

الصناعة الرائدة وإيجاد الحلقة المفقودة :

(١) إن الأسلوب غير التقليدي، وهو الاتجاه الصناعي الثالث، الذي أشرنا إليه سابقاً، يتطلب منا إقامة صناعة رائدة تسمح لنا بأن نجتمع فيها الوسييلتين اللازميتين لامتلاك التقنية... وسيلة نقل العلم النظري ووسيلة تطبيقه، وأن يكون ذلك بشكل يحقق بينهما التفاعل والتضافر المستمرين بحيث نخلق مناخاً تقنياً مماثلاً لما هو موجود في الدول الصناعية... إلا أنه سيكون في بدايته مناخاً تقنياً محدداً ومركزاً... ولكنه يمكننا ليس من تجزيع العالم الخليجي النظري بل العالم الخليجي التقني الذي لا يعلم فقط م صنع المعدات وإنما يصنع... وإنما يعلم أيضاً كيف تصنع، ويستطيع الإشراف على صنعها وتطويرها والاختراع

٦- في حالة الدول الخليجية فإن صناعة النقل البحري الشاملة هي اقدر صناعة على القيام بهذا الدور، ويمكن شرح الكيفية التي تقوم بها صناعة النقل البحري الشاملة لتحقيق هذا الدور.

٧- إنه على الرغم من ضخامة تكاليف إقامتها فإنها تتميز من وسائل نقل المعرفة التقليدية في أنها تستطيع أن تغطي جل هذه التكاليف وقد تستطيع أن تزيد عليها حسب أوضاع السوق. . . وذلك بالإضافة الى المردودين التقني والتصنيعي اللذين تحققهما واللذين لا يقدران بأي ثمن بالنسبة لأي دولة من الدول.

٨- إن إقامة هذه الصناعة في الدول الخليجية لا تعرضها للكساد. . . أكرر. . . لا تعرضها للكساد، كما قد يحدث، في بعض السنين، في بعض الدول التي تقوم فيها هذه الصناعة. . . وذلك لأنها ستكون صناعة متكاملة يلي كل فرع فيها متطلبات الفرع الآخر. . . وكمية هذه المتطلبات هي، بالقدر الإقتصادي الذي يبرز قيام كل فرع فيها. . . شريطة أن تؤمن لأسطولها قدرًا كافيا من المواد الخام لينقلها.

ومن تكرار القول أن نذكر بأن إحدى الركائز الأولى في نجاحها هي توفير حمولة السفن التي تشتمل عليها بشكل يضمن تشغيلها على مدار السنة. . . وهذه الحمولة هي مقدار لا يتجاوز مائة وخمسين ألف برميل من البترول أو المشتقات يوميا على مدار السنة الأولى، ثم يزداد هذا المقدار سنويا الى أن يصل بعد عشر سنين الى حد أعلاه مليون وخمسمائة ألف برميل يوميا على مدار السنة. . . هذا هو المطلوب الرئيس المهم في هذه الصناعة البحرية الشاملة المتكاملة، فإذا أمكن تأمينه فإنها ستحقق أغراضها وإن بقية مراحلها ستتم وتنجح.

(٥) هذه الدراسة هي نص المحاضرة التي ألقاها الدكتور بها بن حسين عزي في الرواق الثقافي لمؤتمره بنت حسين في دبي - الإمارات العربية المتحدة -

٩- إن التصنيع الذاتي المتطور الفعال في الدول الصناعية المتقدمة يقوم على قاعدتين أساسيتين. . . القاعدة الأولى هي الجامعات ومراكز البحث العلمي وما الى ذلك مما يمكن تسميته بوسائل نقل المعرفة التقليدية، والقاعدة الثانية هي المصانع كاملة النمو التقني التي يقوم بكل أنشطتها المواطنون والتي تطبق فيها المنجزات النظرية لوسائل نقل المعرفة التقليدية وتدخل الى منجزات مصنوعة. . . لأنها توفر المناخ التقني الكامل الناضج والصحيح.

٣- إنه تتوافر في الدول الخليجية أهم مكونات ومقومات القاعدة الأولى وبشكل جيد ومتميز في كثير من الأوجه. . . ولا تتوافر القاعدة الثانية، وهناك حلقة مفقودة في هيكل التصنيع الخليجي لا بد من توفيرها لتكتمل حلقات هذه القاعدة الثانية ويصبح في امكانها توفير المناخ التقني وبالتالي زيادة السرعة في مجدل التطوير التقني ونموه.

٤- إن الاقتصاد على استعمال الأساليب التقليدية، وحدها، التي تنبأها في الدول الخليجية. . . كما هو الحال في الوقت الراهن - لا يكفي لامتلاك التقنية امتلاكاً حاسماً وسريعاً ولا لإقامة التصنيع الذاتي المتطور الفعال وبالتالي فلا يمكن اللحاق في هذا المجال بالدول الصناعية المتقدمة تقنيا والفجوة التقنية ستزداد اتساعاً مع مرور الوقت.

٥- إنه إذا أردنا امتلاك التقنية وإقامة التصنيع الخليجي الذاتي المتطور الفعال فلابد من اللجوء الى أسلوب غير تقليدي لامتلاك تقنية الصنع بشكل حاسم وسريع وبناء. . . ويتمثل هذا الأسلوب غير التقليدي، (بالإضافة الى صناعات الإتجاهين الأول والثاني اللذين ورد ذكرهما أعلاه)، في التركيز على صناعة رائدة (أو أكثر إن أمكن) شريطة أن تسمح هذه الصناعة بجمع وسيلة نقل العلم ووسيلة التطبيق وإقامة المناخ التقني الذي يتمكن فيه النظريون من تطوير وتحويل قدراتهم النظرية على الفور الى قدرات تقنية، وبشكل أكثر سهولة من غيرها.

الفرق بين الكمال والتمام

يريدون اجتماع علوم الضروريات، ولا يقال تمام علوم؛ لأن التمام اسم للجزء الذي يتم به الموصوف.

يقال: هذا تمام حقه، للبعض الذي يتم به الحق، ولا يقال هذا كمال حقه [٤] قلت: معنى هذا: أنه لو كان لرجل على آخر ألف دينار، فأعطاه تسعمائة، ثم جاءه بعد مدة مائة دينار، فيقال حينئذ هذا تمام حقه، لأن حقه ألف، أخذ بعضه ثم أخذ البعض الباقي الذي يتم له حقه، ولا يقال عن المائة الأخيرة التي سلمها للدائن: هذا كمال حقه، لأن كمال حقه ألف دينار، لا مائة دينار، لكن لو جاءه بالألف مرة واحدة، جاز له أن يقول: هذا كمال حقه.

وقد اجتمع الأمران: الكمال والتمام في قوله جل جلاله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) [٥]، فالدين المراد به القرآن هنا، جاء كاملاً من الله تعالى لأنه أنزل مرتين: المرة الأولى نزل دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مرة أخرى من السماء الدنيا إلى الأرض منجماً مقسماً في ثلاث وعشرين سنة [٦].

قال الله جل جلاله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) [٧]، فيها نزل القرآن كله مرة واحدة، وكذا قوله جل جلاله (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) [٨]، كل هذا الإنزال كان من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل منها مقسماً منجماً، ففهمنا من هذا أن الكمال يكون إذا الشيء كله جاء مرة واحدة.

وأما قوله جل جلاله (وأتممت عليكم نعمتي) فهذا على القاعدة: وهي أن التمام يكون بعجي النعمة شيئاً قشياً، لأن الإنسان يريظ بطعام الغذاء الآن، ثم يريظ طعام العشاء بعد مدة، ثم نعمة النوم، ونعمة الزوجة

يعجب الإنسان: حينما يقرأ كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كيف أن كل كلمة في مكانها وكل عبارة في محلها، بحيث لا يمكن أن تقوم كلمة مقام أخرى، ولا عبارة مقام صاحبها، (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) [٩] ولذلك لو قرأ الإمام في المسجد، فبدل كلمة بأخرى، لما سكت عنه المصلون، ولفتحوا عليه: أي صححو له خطاه، فلو قرأ بدل (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) [١٠] ألم تنظر كيف فعل ربك بأهل الفيل، لما سكت عنه المصلون، وإن كانت كلمة نظر بمعنى رأى، وكلمة اصحاب بمعنى كلمة أهل، لكن لكل واحدة منها موقعها في الكلام، لا يقوم بعضها مقام بعض، وكذلك لو قرأ الإمام، وأكملوا الحج والعمرة لله، بدل (وأتموا الحج والعمرة لله) [١١] لرد عليه المصلون ولم يسكتوا، لأن هناك فرقاً بين الكمال والتمام، ومن هنا لابد لمن يريد أن يفسر القرآن الكريم أن يكون على دراية بالفرق اللغوية، وإلا وقع في الخطأ، فما بين الفرق بين الكمال والتمام؟ الفرق بينهما: أن الكمال يقال للشيء الذي جاءت جميع أجزائه جملة واحدة، أما التمام فيقال للشيء إذا جاءت أجزاؤه متتالية: بعضها يعقب بعضاً، فإذا قلت لإنسان: هل عندك مائة دينار؟ فقال: نعم، وأخرج المائة دينار، فنقول: فلان عنده كمال المائة دينار، وإذا قلنا لإنسان: هل عندك مائة دينار؟ فقال: عيني تسعون وأخذ من فلان عشرة، فنقول: فلان عنده تمام المائة: لأن ما عنده ينقص عن المائة، لكن سيأتي بما يتممها، قال أبو هلال العسكري: الكمال: اسم لاجتماع أيعاض الموصوف، ولهذا قال المتكلمون (العقل كمال علوم الضروريات يميز بها القبيح من الحسن)

حجج] ومن الواضح أيضا قوله جل جلاله: [وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة] [١٥]، فهنا قال الله جل جلاله: فتم ميقات ربه أربعين ليلة، ولم يقل فكمّل ميقات: لأن الأمر كان من البداية ثلاثين، كما نصت الآية الكريمة، ثم زاد الله جل جلاله عليها العشرة تنمة، فتمت أربعين ليلة. ورغم أن الكلام واضح في مثل هذه الأمور، إلا أنني لم أجد من ذكر الفرق بين الكمال والتمام من المفسرين الذين اطلعت على كتبهم [١٦].

الهوامش:

- (١) النساء/ ٨٢.
- (٢) أول سورة الفيل.
- (٣) البقرة/ ١٩٦.
- (٤) الفرقان البقرة/ ١٩٦.
- وانظر التعريفات للجرجاني ص ١٨٧، والمصباح المنير للفيومي ٨٥/١ - ٢٠٢/٢ - ٢٠٣ لم يفرق بين الكلمتين.
- (٥) المائدة/ ٣.
- (٦) تفسير ابن كثير ٥٢٩/٤.
- (٧) أول سورة القدر.
- (٨) النحل/ ٣.
- (٩) البقرة/ ٢٣٣.
- (١٠) البقرة/ ١٨٥.
- (١١) البقرة/ ١٩٦.
- (١٢) المغني لابن قدامة ٣٥٠/٥ - ٣٥١.
- (١٣) النحل/ ٢٥.
- (١٤) القصص/ ٢٧.
- (١٥) الأعراف/ ١٤٢.
- (١٦) تفسير ابن كثير، تفسير البغوي، تفسير الزبي، وكلها عند قوله تعالى [اليوم أكملت لكم دينكم] الآية.

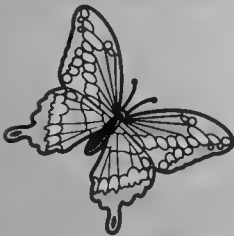
والأولاد، وهكذا تتوالى النعم على الإنسان الى أن يموت، وأجل هذه النعم التوفيق لطاعة الله جل جلاله، وكذلك اجتمعت الكلمتان في قوله جل جلاله [والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة] [٩]، فالحولان يكونان كاملين بمجرد الأمر، وهو كلام، كما في نزول القرآن الكريم، وكما في قوله جل جلاله: [فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة] [١٠]، فأيام الصوم تتم يوما بعد يوم، ولا يقال تكمل وإنما هي تتم، ولكن لما كان المأمور به في أول الآية هو صوم الشهر، قال ولتكملوا يعني الشهر المأمور به، ومثل ذلك قوله جل جلاله [تلك عشرة كاملة] [١١] فالعشرة هي: ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع الحاج الى أهله [١٢] لكن لما كان الأمر بها مرة واحدة، حسن أن يقال عنها عشرة كاملة، والأوزار التي يعملها الإنسان في حياته، تستغرق كل عمره، لكنه يوم القيامة يتنّى ويحملها مرة واحدة، فقال الله جل جلاله: [ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة] [١٣]، فعرّفنا أن الحولين كاملين لأن الأمر جاء بهما دفعة واحدة، لكن لما جاء الى الرضاعة، قال [لمن أراد أن يتم الرضاعة] فالرضاعة لا تتأني في أن واحد، ولكنها رضعة بعد رضعة على مدى سنتين أو حسب الحاجة، فحسن أن يقول: [تتم الرضاعة]، ولنمثل للتمام وننقل على أنه لا يكون إلا شيئا بعد شيء، وذلك كقول شعيب لموسى عليهما السلام [إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانين حجج فإن أتممت عشرا فمن غنك] [١٤]، فهنا الأمر واضح جدا: حيث بين أن السنتين هما تمام العشرة وهما فضل من موسى علي نبينا وعليه الصلاة والسلام، لأن الاتفاق كان على ثمانين سنين فقط [على أن تأجرني ثمانين

أغذية للقلب

كسيف لي يا قلب أن	حينما تزحمُ الآمالُ
أحيا وأحلامي كسيره	فالنفسُ أميره
كيف للآمال تنمُو	وفؤادُ الحبِّ يزهُو
بين أهاتٍ مـريره	ضاحكاً يَبدِي سُروِره
أيُّ حُلمٍ يتسـامى	إن سـرَّ النفسِ لُفـزُ
والأسى يمحو سَطوره	فهي للهو مُثيرة
أيُّها القلبُ حنانيك	وهي إن شئت ملاكاً
جراحاتي كثيرة	يلعنُ المرءُ شـُـروره
بعثرتني الـاهُ والالـامُ	حلقتُ في الأفقِ نهـراً
والروحُ الكبـيرة	خالداً يئنسُ عَطوره
فلماذا تغبُّ الأحزانُ	تغزفُ اللحنَ ابتهاجاً
في نفسي الأسيره	ثم تهفو للمـسيره
أيُّها القلبُ تراجـع	يَـجـلِي الحُبُّ جـُـراً
فلما نيك عـسيره	سـاطعاً يُرسلُ نُوره

جونه

والإسلام



لله

وإلهنا
ذات الأسماء
والمعاني
والمعاني

الله



جوته والإسلام

محمد» تضمنت ثناء ومديحاً عظيمين لم يسبق لأي شاعر ألماني في أي عصر من العصور أن قدمها للنبي (صلى الله عليه وسلم). وقد عبرت عن مدى الولاء الذي يكنه الشاعر لشخصية النبي (صلى الله عليه وسلم). كما قام بعدد من الرحلات إلى إيطاليا وسويسرا ورحلات متفرقة في ألمانيا.

وفي الثلث الأول من القرن التاسع عشر شهدت حياته تحولات كبيرة على المستوى الاجتماعي وحركات أدبية وفنية وفكرية ناشطة على المستوى الإبداعي. فقد عرف الكلاسيكية والرومانسية وتابع الحركة الواقعية واستفاد منها جميعاً، حتى يمكن القول إنه وسم العصر بحضوره، إذ لا يمكن حصره بكونه شاعراً وكاتباً فحسب لأنه كان شديد الولع بجميع جوانب المعرفة واسع الأفق، درس عدداً من اللغات القديمة والحديثة، منها العبرية التي بدأ بتعلمها وهو في الثانية عشرة من عمره والعربية التي حاول أن يتعلمها. بالإضافة إلى بعض اللغات الأوروبية. كما تابع ثقافات بلدان العالم مؤمناً بأن الأدب العالمي نهر كبير تصب فيه روافد من كل صوب، لأن الآداب العالمية تصور العوامل الإنسانية المشتركة بين الأمم والشعوب سواء أكانت طبيعية أم مكتسبة، كما تهتم بالعلاقات الإنسانية المشتركة في مجالات المعرفة المختلفة كالفلسفة والتاريخ والعلوم

كم أعضاء القرآن من قلوب مظلمة. وكم هدى من إناس كانوا يتخبطون كالحيارى في الطريق بلا مرشد أو دليل، ولا يزال القرآن يعمل في النفوس فيأسر الأبواب ويأخذ بمجامع القلوب على مر الأزمان والدهور، فيجعل المرء يخبت صاغراً لله الذي أبدع هذه الكلمات المعجزة وألقى بها على قلب مصطفاه (صلى الله عليه وسلم) لتسعد بها البشرية وتنال بها كل خير ومقصود. ومن هذه القلوب التي أراد لها الله أن تقف على جلال القرآن وكماله شاعر الألمان الأكبر جوته الذي اتصل بعالم الشرق والإسلام اتصالاً روحياً قوياً.

ولد يوهان فولفغانغ جوته عام ١٧٤٩ في فرانكفورت وكان والده جامعياً مثقفاً محباً للعلم والفنون متمسكاً بالقيم والأخلاق، أما والدته فيقال إنه أخذ عنها رجابة الخيال الإبداعي. وقد لفت انتباه أهله ورفاقه ومعلميه في طفولته بذكائه وقدرته الفريدة على الاستيعاب حفظاً وإدراكاً، ولموهبته المبكرة في الشعر والنثر وسائر الفنون. وحين بلغ الخامسة والعشرين من عمره كتب روايته الشهيرة «ألام فرتر» وبالث شهرة عالمية جعلته في صدارة الأعلام. ثم تتابعت مؤلفاته فكتب «فاوست» ومسرحية «ستيلا» وسيرته «من حياتي: شعر وحقيقة» كما نظم قصيدة مديح سماها «نشيد



ابتغال محمد البار - حدة

التقييم للمعلقات يعرب عن أمله في أن يكون بهذه الكلمات قد أثار لدى قرائه الرغبة في قراءة هذه القصائد.

أما عن سبب اهتمامه بالثقافة العربية فقد كان لفيلسوف التاريخ هربر أثر كبير في ذلك، فهو الذي وجهه لدراسة القرآن الكريم كما يعود إليه الفضل في توجيه أنظاره صوب الشعر العربي. وقد كتب هربر عن العرب قائلا: «ألا ما أروع أشعار العرب إنها حقاً مرآة لطريقتهم في التفكير وفي الحياة، انهم يتفلسفون الحرية والإباء، وتملأ صدورهم روح المغامرة والشرف والطموح، والفروسية والشجاعة التي طالما استفزها الأخذ بالثأر من الأعداء، وفاء منهم للأصدقاء وحفاظاً على عهد الطلقاء». ويواصل إشارات بالعرب ويسبغ عليهم أنفاس الإطراء فيقول: «ولا يوجد شعب شجع الشعر وارتقى به إلى تلك المنزلة التي ارتقى إليها العرب في عصورهم الزاهية».

ومن المواقف الغريبة التي صنعتها إرادة الله لتكون سبباً في إقباله على الشرق، أن تاجرًا كان يعاني من مشاكل مادية اتصل به راجياً منه التوسط لدى مكتبة بوقية فايمار لكي تشتري منه مجموعة كبيرة من المخطوطات الشرقية، ولم ينتظر جوابه طويلاً إذ سرعان ما طلب منه إحضارها. وتبين عند فحصها أنها تحتوي على عدد من المصاحف مع

الاجتماعية والنفسية وغير ذلك. وتكمن أهمية الأدب العالمي في اخراج الآداب من مخيلتها ومساعدتها علي التحرر من القيود القومية التي توضع حول الأدب ومن ثم يوسع دائرة التعارف الإنساني كما يقوي روح التقارب بين البشرية مما يؤدي إلى تفاهم أفضل. لذا لم ينحصر اهتمامه بالغرب بل طالع مختارات مترجمة من الأدب العربي والفارسي وقرأ الترجمتين الألمانية واللاتينية لمعاني القرآن الكريم وصبرها جميعاً في قلمه وآلف بين الشرق والغرب في ديوانه «الديوان الشرقي الغربي» ١٩١٨، كما قام بترجمة بعض المعلقة وكتب عنها يقول: «وعند العرب الذين يسكنون في بقعة أقرب إلى الشرق نجد كنوزاً رائعة في المعلقة، وهي قصائد... نظمت في العصر السابق على مجيء محمد (صلى الله عليه وسلم) وكتبت بحروف من ذهب وعلقت على أبواب بيت الله في مكة، وتعطي فكرة عن شعب بدوي محارب يمتن الرعي، تمزقه من الداخل المنازعات بين القبائل... وتعبّر عن... الشعور بالشرف والرغبة العارمة في الثأر مع حزن في العشق وكرم وإخلاص... وهذه القصائد تزودنا بفكرة واقعية عن علو الثقافة التي تميزت بها قبيلة قريش، التي منها محمد (صلى الله عليه وسلم) ولكنه أضفى عليها غلالة جادة من الدين، وعرف كيف ينتزع منها كل مطعم في تقدم مادي خالص...» وفي ختام هذا

عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فلم يكن من قبيل المصادفة أن يدون ترجمة لهذه الآية التي تؤكد أن التقوى والإيمان الحق لا يظهر من خلال الاعتقاد فحسب، بل لابد أن يثبت وجوده عن طريق أعمال البر والإحسان للأخريين. ومن المواضيع التي استرعت انتباهه موضوع تبليغ الرسالة الإلهية عن طريق العديد من الرسل إلى مختلف الأمم، إذ لم يكن مستعداً لأن يعترف بالمسيح عليه السلام فقط، وكان كثير الجدل والنقاش مع أصدقائه حول هذا الموضوع. ومن ذلك أيضاً ما رآه في هذا الدين من فكرة التسليم إذ يقول: «إن التفويض والتسليم هما القاعدتان الحقيقتان لكل دين، وكذا الخضوع لإرادة عليا تسيطر على مجرى الأمور، ولا نستطيع إدراكها». كما أعجبه ما رآه في هذا الدين من جانب إيجابي يميل إلى تأكيد الفعل وتأكيد الحياة عن طريق الفعل ورفض الانهزامية والسلبية.

ولهذا نراه في كتاب «الخلد» من «الديوان الشرقي» لا يعنيه من بين الذين دخلوا الجنة من المسلمين غير الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، ويفصل القول في وصف جنة الشهداء وصفا دقيقا كالوصف الذي ورد في سورتي (الرحمن) و(الواقعة) على وجه التخصيص، وقد كان اهتمامه بالإسلام في بادئ الأمر جزءاً من تطلع الشباب المثقف لاتخاذ مواقف تشتمل بسعة الأفق وعدم التخيز وتنطوي على تسامح ديني. وانطلاقاً من هذه المواقف أخذ يعارض وجهة النظر المسيحية المتشددة التي لم يكن لديها الاستعداد للاعتراف إلا بدين واحد. أما عن دراسته العميقة للقرآن الكريم فقد كانت نابعة من

شروح وتفسير بالإضافة إلى مخطوطات نفيسة اشتملت على ألوان من الأدب العربي والفارسي والتركي وبحوث ودراسات وشروح في النحو وما شابه ذلك، ولما كان جوده يتولى الإشراف على مكتبة الدوقية، فقد كان اقتناء مثل هذه الكتب يتوقف إلى حد كبير على قراره. وبالفعل أوصى باقتنائها. وكانت حصيلة هذه المواقف أن توجه صوب الشرق وقام بدراسات واسعة فطالع كتباً في السيرة النبوية وأطلع على ديوان الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي وتأثر به كثيراً، واستلهم منه بعض القصائد. وقرأ مختارات أدبية مترجمة وكتباً في النحو، وتشهد مذكراته اليومية على مساعيه المتكررة لتعلم قواعد اللغة العربية. ويعد هذه المطالعات الواسعة كونه رآه في الأمة العربية إذ يقول: «هؤلاء الشعراء تحضرهم كل الأشياء ويربطون بسهولة بين أشد الأشياء بعداً وتبايناً، ولهذا فإنهم يقتربون مما نسميه بالنكاء أو الروح أو الدعابة». ومع ذلك فإن هذه المزايا ليست مقصورة على الشعراء وحدهم، فالأمة كلها تتميز بالفطنة والدعابة، كما يستنتج من الحكايات والنوادر التي لا حصر لها.

هذا عن إعجابه واهتمامه بالأمة الشرقية أما عن اهتمامه بالإسلام، فلعل السبب في إعجابه الشديد به هو تطابق بعض أفكاره الرئيسية مع معتقداته الشخصية مما أيقظ في نفسه التعاطف العميق معه. فقد دون عدداً من الآيات تكشف عن جوانب من العقيدة الإسلامية كان مهتماً بها كقوله تعالى: (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره



وإذا كان الإسلام معناه أن لله التسليم
فعلى الإسلام، تحيا ونموت نحن أجمعين»
ويقول :

«إذا امتحك القدر، فهو يعلم جيدا لماذا
إنه يريد منك القناعة. فاطمئنا دونما اعتراض»

ويعد هذه المحاولات الجهدية لوصل الشرق
بالغرب حاول جوته أن يتعرف على تأثير الفكر
العربي في وجدان الجمهور الغربي، فاعتنم كل
فرصة أتاحتها له رحلاته للتحدث مع بعض الأصدقاء
والطعام عن المؤلفات الشرقية وإلقاء نصوص شعرية
مترجمة عن العربية والفارسية، كما قرأ على عدد
كبير من السيدات المثقفات ترجمة لبعض سور
القرآن، وكان منهن أرملة الشاعر «شار».

ونختم هذا المقال بقصيدة «طابت ليلتكم» التي
يودع فيها الشاعر الألماني قومه ومعاصريه، ويعلن
فيها عن اعتزاله للحياة الأرضية، وتعبير الأبيات عن
الصورة التي يود أن تتذكره بها الأجيال المقبلة:

«نامي الآن، أيتها القوائد العزيزة

على صدر شعبي

وليتشر جبريل بفضلته

سحابة مسك

فوق الجسد المكود

حتى يمضي الشاعر، وهو معافي

فيشق الصخر

ويجوب سعيدها

مع أبطال كل العصور

جنات الخلد الواسعة»

ظمئه الشديد للتعرف على الدين الصحيح، إذ تشهد
سيرة حياته على أنه منذ صباه كان يفتش عن ديانة
تناسبه. ولا ريب في أن أحد الأسباب الأساسية
لإكبار جوته للقرآن، كان يكمن في إحساسه بقيمته
اللغوية المتميزة، ويعبر عن رأيه في أسلوب القرآن
بقوله: «إن أسلوب القرآن... محكم، سام، مثير
للدهشة».

ومن العجيب أنه يصف القرآن بهذا الإطراء
وهو لم يقرأه إلا بالألمانية واللاتينية؟ فماذا كان
سيقول لو قرأه بالعربية.

وأخيرا نسوق نماذج من أعماله التي استلهم
فيها بعض المعاني الإسلامية:

يقول في قصيدة (هجرة) التي أشار من خلالها
إلى رغبته في أن يهاجر كما هاجر محمد (صلى الله
عليه وسلم) من مكة إلى المدينة، ففي المقطع الأول
من القصيدة يهاجر الشاعر إلى الشرق الصافي
وتعني هذه الهجرة الروحية إلى أماكن بعيدة مرحلة
جديدة في حياة الشاعر:

«إلى هناك حيث الطهر والحق والصفاء

أود أن أقود الأجناس البشرية

وانفذ بها في أعماق الأصل السحيق

حين كانت تتلقى من لدن الرب

وحي السماء بلفة الأرض»

وفي كتاب «الحكم» من ديوانه يربط بين موضوع
التسليم بمشيئة الله والتسامح فيقول:

من حماقة الإنسان في دنياه

أن يتعصب كل منا لما يراه

حمى النيل الغربي والإيبولا

وتقسم الأمراض التي تسببها عائلة الأربوفيروس
الى:

- ١ - التهاب السحايا/ التهاب المخ.
- ٢ - الحمى النزفية.
- ٣ - التهاب وتورم المفاصل.
- ٤ - أنواع مرضية أخرى غير مصنفة.
- ٥ - إصابة غير ظاهرة (بدون أعراض) asymptomatic.

الصفى الوبائي للفيروس :

يتواجد فيروس حمى النيل الغربي في أفريقيا، الشرق الأوسط، أوروبا، الاتحاد السوفيتي السابق، الهند، إندونيسيا، وتكون الحمى بسيطة عادة في المناطق التي يتوطن فيها الفيروس endemic الى الدرجة التي تجعله كأي رشع وأنفلونزا عادية لا تلفت النظر وبذلك يكتسب الناس مناعة تعمل كحاجز ضد حدوث وباء على نطاق واسع epidemic.

فعلى سبيل المثال نجد أن ١٪ من الأطفال (في سن المدرسة) في دلتا وادي النيل في مصر تحوي دمائهم على مضادات ضد المرض، هذه النسبة تزيد لتصل الى ٤٠٪ في البالغين. وزيمبا كان تصريف هذا الفيروس مشابهاً لتصريف جرثومة السل - tuberculosis التي تصيب الكثير من الناس دون التسبب بآفة أعراض مرضية، وتبقى هذه الجرثومة خاملة بشكل كامن في الجسم لحين يتم تنشيطها وذلك عند حدوث انحداد وتدن في مناعة الجسم لأي

تصنف حمى النيل الغربي الفيروسيّة وفقاً لانتمائها الى عائلة ما كان يسمى سابقاً بالأربوفيروس Arbovirus والتي تم إعادة تصنيفها اعتماداً على الشكل، التكوين، والوظيفة؛ حيث تم ضمها الى المجموعات الفيروسيّة الأخرى أحادية الحامض الريبي كالتوكا، والفلافي، والبونيا، والريو، وغيرها .

والأربوفيروس اختصاراً لـ/ الفيروسات المنتقلة عبر الحشرات المفصليّة كالبعوض والقراد والعناكب. وتضم هذه المجموعة أكثر من ٢٥٠ فيروساً؛ ٨٠ نوعاً منها يصيب الإنسان. أما الطيور فهي المصدر الذي يقوم البعوض بالنقل منه الى الخيل إضافة الى الحيوانات المنزلية الأخرى والإنسان الذي يعتبر نهاية حلقة العدوى أي انه غير مناسب لتكاثر الفيروس وانتقاله الى حيوانات أو حشرات أخرى وهذا ينطبق على معظم أفراد هذا الصنف الفيروسي باستثناء القليل التي يعتبر فيها الإنسان جزءاً من حلقة العدوى والوصل المرضي كالأيبولا. وهناك أنواع متعددة من فيروس حمى النيل الغربي؛ فهناك نوع من أفريقيا، أوروبا، الاتحاد السوفيتي السابق، الشرق الأوسط، الهند وإندونيسيا.

يفقد فيروس حمى النيل الغربي الى مجموعة فيروسات الحمى الدموية hemorrhagic fever التي يتسبب بعض منها بنسبة وفاة عالية جدا تصل الى ٩٠٪.



بقلم: د. فرح فلاح الخواجة - الأردن

كما أن ٥٠٪ من الحالات يصاحبها طفح جلدي يظهر عادة في المرحلة النهائية للمرض ويكون هذا الطفح في العادة غير مسبب لحكة أو ألم ويصيب منطقة الصدر والظهر واليدين ويستمر حوالي ٧ أيام ويتلاشى بدون تقشر. إضافة إلى تضخم في غدد الجسم اللمفاوية والتهاب العضل والعصب العيني ومخارج الأعصاب في النخاع الشوكي. وتحدث التهابات السحايا والأعصاب في كبار السن عادة أو الأشخاص الذين يعانون من مشاكل في الجهاز المناعي.

كما أن البعض قد يصاب بالتهاب في العضلة القلبية والبكرياس والتهاب الكبد الذي قد يكون شديداً جداً ومميتاً.

التشخيص:

١ - تناقص الكريات البيضاء في الدم - leucopenia.

٢ - زيادة في نسبة الكريات البيضاء والبروتينات في السائل الشوكي.

٣ - والأهم من هذا هو تواجد حالات أخرى وحصول المرض بصورة وبائية في المنطقة المعنية وذلك لأن الكثير من الأمراض والجراثيم تسبب أمراضاً ذات أعراض سريرية ونتائج مخبرية مشابهة لما يحدث في حمى النيل الغربي. لذا وجب التفكير بالفيروس كسبب للمرض في أي شخص سبق وإن تواجد في المناطق الموبوءة.

٤ - يمكن عزل فيروس حمى النيل الغربي من الدم في المراحل الأولية للمرض وذلك باستعمال

سبب كان مما يوفر بيئة مناسبة لتكاثر الجرثومة. وهذا بالضبط ما يحدث في حمى النيل الغربي. ولو رجعنا قليلاً بالزمن لوجدنا أن عام ١٩٧٤ كان مثلاً لموجة وبائية من حمى النيل الغربي في جنوب أفريقيا حيث تقضى المرض وأصاب ٥٥٪ من الناس. وقد كانت معظم الحالات بسيطة ومسيطراً عليها self limited.

أما حالات الإصابة الدماغية التي كانت نتيجتها وفاة المريض فقد دونت من الهند، فرنسا، مصر. وقد حصلت حالات متفرقة sporadic لالتهاب الكبد الشديد نتيجة للفيروس في أفريقيا الوسطى. ينتقل الفيروس عن طريق البعوض، والطيور البرية كالخفاش والتي تعتبر حاملات للمرض فقط. حيث لا يصيب الخفاش، مثلاً، أي ضرر جراء نقله للفيروس. أما المضيقفات التي تظهر عليها أعراض مرضية كالإنسان والخيول والكلاب فلا تلعب هذه المضيقفات دوراً مباشراً في انتقال المرض. وتنتقل هذه الفيروسات في الأيام الحارة عادة وخاصة في المناطق التي يزدحم فيها السكان.

نشوء المرض وأعراضه:

تأخذ مدة الحضانة ما بين ١٦ يوماً. يتواجد الفيروس في الدم في المرحلة الحادة acute. ويكون المرض بسيطاً في العادة؛ فهو يبدأ كحرارة وألم في الرأس والظهر والجسم بصورة عامة، مع فقدان في الشهية. وتستمر هذه المرحلة حوالي ٣٦ يوماً. إضافة إلى التهاب في اللوزتين، غشيان، تقيؤ وإسهال.

عادة بين اليوم السابع والسادس عشر من الإصابة بالمرض.

أما طريقة انتقال المرض فهي غير معروفة بشكل دقيق إلى يومنا هذا ولكنه قد ينتقل عن طريق سوائل الجسم المتعددة؛ فقد وجد أن الفيروس ينتقل بواسطة الجنس حتى بعد شفاء المريض إذ أنه قد ينقل الفيروس إلى شخص سليم بعد شفائه من المرض بسبعة أسابيع.

وقد ظهر أول وباء لفيروس إيبولا في عام ١٩٧٦ في زائير وتبعه وباء آخر في نفس السنة في جنوب السودان وتسبب الوباء ب وفاة ٣٤٠ شخصاً من أصل ٥٥٠ مصاباً.

وكان الوباء الثالث في عام ١٩٧٩ من نصيب السودان أيضاً وتسبب ب وفاة ٢٢ شخصاً من أصل ٣٤ مصاباً أي أن نسبة الوفاة كانت حوالي ٦٠٪. وحصلت الموجة الوبائية الرابعة في ١٩٩٥ في زائير.

وقد وصل فيروس إيبولا إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٩ حيث انتقل مع مجموعة من القردة التي تم إحضارها إلى فرجينيا/ رستون من الفلبين وأطلق عليه اسم إيبولا رستون ولكنه لم يتسبب بأية إصابة بشرية حتى بين الأشخاص الذين تعاملوا مع هذه القردة.

وحصل وباء آخر في تشرين الثاني من عام ١٩٩٥ في شيمبانزي غابة تاي Tai والذي تسبب بإصابة باحثة سويسرية بالمرض وقد تمت معالجتها في إحدى المستشفيات في سويسرا وشفيت تماماً. أما الوباء الآخر فقد كان في غرب أفريقيا عام ١٩٩٦م. كما أن الكل قد سمع عن الوباء الأخير في زائير.

المزارع المخيرية أو الإحداث المتعمد للإصابة (التطعيم) في فتران المختبر.

٢- التشخيص المصلي عن طريق عزل الأجسام المضادة للفيروس في الجسم. علماً بأن الأنواع الأخرى من الفيروسات المشابهة لفيروس حمى النيل الغربي قد تتسبب برفع نسبة هذه الأجسام المضادة في الدم مما يقلل من أهمية هذا الفحص التشخيصي.

فيروس إيبولا :

تم عزل فيروس إيبولا في عام ١٩٧٦ بعد أن تسبب بوباء مدمر في القرى الصغيرة في شمال زائير وجنوب السودان. ويصيب فيروس إيبولا الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سن اليوم الواحد وحتى السنة كما أن نسبة الإصابة تكثر في الأشخاص بين سن ١٥ و ٥٠ سنة.

ولم يحظ فيروس إيبولا ببحث موسع إلى يومنا هذا، فقد واجه البحث صعوبات جمة من أهمها سرعة انتقال الفيروس مما يشكل خطراً على أفراد البحث ويتطلب تجهيزات معقدة من وسائل الوقاية والتي لا تتواجد عادة في معظم المختبرات. كما أن طبيعة الفيروس القاتلة تزيد الأمور تعقيداً.

أما العلامات المرضية لهذا الفيروس فتتلخص بما يلي :

بعد مدة حضانة تتراوح بين ٢-٢٦ يوماً تبدأ الأعراض المرضية وهي حرارة مفاجئة، صداع، ألم في الحلق، ضعف عام، ألم في العضلات، تقبض وإسهال، طفح جلدي، تغير في وظائف الكلية والكبد، نزف دموي شديد داخلي وخارجي. وتحدث الوفاة



وفيما يلي جدول يبين الأمراض التي تسببها فيروسات الأرو و الأريزو :

الأمراض المرضية	المسبب الفيروسى	التفصيل	المنطقة
ارتفاع الحرارة، صداع وآلام في الجسم	حمى القرد في كولا رابو	فيروس الأوربي	غرب أميركا وكندا
	حمى القليوتوموس	فيروس القلييو	شاطئ البحر المتوسط، البلقان، الشرق الأوسط، الباكستان والهند، الصين، شرق أفريقيا، بنما، البرازيل
	التهاب فيزويلا للدماغي	فيروس الألفا	الأرجنتين، البرازيل، بنما، أميركا، المكسيك
	حمى الوادي المتصدع	فيروس القلييو	جنوب وشرق أفريقيا، مصر
حرارة، حمول، صداع، آلام في الجسم، تضخم الغدد اللمفاوية وطفح جلدي	حمى الضنك (دينكو)	فيروس القلافي	جنوب شرق آسيا، أفريقيا، جزر المحيط الهادي، استراليا، أميركا الجنوبية، المكسيك، البحر الكاريفي
	حمى النيل الغربي	فيروس القلافي	أفريقيا، الشرق الأوسط، جنوب فرنسا، الاتحاد السوفيتي السابق، الهند، إندونيسيا
حرارة، حمول، صداع، آلام في الجسم والمفاصل، طفح جلدي	تشكانكوانا	فيروس الألفا	أفريقيا، الهند، الكوان، جنوب شرق آسيا، غينيا الجديدة
	فيروس ميوارو	فيروس الألفا	البرازيل، بوليفيا
	فيروس بحر روس	فيروس الألفا	استراليا، غينيا الجديدة، جزر مليمان، جزر ساموا، جزر كوك
	فيروس غابة برما	فيروس الألفا	استراليا
	مرض فيروس سندبس (حمى كاريليان)	فيروس الألفا	أفريقيا، استراليا، الاتحاد السوفيتي السابق، فنلندا، السويد

حرارة وإصابة في الجهاز العصبي المركزي	التهاب الدماغ الشرقي فيروس الألفا	بعوض	سواحل أميركا، البحر الكاريبي، نيويورك، غرب ميشيغان
	التهاب الدماغ الغربي.	بعوض	أميركا، كندا، أميركا الجنوبية والوسطى.
	التهاب القديس لويس الدماغي	بعوض	أميركا، البحر الكاريبي
	التهاب فينزيولا الدماغي	بعوض	الأرجنتين، البرازيل، أميركا الجنوبية، المكسيك، بنما، فلوريدا
	حمى التهاب الدماغ اليابانية	بعوض	اليابان، كوريا، الصين، الهند، الفلبين، جنوب شرق آسيا، الاتحاد السوفيتي السابق
	فيروس مجموعة كاليفورنيا	بعوض	لولايات المتحدة الأمريكية الشمالية الوسطى، نيويورك
	فيروس بلواسان	قراد	كندا، نيويورك
	التهاب وادي موزاي الدماغي	بعوض	أستراليا، غينيا الجديدة
	مرض غابة كاياساتور	قراد	الهند
	فيروس التهاب الدماغي للقرادي	قراد	أوروبا، البلقان، الاتحاد السوفيتي السابق
	التهاب المحاي المشمي المقاري	قوارض	أميركا، الأرجنتين، ألمانيا، البلقان
حرارة، حمول، صداع، آلام في الجسم، أعراض وعلامت نزفية	الحمى الصفراء	بعوض	أميركا الجنوبية والوسطى، أفريقيا
	حمى الضنك (دينكو) النزفية	بعوض	جنوب شرق آسيا، جزر المحيط الهادي، البحر الكاريبي
	مرض غابة كاياساتور	بعوض	الهند
	حمى أومسك للنزفية	قراد	الاتحاد السوفيتي السابق
	حمى القرم/ الكونغو النزفية	قراد	أفريقيا، أوروبا الشرقية، الشرق الأوسط، الاتحاد السوفيتي السابق
	فيروس الهانتان	قوارض	كوريا، اليابان، الصين، جنوب شرق آسيا، أوروبا
	فيروس ميونزل	قوارض	كوريا، اليابان



فيروس يومالا	فيروس الهانتا	قوارض .	الدول الاسكندنافية، الاتحاد السوفييتي السابق
فيروس ماتشيبو	فيروس الأريتا	قوارض	بوليفيا
فيروس جينين	فيروس الأريتا	قوارض	الأرجنتين
فيروس كوتاريتو	فيروس الأريتا	قوارض	فينزويلا
حمى لاسا	فيروس الأريتا	قوارض، إنسان إلى إنسان	أفريقيا الغربية
حمى ماربرغ	فيروس القيلو	مجهول/ إنسان إلى إنسان	زمبابوي، كينيا، أوغندا
الإيبولا	فيروس القيلو	مجهول/ إنسان إلى إنسان	السودان، زائير
فيروس الهانتا	فيروس الهانتا	قوارض	أميركا (غرب بحر الميسيسيبي)، كندا، البرازيل، بوليفيا، باراغواي، الأرجنتين
حرارة، خمول، صداع، آلام في الجسم وعجز رئوي			

العلاج :

استعمال الملابس الواقية والمواد المنفرة، إضافة الى

محاولة تجنب المناطق الموبوءة .

وليس هناك من وسيلة تمكن من معرفة ما إذا كان هناك فائدة من إعطاء مطعوم الحمى الصفراء أو حمى التهاب الدماغ اليابانية في منع حدوث حمى النيل الغربي .

كحال معظم الأمراض الفيروسية لا يوجد إلى يومنا هذا علاج غير العلاج الداعم supportive الذي يساعد في القضاء على المضاعفات المرضية فقط . كما انه لا يوجد مطعوم vaccine للمرض . وافضل طريقة للعلاج هي تجنب المرض، الوقاية خير من العلاج، وذلك بتجنب التعرض للبعوض بواسطة

الخواتم ونقوشها في التراث اللغوي

بعد بلوغ آخره، فإذا طبع على آخر شيء فكُنْ هذا الشيء صار موثقاً لا يدخله شيء بعد ذلك. ومن أسماء الرسول {صلى الله عليه وسلم} أنه خاتم الأنبياء أي آخرهم [١].

والفعل ختم مضارعه يختم من باب ضرب يضرب والمصدر منه ختماً وختاماً. واسم الفاعل منه هو الخاتم بكسر التاء أما الخاتم بفتحها فهو اسم لما يختم به - وهو حلقة ذات فص تلبس في الإصبع [٢] الختم بها -

ولكن هل استعمل العرب هذا الخاتم - ابتداء - للطبع به أم استعملوه حلية للتزيين؟ يبدو من كلام ابن منظور أنهم استعملوه حلية ابتداء ثم طبعوا به . . قال بعد أن عدد لغاته هو «من الطلي كُتِبَ أولُ وهلة ختم به، فدخل بذلك في باب الطابع ثم كثر استعماله لذلك، وإن أعد الخاتم لغير الطبع» [٣] ويبدو أيضاً أن العرب - مجازاً - صارت تطلق الخاتم في ألفاظها لكثرة استعمالهم لها فكروا عشر لغات نظمها الزين العراقي الحافظ، فقال:

خَذَ عَدَّ نَظْمَ لُغَاتِ الْخَاتَمِ انْتَهَلَتْ

ثَمَانِيّاً مَا حَوَاهَا قَبْلَ نَظْمِ

لا أذكر بدقة لِمَ سجلت في مفكرتي الخاصة إحالات إلى بعض المصادر التي تتحدث عن الخواتم ونقوشها، والذي أستذكره أنني قرأت في كتاب من كتب المعارف العامة أن أبا العلاء المعري - وهو من الشعراء السطاحين - كان نقش خاتمه «ألا لعنة الله على العالمين» قرأها على خاتمه من غسله بعد موته. ففعل هذه العبارة المغيظة الحادة الدالة على يأسه وعبوسه وقنوطه - والعياذ بالله - ونسأل الله لنا وله المغفرة - دفعتني إلى التقاط ما يمرُّ بي مما يتصل بالخواتم ونقوشها .

ولا ريب أن هذه النقوش لا تخلو من طرافة وظرافة إضافة إلى كونها تكشف أبعاد شخصية ناقشها كما تكشف أيضاً صورة العصر الذي كتبت فيه لا سيما إذا كانت من اختيار الخلفاء والملوك لأن الخاتم يعد من شعار الخلافة، وقد بينت لنا المعجمات العربية المعاني اللغوية المتعددة لمادة ختم فنصت على أن المعنى الرئيسي لها هو بلوغ آخر شيء، يقال: ختمت العمل، وختم القارئ القرآن الكريم، وختم الله له بالخير، ويقال: ختمت الرسالة أي طبعتها - ومعنى الطبع هنا مهرها وختمها حتى يظهر أثر نقش الخاتم عليها - والطبع على الشيء لا يكون إلا

خَاتَمٌ، خَاتَمٌ خَتَمَ خَاتَمٌ وَخَتَا

مُ خَاتِمٌ وَخَيْتَمٌ وَخَيْتَمٌ

وَهَمَزٌ مُفْتَوَحٌ تَاءٌ تَاسِعٌ وَإِذَا

سَانَعَ الْقِيَاسُ أَتَمَ الطَّرْ خَاتَمٌ [٤]

واشتقاقه ولغاته بل حددوا المراد منه بدقة فقالوا إن «الخاتم حلقة ذات فص من غيرها، فإن لم يكن لها فص فهي فتحة على وزن قسبة» [٩].

وأشارت المصادر إلى أن أول من ختم الكتاب من قريش، وأهل الحجاز هو الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وذلك حين أراد مكاتبة كسرى وقيصز والنجاشي ف قيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بختم، فصاغ خاتماً من ذهب، فجعله في يمينه، وجعل فصه مما يلي باطن كفه، فاتخذ الناس خواتيم الذهب فصعد (صلى الله عليه وسلم) المنبر وألقاه، ونهى عن التختم بالذهب، واتخذ خاتماً من ورق (أي من فضة) وجعل فصه حشياً، ونقش عليه «محمد رسول الله» في ثلاثة أسطر، محمد سطر، ورسول سطر والله سطر، وكان خازنه على خاتمه معيقيب ابن أبي فاطمة، وقال بعضهم إن نقشه كان «صدق الله» ثم ألحق الخلفاء بعد «صدق الله» «محمد رسول الله» [١٠].

وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) والخاتم في يمينه [١١]، وفي رواية أنه (صلى الله عليه وسلم) لبسه أيضاً في خنصره بيده اليسرى [١٢]. وانتقل هذا الخاتم من يده الشريفة

ثم جمعوا الخاتم على خواتم وخواتيم [٥] ولأن الرجل الخاتم بالختم، بحاجة إلى مادة يختم بها الشيء، قالوا: إن الختام - بكسر التاء هو الطين أو الشمع الذي يختم به على الشيء [٦]. وقد قيل: إن أول من اتخذ الطين لختم الكتب هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه [٧]. أما الختم - بسكون التاء - فهو أثر نقش الخاتم [٨].

ومن هذا كله نتبين أن الخاتم هو حلية استعملت للختم بها، فافترزت العربية عناصر لهذا الختم، فهناك صاحب الخاتم الذي يقوم بالختم، فيستعمل الخاتم - بفتح التاء وكسرهما - والكسر أكثر - ليختم به ثم لا بد له من مادة الختم، وهو الختام، فيظهر الختم وهو الأثر الحاصل من نقش الخاتم، فتكاملت أجزاء الصورة وعناصرها.

ولم يقتصر اللغويون على بيان معنى الخاتم

بعد موته الى أبي بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم وبقي في يد عثمان سنتين سنوأت، فلما كثرت عليه الكتب، دفعه الى رجل من الأنصار ليختم عنه به، فأتى قليلاً لعثمان - قيل هو بشر أريس وقيل هو بشر ذي أروان[١٣] - فسقط الخاتم فيه، فالتمسوه فلم يجدوه، فاتخذ سيدنا عثمان - رضي الله عنه - خاتماً آخر من ورق (أي قضة) أيضاً، ونقش عليه مثل النقش الأول[١٤]، أما خاتم سيدنا علي رضي الله عنه فكان من قضة منقوشاً عليه (نعم القادر الله)[١٥].

ونذكر القلقشندي أن اتخاذ الخاتم يعد من شعار الخلافة فقد اتخذ الخلفاء بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) خواتم منقوشة، وبقي الأمر على ذلك الى انقراض الخلافة من بغداد[١٦].

واتسع أمر ختم المكاتبات بهذه الخواتم، فأنشأ معاوية ابن أبي سفيان - رضي الله عنه - ديواناً أطلق عليه ديوان الخاتم، والذي دعا الى ذلك ان تزويراً حصل لإحدى مكاتباته فقد كتب لرجل بمائة ألف درهم، ففك الكتاب فأنصلحها ماتت[١٧].

هذا وقد تفقن المختصون بعد ذلك من الخلفاء وغيرهم في اختيار العبارات التي أرادوا نقشها على خواتمهم، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

١- أن بعضهم اختار العبارة التي كانت منقوشة

المنهل

١٥٠

على خاتم الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهي (محمد رسول الله) ومن نقشها على خاتمته من الخلفاء العباسيين الراضي والمتقي والمستكفي[١٨].

٢ - اهتم بعضهم بتسجيل اسمه على خاتمته تبعاً لنقش خاتم الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فقد كان نقش أبي العباس السفاح من العباسيين (الله ثقة عبد الله، وبه يؤمن)[١٩] ونقش خاتم المكتفي (بالله - علي بن أحمد - يثق) ونقش خاتم الأمين (محمد واثق بالله) ونقش أهد خاتمي الواثق بن هارون الرشيد (الواثق بالله)[٢٠] ونقش أجد خاتمي الشاعر أبي نواس (الحسن، يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً)[٢١]، وحافظ بعض الخلفاء العباسيين على عبارة أخيه أو أبيه مع وضع اسمه بدلا من اسم أخيه أو أبيه، فقد اتخذ المنصور (عبد الله) نقش خاتم أخيه أبي العباس السفاح فكان نقش خاتمته هو (الله ثقة عبد الله وبه يؤمن) وكذلك اتخذ المهدي (محمد) نقش خاتم أبيه المنصور فجعل نقش خاتمته (الله ثقة محمد - وبه يؤمن)[٢٢]. ويتضح من نقوش أكثر الخلفاء العباسيين أنهم أضافوا الى اسمائهم ما يفيد الثقة بالله، ولعلم يرومون من ورائها أيضاً أنهم يختمهم على الشيء يكونون قد استوثقوه فلم يعد يقبل زيادة أو نقصاً، وأن حامله ثقة لا تخينه نفسه بتغيير، ما فيه أو تبديله، وبالجمله هم يهتمون بالثقة وأبعادها.

فسجل آية قرآنية على خاتمه - مع أن القرآن الكريم يجب أن يصان عن مثل ذلك - من ذلك ما رواه ابن عبد البر من شعر لجيهول يذم فيه الاختلاط بالناس، جاء فيه:

ما في اختلاط الناس خير ولا
هو الجهل بالأشياء كالعالم
يا هلالني في تركهم جاهلاً
منزني منقوش على خاتمي

ثم قال ابن عبد البر وكان في خاتمه منقوشاً (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) [٢٧] وقد نقش المقتدر على خاتمه (الحمد لله الذي ليس كمثله شيء) [٢٨]، وهو على كل شيء قدير).

لم يكتف بعض الخلفاء وبعض المختتمين بخاتم واحد، فجعلوا لأنفسهم أكثر من خاتم، واختاروا لكل خاتم نقشاً فقد كان لهارون الرشيد خاتمان نقش أحدهما (لا إله إلا الله) والآخر (كن من الله على حذر) وكان الواثق أيضاً خاتمان، نقش أحدهما (محمد رسول الله) والآخر (الواثق بالله) ومثله فعل المنتصر (أبو جعفر) فكان نقش أحد خواتمه (يؤتى الحذر من مأمته) والآخر (أنا من آل محمد، الله ولي ومحمد) [٢٩]، وعن طريف ما يروى في ذلك أن أبا نواس - الحسن بن هانئ - كان له خاتمان أيضاً،

٣ - اختار بعضهم عبارات تدعو إلى التأمل في معناها والتفكير في مفزاها، لأن ظاهرها حكمة مفيدة - أو حكم - لكن وراءها مضامين دلالية متعددة يستشعرها كل إنسان حسب نظرته إليها، فهي مشبعة بالإيحاءات الدلالية، مما يدل أن اختيارها كان نتيجة تودة وروية. فقد كان نقش خاتم طاهر (وضع الخد للحق عز) [٢٣]، وكان نقش خاتم المستعين بالله من العباسيين (في الاعتبار غنى عن الاختيار) ونقش خاتم المهدي (من تعدى الحق ضاق مذهبه) ونقش خاتم المعتضد (الاضطرار يزيل الاختيار) ونقش خاتم المعتمد (السميد من كفي بغيره) [٢٤].

٤ - ويخالف ما سبق فإن بعضهم اختار عبارات ذات معان واضحة مباشرة، فقد روي أن عمر بن عبد العزيز أمر ابنه بأن يستعمل خاتماً وينقش عليه (رحم الله امرأ عرف نفسه) وكان نقش خاتم علي بن الحسين بن علي (علمت قاعمل) ونقش صالح بن عبيد الله بن علي (تبارك، فخرني بآتي له عبد) ونقش خاتم شريح (الخاتم خير من الظن) [٢٥]، ونقش هارون الرشيد على أحد خاتمي (لا إله إلا الله) ونقش الهادي على خاتمه (الله ربي) والمتوكل (على إلهي اتكالي) والمأمون (سل الله يعطك) والمعتز (الحمد لله رب كل شيء وخالق كل شيء) [٢٦].

٤ - وقد تمادى بعض المختتمين من الشعراء

أحدهما عتيق مربع، وعليه:

تعاطفني نبي فلما صدتُ

بعضوك ربي كان معوك أعظم

والآخر: هديد صيني مكتوب عليه (الحسن،
يشهد أن لا إله إلا الله، مخلصاً) فأوصى عند موته
أن يقلع الفرس ويُغسل ويجعل في فمه [٢٠] ولا
ندري أحققوا له هذه الوصية أم لا؟

وهكذا تنوع العبارات ، وأبانت عما يختلج في
نفوس أصحابها، فكل عبارة وراءها مطلب، قد تدل
على أن مختارها كان متأثراً بالحالة السياسية أو
الاجتماعية التي استعملت فيه نقشاً على خاتمه، أو
استعملها آخرون تثاروا أيضاً بأحداث عصرهم، ولا
ريب أن القرائح تتباين، والأفكار تختلف في التعبير
عن أحداث العصر، لذا فإن هذه العبارات قد تساعد
على الكشف عن حالة العصر التي استعملت فيه كما
تظهر شخصية المرء الذي اختارها واستعملها، وكل
ذلك لا يخلو من فائدة ومتمعة.

أما موضع لبس هذا الخاتم المنقوش، فقد رأينا
أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد لبسه في يده
اليسرى، وقُبِضَ والخاتم في يمينه أيضاً، وقد سار
ال خلفاء رضي الله عنهم على منهجه في وضعهم
الخاتم بيدهم اليمنى، ثم نقله معاوية رضي الله عنه

لبنه

الى يده اليسرى وأخذ الأمويون بذلك ثم نقله السفاح
- من العباسيين الى اليد اليمنى - ولعله أراد بذلك
مخالفة الأمويين - وبقي الأمر على ذلك إلى أيام
هارون الرشيد رضي الله عنه فنقله الى اليد اليسرى
وأخذ الناس بذلك [٣١].

وتقابل بعضهم بنوع معين من الخواتم - فروي
عن جعفر بن محمد قوله: ما افتقرت يد تختمت
بخاتم فيروز وقيل: الخواتم أربعة: الياقوت العفس،
والفيروز المال، والعتيق للسنة، والصديد الصيني
للحرز وقيل للخوف [٣٢].

ومحمل ما سبق:

١ - أن الخاتم - بفتح التاء وكسرهما - والكسر
أكثر - هو حلية استعملت الختم والتوقيع.

٢ - أن منقوشات الخواتم تفاوتت بين القصر
والطول، وبعضها ظاهر المعنى قريب المأخذ، وبعضها
الآخر يحتمل دلالات متعددة تؤدي الغرض المنشود
من اختيارها .

٣ - أن بعض المختتمين اقتبس لنقشه من القرآن
الكريم، وبعضهم جعل نقشه شعراً أو مثلاً من أمثال
العرب .

٤ - أن بعض الخلفاء والشعراء اتخذ لنفسه أكثر
من خاتم .

٥ - أن هذه النقوش تعكس حال صاحبها وهي

- (١٤) الأواثل ١٥٧/١ والعقد الفريد ٧/٥.
- (١٥) عيون الأخبار ٢٠٢/١ وفي العقد الفريد ٨/٥ - ١٧ أن هذه العبارة كانت منقوشة على خاتم أبي بكر الصديق.
- (١٦) صبح الأعشى ٢٦٩/٣.
- (١٧) صبح الأعشى ٤٢٢/١.
- (١٨) العقد الفريد ٢٥١/٥ - ٢٥٢.
- (١٩) العقد الفريد ٢٣٦/٥ - ومثله نقش خاتم المنصور والمهدي، انظر العقد ٢٣٧/٥ - ٢٣٨.
- (٢٠) العقد الفريد ٢٤١/٥ - ٢٤٤ - ٢٤٩.
- (٢١) عيون الأخبار ٢٠٢/١ والمستطرف ٥٥/٢.
- (٢٢) العقد الفريد ٢٣٦/٥ - ٢٣٨.
- (٢٣) عيون الأخبار ٢٠٢/١.
- (٢٤) العقد الفريد ٢٤٥/٥ - ٢٤٨ - ٢٤٩.
- (٢٥) عيون الأخبار ٢٠٢/١.
- (٢٦) العقد الفريد ٣٢٩/٥ - ٢٤٠ - ٢٤٦.
- (٢٧) نزعة المجالس ١٦٦/١ وتتمتها: وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين (الأعراف/١٠٢).
- (٢٨) العقد الفريد ٢٤٩/٥ وقوله تعالى (ليس كشيء شيء) (الشورى/١١) وقوله (وهو على كل شيء قدير) (المائدة/١٢٠).
- (٢٩) العقد الفريد ٢٤٥/٥ - ٢٤٤ - ٢٤٥.
- (٣٠) عيون الأخبار ٢٠٢/١ والمستطرف ٥٥/٢.
- (٣١) المستطرف ٥٥/٢.
- (٣٢) المستطرف ٥٥/٢.

بمجمليها تعطي صورة مصفوفة عن العصر الذي استخدمت فيه نقشاً على خاتم.

ويعد: فما قبلناه هو نتف من تاريخ طويل مر به الخاتم المنقوش ونسال الله أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها.

الهوامش:

- (١) مقاييس اللغة، واللسان، والقاموس وتاج العروس والمصباح المنير والمعجم الوجيز، مادة ختم.
- (٢) المعجم الوجيز، ختم.
- (٣) اللسان، ختم.
- (٤) تاج العروس، ختم.
- (٥) الكتاب ٢٤٩/٤ - ٢٥١ واللسان، والقاموس، وتاج العروس والمصباح ختم.
- (٦) تاج العروس، والمعجم الوجيز، ختم.
- (٧) صبح الأعشى ٤٢٢/١.
- (٨) اللسان والقاموس والمعجم الوجيز، ختم.
- (٩) المصباح، ختم.
- (١٠) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢٠٢/١ وكتاب الأواثل للمسكري ١٥٧/١ والعقد الفريد، ٧/٥ وصبح الأعشى ٢٦٩/٣ والأثور الحميدية، للنبهاني ٢٥٥.
- (١١) المستطرف للأخشيوي ٥٥/٢.
- (١٢) الأثور الحميدية ٢٥٥.
- (١٣) العقد الفريد ١٧/٥.

شوارد أدبية

٤٨٠ : ٥٥٥٥٥

تقع بين المدرسين في المدارس، والأساتذة في الكليات طرائف يُستظرف تسجيلها، وقد يكون بها بعض المرارة التي توجب المواخذة، ولكن الناس هم الناس فمنهم الزهر والشوك، والحديث عن المثال الصالح موضع عبارة كالحديث عن المثال السيء تماما، فالأول يُقْتَدَى به ويُحَذَرُ، والثاني يُجْتَنَبُ ويُحَذَرُ، فإذا كتبنا عن بعض هذه النوازل فقد نجد ترويحاً للنفس، وأبدأ بهذه النادرة الفكاهية، وهي تمت إلى النحو والإعراب.



شدات الذهب

٤٨١ : ٥٥٥٥٥

دارسو النحو يعرفون المواضع التي تفتح فيها همزة أنْ. والمواضع التي تكسر فيها هذه الهمزة، وليست بالشيء الصعب المسير تحصيله، فإن طلاب المعاهد في القسم الابتدائي يحصلونها جيداً دون إجهاد.

وكتاب قواعد اللغة العربية الذي كان مقرراً على المدارس الثانوية في الأربعينيات قد تحدث عن هذه المواضع بإفاضة، وأفرد لكل باب صفحتين شقعهما بالأمثلة والتمرينات، وليته يعود ثانية للطلاب فقد كان البديل موضع نظر.

وحين كان هذا الكتاب من المقررات في درس اللغة العربية، كان الطالب (م.س) يتعثر دائماً في الامتحان النهائي. ووقف عند شهادة الثقافة، وهي حينئذ كانت تؤخذ قبل الثانوية بعام، وظل سنوات وهو يتعثر في درس اللغة العربية، ويميد العام من أجلها، حتى ضج والده، وكان أحد كبار الأساتذة بكلية اللغة العربية، وقد أجهد نفسه في إعطاء ولده الدروس الخصوصية في كل مادة ومن بينها مادة اللغة العربية، إذ كان لا يجد نشاطاً في التدريس لولده، ويفضل أن يقوم بذلك مدرس آخر، وكان الرجل محدود الثراء لا يملك غير مرتبه الذي يقوم بضرورياته دون الكماليات، ولكنه كان يقتصد ويجور على الأسرة من أجل هذه الدروس، التي كانت نزيفاً شهرياً لا طاقة له به.

وقبل الامتحان بأسبوع، أراد أن يختبر ولده فيما حصل؟ ولكن فيم يختبر؟ إنه لا يجيد غير دروس

اللغة العربية. فتمكن المقياس لما حصل من الدروس، ونادى الطالب، وأمره أن يحضر كتاب القواعد ليكون موضع الاختبار، وسارع الولد بإحضاره، فأتخذ الأستاذ يراجع فهرس الكتاب، حتى انتهى إلى موضوع الكسر وموضوع الفتح، وهما كما قلت يستغرقان أربع صفحات، كل موضوع له صفحتان، فاستوعب في لحظات المقرر الدراسي بهذه المادة، ثم قال لولده أجب عما يأتي:

ننتي تفتح همزة أن، ومتى تكسر؟ فقال الابن بلهجة الاستخفاف: أهذا سؤال؟ كل شخص يعرف الإجابة فاطمان الوالد، وأشرق وجهه بالارتياح وقال: ولكني أريد أن أسمعها منك، فقال الابن مستخفاً: الموضوع بسيط، تكسر همزة إن إذا وضعت الكسرة تحت الألف، وتفتح الهمزة إذا وضعت الفتحة فوقها!! لا أدري لماذا لم يتحمل الأستاذ جهل ولده، فسقط على الأرض، وكان متكئاً على المنضدة، وظهر أنه أغشى عليه، فلما عولج وعاد إلى صوابه، عاتبه بعض الزملاء على شدة انفعاله فقال: كيف لا يغى علي؟ وقد علمت أن جميع المواد ستكون من هذا الطراز لدى هذا الجهول، عوضني على الله!!

٤٨٢. ذلك حبيب :

كان ناظر المدرسة الثانوية يشغل نظارة أرقى مدرسة في القاهرة، وقد جاء إليه مزيح إحدى القنوات الإذاعية طالباً منه أن يعد كلمة تلقى في الإذاعة بمناسبة ابتداء العام الدراسي، حيث يوجهها

للطلاب بعامة في صبيح، وهو ناظر أكبر مدرسية، والناظر في أصله مدرس رياضيات، ولم يكن الأدب إحدى هواياته كما يتقل، فماذا يصنع؟ لقد أحضر ثلاثة أساتذة من مدرسي اللغة العربية عرفوا بالقدرة على الكتابة، فهم خطباء المدرسة ومحرورو صفحات المجلة، ومقدمو الأحاديث الصباحية، وطلب من كل واحد منهم على إنفراد أن يكتب كلمة في الموضوع المقترح عليه، وأن يتقدم بها صباح الغد، لضرورتها الملزمة وسرعان ما استجاب الأساتذة، ووقع في يده ما أراد.

فبعث إلى مدرس يعرفه من مدرسة أخرى، وقدم له الكلمات الثلاثة، على أن يختار منها جميعها كلمة مناسبة بحيث لا يهمل واحدة منها، وقد قال إنه كتب الموضوعات جميعها، ثم بدا له أن يختصر فعرّ عليه أن يهمل شيئاً، ويذكر شيئاً، على أن يعيد النص المختار مشكولاً، وأضح النقاط والفواصل، فاستجاب المدرس، وفي الموعد المحدد ذهب الناظر لإلقاء الكلمة، وقد حازت القبول فاخترت للنشر في مجلة الإذاعة بعد إلقائها، وجاءت المجلة إلى المدرسة فقرأها المدرسون الثلاثة وظن كل واحد أن الناظر قد استعان بجزء يسير من موضوعه، وأذن فقد أخفى الجيد من لبن نفسه!

قلت لصاحبي حين حدثني هذا الحديث، ولا أدري كيف وقف على سره ماذا يصنع الناظر إذا اجتمع الأساتذة الثلاثة، وخدد كل أساتذة ما أخذ منه، ولم يبق له شيء ما، فقال مبتسماً: هذا غير

متوقع، وهو ما فهمه الناظر بذكائه الحصيف.

٤٨٣. عمامة بيضاء :

كان محمد تيازي بأشأ مديراً للدقهلية في الثلاثينيات، أيام كان المدير يحمل الباشوية، وله سلطة الوزير في إقليمه فلا معقب لحكمه، فتقدم إليه ذات صباح إنسان بشكوى عادلة، وكان حسن المظهر، نظيف الحلة، يؤخذ من منظره أنه يحتل وظيفة مرموقة، فسأله عن وظيفته في اهتمام، فعلم أنه مدرس بالمرحلة الابتدائية أول مراحل التعليم، وكانت المدارس حينئذ تتبع مجلس المديرية الذي يرأسه المدير، وهو صاحب الكلمة النافذة فيه، فلم يُخَفْ انفعاله الغاضب، وأخذ يصيح: كيف يكون هذا المدرس بهذه الأبهة! ماذا أبقي لكبار الموظفين، وراتبه أربع جنيهات؟ ثم أصدر أمراً بأن يلبس مدرسو المرحلة الأولى في جميع مدارس الدقهلية العمامة والكاكولة، وانتشر الخبر في القطر المصري وعارضه الدكتور طه حسين بمقال ناري في صحيفة الوادي، ولكن مجلس المديرية قد وافق على القرار، وأصبح ملزماً مهما كانت المعارضة!

وفي يوم من الأيام ذهب المدير المتكبر إلى زيارة بعض القرى، ومن عادته في مثل هذه الزيارات أن يجد العمدة وشيخ البلد وأعيانها في استقباله، وهم في العادة لا يزينون عن عشرة أشخاص، ولكنه حين ترك سيارته وصافح المستقبلين، لاحظ جمعاً حاشداً

المنهل

على البعد، فظن أن البلدة قد خرجت لاستقباله، ولكن الناس تهيّبوا لقاءه - فوقفوا على بعد، فقال للعمدة، لماذا لا يقترب هؤلاء، وقد جاءوا لاستقبالى، أنا أحب ملاقة الشعب!

فقال العمدة: ياباشا، أتلصص صاحب العمامة هناك، إنه فضيلة الواعظ، وكان بالمسجد اليوم وألقى الدرس بعد صلاة الظهر، ومن عادة الناس أن يستقبلوه فرحين، وأن يودعوه عند سفره وما هم أولاء قد خرجوا من المسجد خلفه، وإن يرجعوا حتى تأتي السيارة، ويركبها مسافراً بسلامة الله!!

قال الباشا: وهل علموا بمقدمي؟ فقال العمدة وكان ساذجاً لا يعرف المداراة، هم لا يعرفونك يا باشا ولا يهتمون إلا بأهل العلم.

احمر وجه الباشا، وأمر السائق بالرجوع ثانية غاضباً على القرية!! وخيال عمامة الواعظ لا يبرح عينه! وكأنتها في رأيه لا تستحق الاستقبال والتوبيع! ثم اشتدت الحملة على موقفه من ارتداء العمامة للمدرسين، فأمر بأن يلبس كل مدرس ما يشاء، وقال له أحد أعضاء المجلس! بهذه السرعة ياباشا! قال: ظننت العمامة أقل من الطربوش فإذا هي في القرية كل شيء!!

٤٨٤. (موقف مخرج) :

كان أحد الشعراء مدرساً بإحدى المدارس الثانوية للبنات، وكانت صلته طيبة بالزميلات ومن

وما خرج الزوج، حتى استدعت الشاعر، وطلبت أن تسمع القصيدة، فقرأها عليها، فقالت: عليك الآن أن تنظم قصيدة جديدة لا تصف فيها محاسن الفقيدة أو جمالها الذي تحدثت عنه، بل تتحدث فقط عن سلوكها التربوي مع الطالبات، وتعهدها لفريق المكتبة بالتوجيه، واجتهادها في النشاط المدرسي، وتأتي بالقصيدة الجديدة ممل في الصباح، وحين أدعوك تظهر أنك لا تعرف شيئاً عن موضوع الدعوة، ثم تذهب لتحضر القصيدة وتقرأها في غير اهتمام، فالمسألة حساسة جداً.

وجاء الصباح، وقد سهر الشاعر في إعداد قصيدة تشمل العناصر المتفق عليها وجهداً، ثم حضر الزوج، فاستدعت الشاعر، وقامت بوساطة التعريف بينه وبين الزائر، وقالت إنه جاء يشرك على اهتمامك برثاء الراحلة العزيزة، ويريد أن يسمع القصيدة، فقال إنها في مكتبه، وسيخرج لإحضارها، وسرعان ما قدم وقرأ، فنهض الزوج شاكرًا، وقبل الشاعر في وجنته، وقال للناظرة: ماذا أصنع برفاق السوء؟ وقد أغروا صدى، وقذفوا بي إلى متهاتم الظنون، وسأنتقم الآن ممن افترى! فابتسمت الناظرة، وقالت للزوج كالتواصية المجربة: إطو الموضوع ولا تفكر فيه إطلاقاً، لأن الناس بمجرد حديثك عنه سيختلفون ويزيفون، وما قد رأيت! موقف كريم لا ينسى من مربية أصيلة ذات خلق

رصين.

بينهن مدرسة فاضلة ذات مظهر حسن، وجمال يلفت النظر، وهي على درجة عالية من الخلق المتواضع، والسلوك النظيف، فحازت تقدير الزملاء والزميلات معاً! وفي إحدى الاجازات الصيفية كان الشاعر يصطاف بالاسكندرية، فقرأ في الصحف نعي هذه المدرسة الممتازة، وعلم أنها تعرضت لازمة صحية عقب الوضع، فصعدت روحها على غير انتظار، فتأثر تأثراً شديداً، ونظم في وداعها رثاء صادقاً أسمعته بعض زملائه ممن كانوا يصطافون معه! وبه وصف لمحاسنها الأسرة.

وانتهت الإجازة وعاد الى المدرسة، وقد نسي الرثاء تماماً ولم يعد يفكر في إذاعته، ولكن زوج الفقيدة جاء الى ناظرة المدرسة ذات صباح، وكانت من الفضليات المثاليات، فأعلمها أنه سمع بالأمس من فلان (الزميل الذي استمع الى القصيدة من قبل) وكان يجلس معه على المقهى، أن الأستاذ فلان قد رثى زوجته، وأنه أطنب في ذكر محاسن تسيء إليها، ويريد الآن أن يطلع على الرثاء، إذ لا يحب أن تكون الراحلة موضع القيل والقال.

فوجئت الناظرة بالموضوع، وكانت لا تعلم عنه شيئاً، وهي ذات فضل وكياسة، فقالت في لهجة قوية للزوج، إنها سمعت الرثاء، ولم تجد به إلا كل وفاء وإخلاص، وإن الشاعر قد تخلف اليوم عن الحضور إذ أخذ إجازة عارضة، وعليك أن تحضر في الصباح

لتقائه.

مسك

الختم

أيام
في
طيبة

بسم:
د. طاهر تونسي

- جدة -

المنهـل

١٥٨

الريضان ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

ما أجل أن يستريح الإنسان بعد التعب.

ما أجل أن يلقي همومه الدنيوية ويتنسم عبير الندى من عالم الروح وعالم المعاني الروحية السامية.

ما أجل أن يذكر وينكر غيره بكثير من القيم السامية والأخلاق السمعة التي استطاعت المدينة الحديثة وهيموها وأثرانها أن تفسد كثيرا منها ولو بشكل مؤقت.

كل هذه التواضع والإيمان سررت في نفسي بعد أن قضيت بضعة أيام في مدينة الرسول

(صلى الله عليه وسلم). هذه المدينة التي شهدت ميلاد دولة الإسلام الأولى العظيمة. هذه المدينة البسيطة في مساحتها واستطاعت أن تقضي على سلطان كسرى وطغيان قيصر واستطاع جنودها الأبرار أن يفتحوا كثيرا من أراضي قارة أوروبية في البرتغال وأسبانيا وجنوب فرنسا وجنوب إيطاليا ودول البلقان.

إن كثرة الأسماء عند العرب تدل على عظمة وجلال المسمى. وقد تميزت مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بكثرة الأسماء التي دلت على شرف وجمال المسمى. فمن أسمائها «المدينة» وقد ورد تسميتها بهذا الاسم في القرآن الكريم أربع مرات من ذلك قول الله تعالى: (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ) والله العزّة ولرسوله والمؤمنين ولكن المنافقون لا يعلمون (المنافقون/٨).

ومن أسمائها «الدار» وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الغنم قال الله تعالى: (والذين يتوبون إلى الله والذين يتوبون إلى الله والذين يتوبون إلى الله) ومن أسمائها «ماز» الإيمان. لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إن الإيمان ليارز إلى المدينة كما تارز الحية إلى جحرها» ومن أسمائها طيبة وطابة. وبها قبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومسجده. وقد تتنافس المؤلفون في التصنيف عن المدينة المنورة وخطتها. ولستنا بسبيل رصد جغرافي عما ألف عنها ونكتفي أن نلمح إلى أحد المؤلفات عنها وهو كتاب السيد علي حافظ رحمه الله. واسم كتابه «فصول... من تاريخ المدينة المنورة...» وفصول الكتاب جعلها مؤلفها السيد علي حافظ رحمه الله على النحو التالي: المدينة المنورة عبر التاريخ، المسجد النبوي، خلال ١٤ قرنا، بيت النبي (صلى الله عليه وسلم)، المساجد المنورة، بقع الفرقد، العلم والتعليم في المدينة المنورة، والمدينة المنورة في العصر الحديث.

أما أول من سكن المدينة فقد روى أن أول من سكنها بعد الطوفان قائنة من صهيلايل وينسبها إلى نوح عليه السلام. وروى أيضا أن أول من عمر الدور وزرع فيها الصالحين بنو علقان بن أرفخشث وكان منهم في يثرب بنو هفوف وبنو مطرويل. ويقع المدينة في واحة خصبة وفي الشمال الغربي منها جبل ملح ويحتملها جبلان وواديان فمن الجنوب جبل عيران ووادي العقيق ومن الشمال جبل أحد ووادي قناة ويخترق المدينة مارا بوسطها وادي يطحن بعد أن ينضم إليه وادي رانوا في قباء. ويحدها من الجنوب جبل عير ومن الشمال جبل ثور ومن الشرق الالة «الجرة الشرقية» ومن الغرب الالة... الجرة الغربية. ويسعد جبل ثور عن المسجد النبوي بحدود ٨ كيلومترات. ويسعد جبل عير عن المسجد النبوي بحدود ٨ كيلومترات أيضا.

وقد تحدث السيد علي حافظ عن أمور عديدة من تاريخ المدينة في الماضي والحاضر ونقتطف للقارئ منها ما كتبه عن بقع الفرقد يقول السيد علي حافظ: «ذكر المؤرخون أن كثيرا من الصحابة وأهل البيت ممن توفوا في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويعد وفاته، دفنوا في بقع الفرقد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الأنصار أسعد بن زبارة الأنصاري وأول من دفن فيه من المهاجرين عثمان بن مظعون. وليس في البقيع قبور معروفة بالتأكيد، وقد نقل بعض المؤرخين وشاع عند الناس تعريف بعض القبور. فعلى بعد نحو ٤٠ مترا من الباب الغربي الجنوبي تجد قبور عقيل بن أبي طالب وسفيان بن الحارث (خطا طباعي وصوابي أبي سفيان بن الحارث) وقيد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعلى بعد نحو خمسة أمتار من قبر عقيل بن أبي طالب تجد قبور زيجات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهن عائشة بنت أبي بكر وسودة بنت زمعة وحفصة بنت عمر وزينب بنت خزيمة وأم سلمة وجويرية وولمة وصفيّة».

وقد تحدث السيد علي حافظ عن توسعة الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - للمسجد النبوي وعن تأسيس الجامعة الإسلامية. وفي بعض الملاحظات أهدبها السيد محمد بن علي حافظ وهي ضرورة إصدار طبعة جديدة من الكتاب خالية من الأخطاء الطباعة ومحتوية على كثير من الصور القديمة للمدينة المنورة والتي أصبحت متوفرة في كثير من المطبوعات. واقترح إضافة فصلين الأول عن الأب في المدينة المنورة فقد غفل السيد علي حافظ عن ذلك مع أهميته... والفصل الثاني عن التوسعة العظمى التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله - وتظل مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) مدارا لإلهام المبدعين والمؤرخين والكتاب.

حالة المنهل

مجلة العرب الادبية



تصدر عن دائرة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣



الإشتراك السنوي

مبلغ (١٥٠ ريالاً)

للإشتراك السنوي للأفراد تشمل الأعداد الشهرية .
بالإضافة إلى العدد السنوي (الخاص) .

مبلغ (٤٠٠ ريالاً)

للإشتراك لمدة (٢) سنوات تشمل الأعداد الشهرية .
بالإضافة إلى العدد السنوي (الخاص) ، وكذلك كتاب شذرات الذهب ،
وديسوان الانتصاريات ، ورواية (التوامان) .

مبلغ (٥٥٠ ريالاً)

للإشتراك لمدة (٥) سنوات تشمل الأعداد الشهرية .
بالإضافة إلى العدد السنوي (الخاص) ، وكذلك كتاب شذرات الذهب .

شاملة
رسوم البريد

مجلات المنهل

المجموعة الكاملة ١٣٥٥ - ١٤١٦ هجرية

(٧٢) مجلدا فائرا متوفرة في الاسوان - الأزرق - البني - والأسود
للاستفسار الإتصال بإدارة العلاقات العامة بالمجلة ت: ٦٤٣٢١٢٤

لجنة الثقافة والمكتبي بالمجموعة

عرض خاص

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

يتمد حتى نهاية هذا العام

السادة دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

بعد اطلاعي على شروط الاشتراك السنوي في مجلتكم (المنهل) والعرض الخاص
(ارغب في الآتي

فقط
تقنون الشيكات أو التحويلات
باسم (مجلة المنهل)

اشترك سنوي (١٥٠) ريالاً ☐

(٢) سنوات (٤٠٠) ريالاً مع الإصدارات ☐

(٥) سنوات (٥٥٠) ريالاً وكتاب شذرات الذهب ☐

وارفق لكم طيه قيمة الاشتراك حسب ما هو موضح بالقسيمة.

(١) شيك ☐ (ب) حوالة بنكية ☐

مبلغ رقم بتاريخ

الاسم:	العنوان:
القطر:	البلدية:
بناية رقم:	ص.ب:
تليفون:	فاكس:
	تلكس:
	رمز بريدي:
	شارع:



○ حفاظ على الهوية
○ ثقافة متجددة
○ إبداع الصحافة القادمة

هديتنا
لأجيالنا
القادمة

مجموعة المنهل الكاملة
٧٢ مجلداً فاخراً
مفتاحك لعالم الفكر والمعرفة



تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة
المركز الرئيسي جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص ب ٢٩٢٥ ت ٦٤٣٢١٢٤ فاكس ٦٤٢٨٨٥٣



... تجمعنا روح واحدة

باتسجام وإنسيابية تسير كافة
العمليات بين الإدارات والوحدات
المختلفة في البنك وتصب
ضمن إهتمامنا بخدمة العميل .

فرق
رئيسي
يجعلنا
قادة

